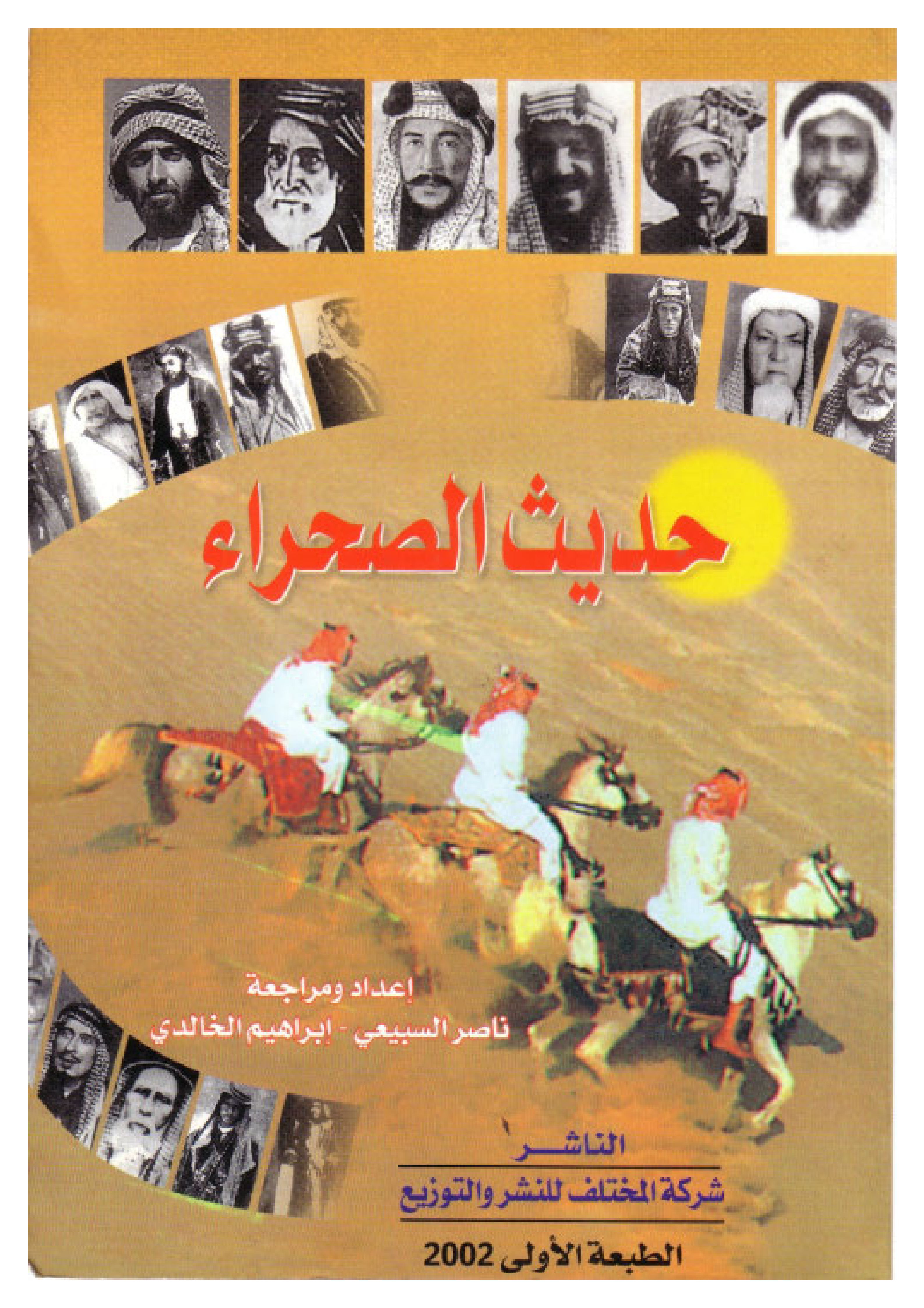


حديث الصحراء

إعداد ومراجعة

ناصر السبيعي - إبراهيم الخالدي

الناشر

شركة المختلف للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 2002

٢٥

سلسلة المختلف للتراث الشعبي (٥)

حديث الصحراء

(الجزء الأول)

إعداد ومراجعة:
ناصر السبيعي - إبراهيم الخالدي

الناشر
شركة المختلف للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
الكويت - ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م)

عنوان الكتاب: حديث الصحراء (الجزء الأول)
عدد من المقالات والموضوعات المنشورة في ملف «وسم» بمجلة المختلف
المؤلف: مجموعة من الصحفيين والقراء.
إعداد ومراجعة: ناصر السبيعي وإبراهيم الخالدي
عدد الصفحات: ٢٤٥ صفحة من القطع العادي.
صف وتنفيذ: نجود أحمد

(نشرت مواد هذا الكتاب في أعداد متنوعة من مجلة المختلف)

● الناشر:
شركة المختلف للنشر والتوزيع
العنوان: الشويخ - ص.ب: ٦٤١٨٥ - الرمز البريدي: ٧٠٤٥٢
تلفون: ٤٨٢٣٤٣٤/٤٨١٢٠٥٣ - فاكس: ٤٨١٢٢٤٨

● التوزيع:
المجموعة الاعلامية العالمية
العنوان: الشويخ - ص.ب: ٦٤١٨٥ - الرمز البريدي: ٧٠٤٥٢
تلفون: ٤٨٢٣٩٣٩/٤٨٢٤٢٤٩ - فاكس: ٤٨١٢٢٤٨

فهرس المحتويات

• الفصل الأول: سيرة شاعر

الفصل الثالث: قصص من الماضي

● **الفصل الرابع: مثايل**

• الفصل الخامس: رحالة

المختلف .. والتراث

كان الإهتمام بتراث المنطقة واستخراج كنوزه وتقديمه للقارئ بصورة رصينة ومتقنة ومحققة واحداً من أهم الأهداف التي وضعتها مجلة «المختلف» نصب عينيها منذ صدور عددها الأول في ٢٥ فبراير ١٩٩٠م (١٤١٠هـ)، وقد استمرت موضوعات التراث تأخذ مكانها المميز ضمن بقية موضوعات المجلة إلى أن تم تأسيس ملف «وسم» في العدد ٤٥ (إبريل ١٩٩٥م)، وأخذ شكل الملف يتطور إلى أن تم فصله في ملحق خاص بتبويب ونوعية ورق وترقيم صفحات منفصل عن المجلة في العدد ٧٦ (نوفمبر ١٩٩٧م)، وليستمر بهذا الشكل حتى يومنا هذا إذ صدر منه حتى الآن أكثر من خمسين عدداً.

وقد تعاقب على إعداد هذا الملف منذ العدد ٤٥ نخبة من الزملاء المميزين في مجال الصحافة والبحث، وهم حسب الترتيب الزمني لتوليهم هذه المسؤولية: «إبراهيم الخالدي - فالح الهاجري - بريكان الفالح -سليمان الفليح» ثم عاد الزميل إبراهيم الخالدي ليتولى إعداد الملف مرة ثانية منذ العدد ٩٠ (يناير ١٩٩٩م) وحتى يومنا هذا.

وقد حرصنا في «المختلف» على أن يكون لملف «وسم» شخصيته المستقلة بحيث يغدو كمجلة مصغرة تقدم للقارئ نوعية خاصة من الموضوعات والنصوص التي تمنحه إطلالة مميزة على تراثنا واضعين نصب أعيننا أن تكون هذه الإطلالة مضيئة بعيدة عن التحيز أو إثارة النعرات أو الإساءة كما هدفنا لأن يشارك القارئ بقلمه ومعلوماته في الإضافة والإفادة والتعليق على ما ينشر في الملف.

وفي هذا الجزء الأول من كتاب (حديث الصحراء) قمنا باختيار مجموعة مميزة من المواد التي نشرت في ملف «وسم» عساها أن تكون رحلة مفيدة وممتعة للقارئ في تراثنا الغني، ونحن حريصون بعون الله تعالى على أن يتعاقب صدور أجزاء هذا الكتاب في المستقبل لتكون هدية متواضعة من مجلة المختلف لقرائها ودلالة حرصنا على ترسيخ هوية شعوبنا الثقافية.

ناصر السبيعي

رئيس تحرير مجلة المختلف

هذا الكتاب

بدأت علاقتي بملف «وسم» في مجلة «المختلف» منذ أن تحول باب «كلاسيك» إلى ملف خاص بالتراث الشعبي إعتباراً من العدد ٤٥ (إبريل ١٩٩٥م) ، وقد قمت بإعداد مواد بعض الأعداد التالية إلى أن استلم إعداده الزميل الشاعر فالح الهاجري ثم الزميل بريكان الفالح السبيعي ، فقاما بتطويره بشكل أكسبه شخصيته المميزة ثم كان التطور الهائل الذي تحقق بفضل أستاذنا الكبير الشاعر المبدع سليمان الفليح حين استلم المهمة فأعطى هذا الملف لأكثر من سنتين عصارة فكره وخبرته في مجالات الشعر والصحافة والتراث ، فأتعب من جاء بعده ولم يترك لمجتهد إلا شرف السير على منواله والإستلهام من روحه الجميلة زاداً لتشكيل مستقبل الملف.

وقد تشرفت في العدد ٩٠ (بعد استقرار أستاذي سليمان الفليح في الشقيقة السعودية) بأن أخلفه في مهمة إعداد ملف «وسم».. وها أنا أحاول جاهداً أن أقدمه بالشكل الذي يرضي قارئ «المختلف» حتى يومنا هذا ، وهو أمر لم يكن ليتحقق لولا مساندة وإسهام الزملاء في المجلة داخل الكويت ومراسليها في الخارج ، وقبل ذلك شريحة واسعة من القراء الذين يسهمون شهرياً في إمداد «وسم» بكل ما هو مفيد من مواد ونصوص يحملها البريد إلينا.

وتشرفت أكثر عندما طلب مني الزميل الأخ ناصر السبيعي المساعدة في إعداد ومراجعة الجزء الأول من هذا الكتاب (حديث الصحراء) ، وهو كتاب يحتوي على نخبة مما نشر في «وسم» من موضوعات ونصوص وصور ، وهو مشروع كبير تطمح له «المختلف» بأن تقدم «وسم» في أجزاء كتاب ضخم تحفظ الجهود الكبيرة التي بذلت من قبل كتّاب وباحثين وقرّاء على امتداد أعداد المجلة التي تجاوزت حتى الآن الـ ١٢٥ عدداً شهرياً.

والجزء الأول من (حديث الصحراء) الذي تتصفحونه الآن هو الخطوة الأولى في طريقنا الطويل - إن شاء الله - وهو يمثل أقل من خُمس المادة التي نراها صالحة للنشر في هذا الكتاب ، وبالتالي فإن أجزاء الكتاب القادمة لن تقل مستوى عما هو موجود فيه ، ونتمنى أن تنال اختياراتنا إعجابكم.

وقد قُسم هذا الجزء من (حديث الصحراء) إلى ستة فصول هي:

- الفصل الأول: فرسان من الماضي-

ويحتوي على سيرة ١٨ فارساً من فرسان الجزيرة العربية سواء من كانوا من الشعراء أو من غيرهم إعترافاً بفضلهم وتخليداً لذكراهم، وليكونوا نبراساً تقتبس منه الأجيال القادمة مبادئ الشرف والبطولة.

● الفصل الثاني: سيرة شاعر -

ويحتوي على سيرة لحياة ١٨ شاعراً من أعلام الشعر النبطي في الماضي.

● الفصل الثالث: قصص من الماضي -

ويحتوي على ١٨ قصة من تراثنا الشعبي ، ومعظمها مصحوب بالقصائد التي تعبر عنها أصدق تعبير.

● الفصل الرابع: مثايل -

ويحتوي على ٢٥ نصاً شعرياً من تراث القصيدة النبطية مصحوبة بتقديم واف لموضوعاتها وظروفها وتعريف بشعرائها.

● الفصل الخامس: رحالة -

ويحتوي على موضوعات تعرِّف بـ ١٤ رحالة أجنبي جابوا أرجاء الجزيرة العربية ، وتقدم وصفاً لمشاهداتهم وأهم آرائهم مع التعليق عليها وتبيان مواطن الصواب والخطأ فيها.

● الفصل السادس: عدسة الماضي -

ويحتوي على مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية التي تقدم الماضي حياً وملموساً ، وهي صور نادرة ومعبرة بشكل تعجز الكلمات غالباً عن تقديمه.

،،، والله الموفق ،،،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبدالله وآله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين .. آمين.

إبراهيم الخالدي

مستشار تحرير مجلة المختلف

يوم السبت ١٦ رمضان ١٤٢٢هـ - ١ ديسمبر ٢٠٠١م

الفصل الأول:
فرسان من الماضي

(ترتيب الشخصيات حسب الحروف الهجائية)

أحمد السديري

شخصية تعد من الشخصيات المتميزة في زمانها إذ أنه كان أميراً وقائداً للجيوش مشهوداً له بالكفاءة والشجاعة كما كان شاعراً نبطياً خلّدت له الذاكرة النبطية عدداً من القصائد بالإضافة إلى كونه على علاقة حميمة بعدد من كبار الشعراء في تاريخنا النبطي فتبادل معهم المراسلات الشعرية الجميلة.

ذاك هو «أحمد السديري» الذي نعرف له أيضاً أنه والد «سارة» والدة الملك عبدالعزيز آل سعود «يرحمه الله» مؤسس المملكة العربية السعودية.

وآل السديري قسم من البدارين من آل زايد من قبيلة الدواسر المعروفة، واستقرار السدارى ومقر زعامتهم كما هو معروف في «الغاط» من بلدان نجد المعروفة.

يبدأ ذكر الأمير أحمد بن محمد السديري في كتاب «عنوان المجد» لابن بشر سنة ١٢٣٩هـ (١٨٢٤م) عندما يفد باعتباره رئيساً لبلدة الغاط فيبايع الإمام تركي بن عبدالله آل سعود، وذلك قبل فتح الرياض وتأسيس الدولة السعودية الثانية.

وقد صار أحمد لسديري من القادة الذين يعتمد عليهم أئمة آل سعود، فعيّن سنة ١٢٥٣هـ أميراً في سدير ثم أميراً على الأحساء سنة ١٢٥٤هـ ولم يطل به المقام في هذا المنصب حتى أعاد الإمام فيصل تعيينه عى الأحساء سنة ١٢٦٠هـ، وفي فترة لاحقة ولاه على عمان كما اختص أولاده بعدد من الولايات.

أما من جهة الشعر فإن أشهر قصائد أحمد السديري «هلالية» على قافية الباء أولها:

بداجي دجا الديجور هلّت مدامعي
على وجنتي والجفن للنوم حاربه
من الوجد مرتاب إلى الوجد مغرمٍ
بالصبر اعزّي النفس والنفس شاغبه

ومن التغني بالأطلال فيها قوله:

دارٍ لسلمى في مغاني ربوعها
ليالي بها هندٍ لميٍّ مطالبه

مـــحـــاها صـــروف الدهر الايام وانمحت
رســـوم ويلعي بومـــهـــا في خـــرايبـــه

وله قصائد أخرى قليلة منها تلك التي أسندها على الشاعر محمد العبدالله القاضي في الشكوى من الحب أولها:

يالله يا مـــرخي على الناس الاقـــوات
يا من لعـــقـــد العـــسر باليـــسر حليت
يا غـــافـــر الزلات لي فـــيك حـــاجـــات
من الحـــيل والقـــوة وغـــيـــرك تبـــريت

وقد رد عليها القاضي بقصيدة على نفس الطاروق.

وقد توفي أحمد بن محمد السديري سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م)، وذكر الحاتم أنه من المعمرين، وأعقب ستة أولاد هم: «محمد، وتركي، وعبدالمحسن، وعبدالعزيز، وسعد، وعبدالرحمن» ، وله بنات أشهرهن «سارة» والدة الملك عبدالعزيز آل سعود.

وللشاعر فواز السهلي قصيدة في رثائه منها:

ابـكـي شـــــــيـخ ولـد شـــــــيـخ
مـــا جـــانا الا ردّ اخـــبـــــــره
تـبـكـيـــــــه الـهـــــجـن الـلـي حــــفـين
وتـبـكـيـــــــه صـــحـــونه وســـفـــره
تـبـكـيـــــــه دلال نـوجـــــــتـــــــهـن
نـــوجـــــــــــــــــة روض طـــال زهـــره

وقد أثنى الكثير من المؤرخين على أحمد السديري وعددوا محاسنه، فقد وصفه ابن بشر في تاريخه وقال: «له معرفة ورأي وعقل وشجاعة وبراعة وسخاء وبذل ولين وسماحة مع الناس وشدة وقوة على الأنجاس».

وفي موقع آخر قال واصفاً اعتماد الإمام فيصل بن تركي على أحمد السديري وأبنائه: «كان أحمد وبنوه من أحسن الناس سيرة وأصفاهم سريرة وألينهم طبيعة ، ولهم في الولايات فنون رفيعة وسيعة ، فلذلك استعمل الإمام أحمد أميراً في عمان ، وابنه تركي أميراً في الأحساء ونواحيه ، وابنه محمد أميراً في سدير وبلدانه ، وعبدالمحسن ابنه أيضاً أميراً في بلدهم الغاط ، فلو نظرت إلى أصغرهم لقلت هذا بالأدب قد أحاط ، وإن نظرت إلى الأكبر لرأيت فوق ما يذكر. لم يكن في عصرهم

مثلهم للمطيع الصاحب ، ولا أشد منهم على العدو المحارب».

أما المؤرخ إبراهيم بن عيسى فيقول عنه: «كان عاقلاً حليماً عادلاً شهماً حازماً حسن التدبير».

وأقوال الشعراء كثيرة فيه فقد كان أحمد السديري مقصد الشعراء في زمنه ، ولعل ما وصلنا في مدحه رغم كثرته غيض من فيض ضاع مع الأيام ، وممن مدحه الشاعر محمد بن عشبان حيث يقول:

جـانـي ثمـار الحـمـد من كل الانواع
مـع كـل مـداح قـراح اليـنـابيـع
عـدٌ منـازل منهـلـه مـلـح ونـطـاع
أحـمـد حـمـى الوندات زبن المهـازيع
باني حـجـاب المجـد من عـقـب مـا ضـاع
بـالجـود وانهـا بـالبنا لـه صـوامـيـع

ولابن عشبان أيضاً قصيدة أخرى في السديري على البحر الهلالي منها قوله:

صليب العـزا عـز المصـافي وللـعـدا
عـديم ومـبـدا مـا خـفـا من كنونهـا
ومن يـامـن الجـانـي بعـالـي جنابه
ويرعـاه في رجـعـاه مـخـصب دمـوتهـا
حـمـيـد الفـعـال احـمـد سلالة مـحـمـد
رفـيـع المناسب والحـسـب من عـروتهـا

وقال فيه الشاعر محمد بن لعبون:

ملـتـجـينٍ في ذرا سـتـر العـفـاف
أحـمـدٍ لا زال مـزبـان المخـيـف
مـيـمـرٍ تدعـيـك ناره بـالكشـاف
مـرخص الكومـا إلى قلّ الرغـيـف
بـاجـتـوالٍ وانحـوالٍ وانصـراف
كـالسـحـاب الجـود مـا مـدّه قـصـيـف
يـا ثـقـيـل الروز بـايـام الخـفـاف
فـيـك ثقل الروز والطبع الخـفـيـف

وقال أيضاً الشاعر سليم بن عبدالحي شاعر الأحساء في أيامه:

ملفـــاك منجـــوبٍ له الجـــد عـــربي

زبن الحـــفـــايا منوتي «بو شـــهـــابي»

نجل الســـديري عنك ســـوّ الخطر بي

تكفى إلى من جيت عـــيـــد الركـــابي

ريف الدهور اليـــا جـــتـــا كل خـــربي

وامـــحل رمـــيم النيت عـــقب الخـــصـــابي

هيف الســـمـــين ومـــشـــبـــعٍ كل ثربي

إلـــى لـقـــــــوه مـكـمـلـين الـزهـابـي

وفي الشعر الفصيح مدحه شاعر الأحساء إبن مشرف وعبدالجليل الطبطبائي ، ومن أراد التفصيل في ذلك فليراجع بحثاً مهماً للأستاذ أبي عبدالرحمن الظاهري نشره في العدد الأول من مجلته «الدرعية» عن سيرة الأمير أحمد السديري. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٢١) من مجلة المختلف.

أورنس الشعلان

«طراد بن سطام بن حمد الشعلان» واحد من الأبطال العرب الذين ساهموا في تحرير وطنهم من الأتراك، ولأن البدو من عادتهم أن يسموا أولادهم حسب الأمكنة التي يولدون بها أو بأسماء الأوقات أو الوحوش أو الفرسان الذين سبقوهم فقد سمى طراد ابنه الذي ولد وهو برفقة لورنس الانجليزي (لورانس) الا أن البدو كانوا يلفظونه «ورنس» أو «أورنس»، وقيل أن أورنس المولود سنة ١٣٢١هـ (١٩١٣م) سمي في بداية الأمر «حمد» ثم غيّر إلى «أورنس» بعد لقاء أبيه بالضابط الإنكليزي.

شب أورنس أو لورنس الشعلان أميراً بدوياً مغامراً قوي الجنان يضرب به المثل بالشجاعة والأقدام، وقد لعب دوراً بارزاً في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م حيث كان على رأس مجموعة من قبيلته (الرولة) وقد حوصرت هذه المجموعة من قبل الأسرائيليين في ٢٧ مايو ١٩٤٨م بعد أن اصطدم معهم في معركة شرسة وذلك لقطع الطريق بين القدس ورام الله، وكادت أن تفنى مجموعته لكنه استطاع الوصول الى أحد المصفحات العسكرية التابعة للجيش العربي، فعرفه شخص يقال له (قائد) وأوصله من باب العمود الى الشيخ جراح حيث كانت المجموعة الأخرى من رجاله، وأعاد لورنس شن غاراته فدمر المجموعة الاسرائيلية.

وقد عرف عن أورنس عطفه على الفقراء وتوزيعه المال عليهم كما أقام سنة ١٩٧٠م سداً في الصحراء ليشرب منه أعراب البادية، وساعده على ذلك ثراؤه إذ أنه كان يقيم في البادية في بيت (مسوبع)، وله منازل أخرى في العواصم العربية، ويمتلك أكثر من ١٦ ألف رأس من الغنم وأكثر من ٤٠٠ ناقة.

ورغم ذلك فإن شخصيته كانت تتسم بالتواضع وعدم الاستعلاء كما كان نبيلاً يهب لمساعدة المضطهدين والمعسرين ومن تقف الظروف بوجوهم. وكان حديث عصره وزمنه ومضرب المثل في الشجاعة الفائقة والشخصية المتفردة الفذة.

ومما قال الشعراء في مدح أورنس إبان حياته ما قاله كليب بن صالح :

لو ما الله المهدي على الناس مهديك
سويت شيٍّ بالمخاليق ما صار
عمرك تدوّر قلعته مير باليك
واحتار بك ما بين صبره والافكار

يا اورنس شـيـخـان القـبـايل تداريك

من خـوف سـيـفك يقطع الراس بتّـار

توفي أورنس بن طراد الشعلان رحمه الله في عام ١٩٧٦ على اثر جلطة ونزيف حاد في الدماغ، ودفن في صحرائه التي اشعلها بالمغامرات والمآثر والبطولات والشجاعة التي قلما تتكرر في هذا العصر ، وكان له من الولد : «فيصل توفي صغيراً، وممدوح الأول توفي في حادث، وعبدالله، وممدوح الثاني، وسامي، وحمود».

وقد رثاه صديقه الأمير الشاعر محمد السديري بقصيدة رائعة منها:

يسـقـيك يادارٍ شـمـالي عنازه

غـربي الولج ياعلي شـرق الطريبيل

عـزّ الله انه راح فـيـهـا جنازة

صـمـيدع توصّف عليه الرجاجيل

له فيّ عـازات ولي فـيـه عـازة

بوقت اللزوم اذا حـصل بالدهر مـيل

من شـبّـتـه ياما قطع من مـفازة

وياما ظهر من غـرقـةٍ كنّها الليل

رقا سنام المجد والطيب حـازه

وبيته لعصمان الشوارب مداهيل

قلبه من البالود مـا هو قـزازه

والغيض قـد فـجّـر قلوبٍ مـغاليل

وان داخل الشـردان رعب ونزازة

الذلّ مـا يلقى عليه المداخيل

«هزيم» حطّوا حـفـرته بالعزازة

براس الطويلة وارفع القـبـر بالحيل

ومن الذهب حطّوا لقـبـره ركـازة

ومن صافي الياقوت حطّوا قناديل

حـتى يجـيـه اللي بعـيـدٍ مثازه

ويلقى بقربه شمّخ القود والحيل (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٧٩) من مجلة المختلف.

بادي بن دبيَان

من شعراء الجيل الأخير من شعراء النبط التاريخيين يقف «بادي بن دبيّان السبيعي» بين مصاف الشعراء الذين قدموا لنا نماذج في مزج الشعر بالفروسية حيث تكون الكلمة مطابقة لفعل قائلها.

شاعرنا هو الفارس «بادي بن دبيّان بن فالح» من عجمان الرخم من بني عامر من قبيلة سبيع. ولد سنة ١٣١٣هـ (١٨٩٥م) المسماة بـ «سنة حمّى» ، وقضى شبابه مرافقاً للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (طيّب الله ثراه) حتى استتب الأمن بتوحيد المملكة. فاختار «بادي» مرافقة سمو الأمير عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود (رحمه الله) وبقي في مرافقته له حتى انتقل الأمير عبدالله الى جوار ربّه، فاستقر «بادي» في هجرة «الضبيعة» إحدى ضواحي مدينة الخرج وعاش فيها بقية حياته حتى توفي - رحمه الله - يوم الجمعة الخامس من جمادي الأولى سنة ١٤٠٨هـ (أواخر ديسمبر ١٩٨٧م).

عُرف عن بادي بن دبيّان أنه كان من أتقى الرجال وأشدهم تمسكاً بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ منذ صغره حتى وفاته، وهذه الصفة وحدها تكفيه فخراً عن بقية الصفات التي لم يترك منها - رحمه الله - حميداً إلاّ اتصّف به، وعُرف عنه التواضع وقلّة الحديث عن نفسه ولا يحب أن يشكره أحد على فعل الطيب فهو لا يراه إلا واجباً ، ومما عرف عن بادي بن دبيّان أيضاً ولاؤه واخلاصه لوطنه وتفانيه في تنفيذ أوامر ولاة الأمر بدقة وأمانة.

وكان لابد لرجل له تلك الأخلاق والصفات من فروسية مميزة ، وهذا ما كان يتمتع به الفارس بادي بن دبيّان بالفعل ، ولكن لم تقف فروسيته على الشجاعة والاستبسال في ميادين القتال فحسب بل تعدّت ذلك الى تميزه بإجادة أعمال (السبارة) ومعناها: «القدرة على استطلاع مواقع قوة العدو ، ومعرفة امكاناته الحربية التي تمكن معرفتها من السيطرة عليه» ، وهي مهمة صعبة لا يكتسبها الفارس إلاّ إذا توفرت فيه موهبة الفراسة بالفطرة ، وقد وجد الملك عبدالعزيز الكفاءة العالية في «سبارته» فأسند إليه مثل هذه المهمات.

وبعد وفاة الملك عبدالعزيز سنة ١٩٥٣م سار أبناؤه على نهجه في تكريم وتقدير الرجال الذين أسهموا في توحيد الجزيرة العربية ومنهم الفارس «بادي بن دبيّان»،

فحفظوا له ما كان يحظى به من مقام رفيع عند الملك عبدالعزيز واستمروا على ذلك حتى وفاة بادي رحمه الله.

أما إذا جئنا إلى شعر بادي بن دبيان فسنجده مرآة تعكس حياته كما في قوله:

عندي ركوب ملافخات المشاعيب
أحبّ عندي من ظلال القصوري
يا طول ما رحنا على الفطر الشيب
لى قابل النسوان كل امعشوري
قدامهم شرّفت روس المراقيب
أنا ومثلي للنشاما «سبوري»

كما أن صورة الفارس ظاهرة بجلاء في هذه الأبيات التي قالها بادي:

يا طول ما رحنا على اكوار حيلي
مع المضاحي في ديار الاجانيب
يا ما حلا المرواح عقب المقيلي
متلطمين وسوقنا بالعراقيب
واليا ركبنا رافعات الشليلي
قحص المهار مودبات تواديب
كم واحد عقناه ماله مثيلي
خلّي عشا لى طاح للطير والذيب
يوم الرخوم يشرّفون النثيلي
بين البيوت وعند بيض الرعابيب

وعندما تقدم السن بشاعرنا أصبحت قصائده تعكس تجربته الطويلة في الحياة، فكان يوجه الجيل الحاضر الى التقوى وطاعة الله والتحلي بالصفات الحميدة التي تحلى بها جيله الأول كما في قوله:

تكفون لا تمشون ممشى المهابيل
وصيّة للي حضر والغيابي
خلّوا مماشيكم مماشي رجاجيل
عضّوا على شيماتكم بالنيابي
سوّوا سوات ابوانكم يا مهاشيل
بالطيب والشيمة وسهل الجنابي

والديـن راس المال مـــا فـيــــه تشكيل

ينفــعك عــقب الموت عند الحــــابي

وفي آخر سنوات عمره أحس الشاعر بألم في رجله وتوقع أن سببه كبر السن، فقال مناجياً رجله ومفاخراً بمشيها مع «بيرق» الملك عبدالعزيز:

يا رجلي اللي صــار فــيــهـا رمـيَـة

مــدري مــرض والا من الكبــر جــاني

مـــــا هــيب تمشي في الـدروب الـرديَة

ولا شكوا منهــــا جــــمـيـع الأداني

يا مـــــا مــشت بي في دروب خـليــه

لى قـــابل النســـوان خطو الهــداني

مــــرُ مع الجـمــعــة، ومــرُ سـريه

ومــرُ مع البـيــرق وخـيـل الخـواني (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٨) من مجلة المختلف.

جهز بن شرار

عندما تجتمع الفروسية والزعامة والشعر في شخص فأية سيرة جميلة سنقرأ، وأية أخبار ستسمع سوى أحاديث البطولة والشجاعة، وهذا بالضبط ما نتلقاه ونحن نفتش في سيرة «جهز بن شرار» الفارس والزعيم والشاعر.

هو «جهز بن فازع بن شرار» شيخ ميمون من بني عبدالله من قبيلة مطير، ويرجع هذا البطن إلى بني عبدالله بن غطفان تلك القبيلة التي ظهر منها بعض الصحابة ومشاهير الشخصيات في الجاهلية وصدر الإسلام.

عاش جهز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات القرن العشرين حيث أنه توفي في الأثلة عن عمر مديد سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م)، ورسمت قصائده ومناسباتها الملامح الرئيسية لما نعرفه عن سيرته.

في صباه تحدث إحدى المعارك ولا يجد جهز فرساً يركبها سوى إحدى أفراس أبيه التي أعطاها لشخص يدعى «كديميس»، ويغضب جهز لفوات الفرصة عليه في القتال والذود عن قبيلته فيكتب قصيدة طالباً من فرسان القبيلة المعادية أن يقتلوا كديميس، وبالفعل يقومون بذلك إكراماً لخاطره ويرسلون الفرس إلى جهز فيا لها من أخلاق وكرم ونبل من الطرفين قل نظيره ، ومن تلك القصيدة:

عسى فقيدة قوم «فازع» كديميس
يضرب برمحٍ بين الاضلاع هاوي
اما انت يا مثال والا انت يا نعيس
تلقفوا له عندكم بالحراوي
حيث انكم فريس وعيال فريس
أهل مهار الخيل ما انتم شواوي

ويكبر جهز وفعاله، ويصبح عقيداً للغزوات ويستمر الشعر يرافقه ونسمع قوله:

اليا تعلينا على اكوارِ حزاب
هجنٍ يبوجنْ الديار الخليّة
لى جا لهن مع أيمن النير مضراب
وما حدّرت شرمة إلى الشبرميّة

كم ذود مــصــلاحٍ نحـرك له اسـبــاب

وحنا إلى شــا اللـه نشـــتّت نويّه

إن جـيت اعــدٍ اكــواننا عــدٍ وحــساب

كــواينٍ بفــعــول مــا هي خــفــيّــة

ومن حداء الخيل نقرأ لجهز بن شرار:

يــا صــايحٍ جــانا قـــبـــال الـلـيل

عـــدايـلـه شـــولٍ حـــــراب

شلنا على عـــوص النضـــا والخــيل

كله رجــا اللي طالبـــه مـــا خـــاب

لعـــيـــون من دق الـشـــمـــر والهـيل

واللي حـــضـــر منا كـــفى الـغـــيـّاب

وله أيضاً هذه الحداة:

مـلـحٍ عـلـيـــهـن الـوســـــــوم

«الـبـــاب» فـــوق ارقـــابـهـــا

يـوم الحـــرايـب والـزحـــــوم

انـا احـــمـــد اللي جـــابـهـــا

وكان جهز بن شرار في شعره كثيراً ما يصف الوقائع والغزوات التي يقوم بها، ولكنه عفيف اللسان لا يشتم ولا يذم بل يعطي خصومه ما يستحقون من المدح فهاهو يقول عن أعدائه الذين حاربهم:

شـــيـوخ الضـحى صـبّـابة الشـاذلـيـة

أيضــاً إلى جت للفـعـــايل مـــديحين

مـــا اذمّـــهم واللـه رقـــيـبٍ عليّـــه

مـــعـــيـيّ الله والقـــبـــايل مـــعـــيّين

ومن القصص التي تروى عن جهز بن شرار أنه ذهب مرة للسوق في إحدى المدن لشراء القهوة فوجد المحلات قد أغلقت لراحة الظهر، وتجول قليلاً لعله يجد مجلساً مفتوحاً يرتاح فيه إلى أن يحل العصر وتفتح المحلات مرة أخرى فلم يجد باباً مفتوحاً، وهنا تذكر حي العوالي بالمدينة المنورة حيث منازل أصدقائه من قبيلة حرب والذين تعودوا فتح أبوابهم للضيوف حتى لا يحتاج أحد لمجرد طرق الباب قبل الدخول، وأمام هذه المقارنة قال جهز:

داربهــا مــرّ الفناجــيل غــالي
مــالي شــيوخٍ يوم انا في وطنهــا
يا ليــتني ســيّــرت صــوب «العــوالي»
اللي ترحّب بالمســـايـــــر اهلهــا
شــرابة للكيف لو كــان غــالي
ولا صكوا البــيــبان عــمّن دهلهــا

وفي أواخر عمره اتجه جهز بن شرار في شعره نحو الزهد وطلب المغفرة من رب العالمين، ونلمس في شعره بهذه المرحلة كم كان هذا الفارس المغوار يحمل من الإيمان العميق في قلبه، ونقرأ له قصيدة يوجهها لابنه «صنيتان»:

دنيــاً فــرحــهــا من كــرهــا قــريبي
هنيّ من لا اشــقــاه همّــه عن الغــيب
طرايف الدنيــا تحــضــر وتغــيــبي
لو ســاعــفت بواقــة للأصــاحــيب
صنيــتــان يا ابني كــان لك بان عــيــبي
إســتــر عليّ ان كــان فــيّــه عــذاريب
يامــا جــرا لي في شــبــابي وشــيــبي
من قطعــة الفــرجــة على شــمّخ النيب
وقــحص المهار مــشــعــثرات السبــيــبي
جــرايرٍ يشــبــع بهــا الطيــر والذيب

وله في الشكوى من الشيب:

أقــفت يا بو فــيــحــان واقــفى بهــا الشــيب
الشــيــب جــاني دوب مــاني باودّه
الشــيــب اشــوفــه مــرّتٍ بي عــذاريب
يبــدّ عــدّاده الى جــا يعــدّه
الشــيــب يردي المرجلة لو لقى طيب
يلزم صــحــيــبــه لين عنهــا يردّه (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٩) من مجلة المختلف.

حجرف الذويبي

شخصية جمعت بين الشعر والمشيخة والكرم، فكان نتاج هذه القيم النبيلة الثلاثة علم من أعلام الشعر النبطي هو «حجرف الذويبي».

عاش حجرف بن عياد الذويبي من شيوخ بني عمرو من قبيلة حرب في القرن الثالث عشر الهجري فقد ذكر ابن بشر والده في أحداث سنة ١٢٢٩هـ ، ويرجع الباحث فايز البدراني وفاته بسنة ١٢٨٠هـ ، والمعتقد أنه توفي بعد هذا التاريخ بحوالي عشر سنوات كما سيتضح لاحقاً.

وآل الذويبي أسرة معروفة ظهر منها الكثير من الفرسان المعروفين في حوادث تاريخ المنطقة أما حجرف الذويبي فقد انقرض عقبه بوفاة حفيده دارع بن عبيد بن حجرف سنة ١٣٣٠هـ ، وهذا ما ذكره الباحث فايز البدراني إلا أن قارئاً راسل مجلة المختلف ذكر أنه «نايف بن فهد بن ناصر بن حجرف الذويبي» نافياً أن ذرية حجرف قد انقرضت وأفاد أن ذرية حجرف الذويبي تتركز في أولاده الثلاثة وهم:

١- كهف ، وقد هاجر إلى العراق وله ذرية من أولاد وأحفاد استقروا هناك حتى يومنا هذا ، وقد كان شقيق القارئ على اتصال ببقيتهم حتى وفاة ذلك الشقيق قبل عشرين عاماً.

٢- دارع: وقد توفي عام ١٣٣٠هـ وانقطع عقبه بوفاته.

٣- ناصر: وله ولدين والكثير من الأحفاد حالياً، وابني ناصر هما «نايف وفهد» يرحمهما الله جميعاً والأخير هو والد القارئ نايف الذي راسلنا بهذه المعلومات.

وقد بعث إلينا الباحث فايز البدراني في مجلة المختلف بعد ذلك بشهادة من كبار الذوبة تؤكد انقراض عقب حجرف حيث أن القارئ المذكور هو من ذرية «كهف بن عياد» شقيق حجرف.

ومن الغريب أن حجرف الذويبي هذا الشاعر الذي يعرفه جميع عشاق الأدب الشعبي حتى أن طلال السعيد في موسوعته النبطية اعتبره من الأعلام المعدودين في تاريخ الشعر النبطي لا تعرف له سوى قصيدة واحدة هي سبب شهرته كشاعر وهي تراثه الوحيد المتبقي بين أيدينا، ولكن القارئ نايف الذي ذكرناه آنفاً أشار إلى

أنه بصدد إنجاز كتاب يتناول سيرة جده حجرف الذويبي سيتضمن الكثير من القصائد المعروفة له، وكذلك قصائد أخرى ربما لم تصل للناس بشكلها الصحيح.

أما القصيدة الوحيدة التي بحوزتنا حالياً والتي أسطرها الرواة الشعبيون وزادوا عليها من التفصيلات ما جعلها مثيرة دراميا، ولكن ملخصها أن أحداً ما لام حجرف على كرمه الزائد فقال:

يقـــول ابن عـــيّـــاد وان بات ســـاهر
مـــاني ولد خـبـلٍ همـــومـــه تشـــايله
مـــاني بمسكينٍ ليـــا قل مـــرزقـــه
ضـــيّق بـربعـــه يوم قلّت مـــحـــايله
انا ليـــا ضـــاقت عليّــــه توسّـــعت
يفـــرج لي اللي مـــا تعـــدّد فـــضـــايله
يرزقني رزّاق الحـــيـــايا بجـــحـــرها
لا طالعت برقٍ ولا هي مـــخـــايله
مـــا حـــدّرت زملٍ نصى صـــوب قـــرية
ولا وردت عـــدٍّ قـــراحٍ ثـمـــايلـه
ترى رزق غـــيـــري يا مـــلا مـــا ينولني
ورزقي يجي لو كل حيٍّ يحـــايله
جـــمـــيع مـــا حـــشنا ندوّر به الثنا
ومـــا راح منّا عـــاضنا الله بدايله
نوبٍ نحـــوش الفـــود من ديرة العـــدا
ونعـــوّض اللي ذاهبـــاتٍ عـــدايله
خـــزٍّ بالايدي مـــا دفـــعنا به الثـــمن
ثمنهـــا الدمـــا بمطارد الخـــيل ســـايله
مع لابةٍ فـــرســـان نطّاحـــة العـــدا
كم طامعٍ جـــانا واخـــذنا زمـــايله

وحسب ما يرويه منديل الفهيد أن حجرفاً اشتهر بذبح الغنم والإبل للضيوف، وكان يعدم كل ما عنده لكن جماعته كانوا يجمعون له بعد ذلك ما يمكنه من القيام بواجبات الكرم، وفي إحدى السنوات قرر أقربائه قطع هذه العادة لثنيه عن الإسراف في نحر الإبل، ولامته زوجته على ذلك أيضاً فخرج يمشي في الفلاة،

وهناك رأى ثعباناً أعمى خرج من وسط شجرة مظهراً رأسه فقط، فجاء طير فظن الثعبان غصناً وحط عليه فأكله الثعبان ، وفي المساء حدث نفس الموقف فقال الذويبي: «اللي يرزق هالداب الأعمى ما هو مخليني» وأنشد القصيدة السابقة.

وقد ورد إسم حجرف الذويبي في وثيقة نشر البدراني مفادها تعود إلى سنة ١٢٤٦هـ ومضمونها تكليف الشيخ عامر بن ربيق بمشيخة العطور من حرب ، وقد كان الذويبي من شهود الإتفاق كما ورد اسم حجرف الذويبي ضمن شهود إتفاق بين بني عمرو سنة ١٢٨٨هـ ، وبهذا يكون شاعرنا حجرف الذويبي قد توفي بعد هذا التاريخ. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٧) من مجلة المختلف.

راكان بن حثلين

إذا كانت سجون الروم في تركيا شهدت أميراً وشاعراً عربياً هو «أبو فراس الحمداني» فإن سجونها عايشت في العصور المتأخرة أميراً وشاعراً آخر لا يقل عن الحمداني شهرة وأفعالاً هو «راكان بن حثلين»، ومثلما وقف أبو فراس الحمداني على كوة السجن منشداً:

أقـول وقـد ناحت بقـربي حـمـامـة
أيا جـارتا لو تـعلمين بحـالي
أيا جـارتا مـا أنصف الدهر بيننا
تعـالي أقاسـمك الهمـوم تعـالي

وقف راكان على كوة مشابهة ويقول:

لا واهني يا طيـر من هو معك حـام
ابيك تنقل لي حـمـايض علومي

هو: «راكان بن فلاح بن مانع بن سالم بن العبد آل حثلين المعيضي العجمي اليامي»، ومن غير المعروف على وجه التحديد السنة التي ولد فيها، ولكنها ترجح بسنة ١٢٣٠هـ (١٨١٥م)، وتزعم قبيلته بعد تنازل عمه حزام له سنة ١٢٦٢هـ.

ومما يحكي عن راكان قبل حوادث أسره التركي غزوته بالتحالف مع المنتفق سنة ١٢٧٧هـ على الزبير وأطراف العراق، ولعلها سببت نقمة الأتراك عليه ثم معركة الطبعة المشهور قرب المطلاع في الكويت سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦١م)، والتي اضطر بعدها للذهاب إلى البحرين في ضيافة شيوخها آل خليفة، وهي ما يحلو لبعض الكتاب بتسميتها «المنفى الأول» في حياة راكان.

أما الحادثة الأهم في حياة راكان بن حثلين وأعني منفاه التركي فقد حدثت عندما استغل والي بغداد مدحت باشا فرصة تفكك الدولة السعودية الثانية لتعود جيوش الأتراك لاحتلال الأحساء سنة ١٢٨٨هـ، وحالما تستقر الأوضاع يلجأ المحتل لتصفية المعارضين فيكون «راكان» ضحية للغدر، ويتم أسر «راكان» حيلة وينقل إلى سجون «نيش» في صربيا التابعة لتركيا حيث يقضي هناك سبعة أعوام من عمره.

أسر راكان حدث غير بعيد عن الأحساء أما طريقته فمختلفة بين ما تذكره الروايات الشعبية وما تؤكده الوثائق التركية، ولكن الرواية الشعبية تذكر أنه أسر

غدراً هو ورفيق له يدعى «دهام» خارج بلدة الأحساء بعدما عرفوه، واختطف إلى الجبيل حيث أركب في سفينة إلى بغداد، ويذكر أن دهاماً آذى الأتراك في السفينة فألقوه في البحر، وكان راكان قد طلب منه قبل ذلك تركه والعودة إلى بلاده لأن الأتراك لا يريدون أسره فلم يقبل.

وعن الرحلة في السفينة والطعام فيها يقول راكان:

عـــقب المعـــزّة صـــــار كنّا دراويش
الكلّ منّا خـــبـــزتـه في يمينـه
لا عـــاد لا قـــهـــوة ولا عـــاد به عـــيش
ولا عـــاد به فطحـــة خـــروفٍ ســـمـــينة

وله أيضاً مخاطباً حارسه الضابط التركي «حمزة» :

«حـــمـــزة» مـــشـــينا من ديار المحـــبـين
الله يـرجّـــعـنا عليـــهـم سلـومي
مـــشـــوا بنا العـــسكر لدار الســـلاطين
في مـــركـبٍ جـــزواه تـركٍ وروميِ
عـــشـــرين ليلٍ بمّة الغـــرب مـــقـــفين
مـــا حن نشـــوف الا الســـمـــا والنجـــومي
من الخـــداعـــة واحـــتـــيـــال الملاعين
هـيـــهـــات لو انّي عـــرفت العلـومي

ورغم الأسر ومشاعر الغبن تستثار نخوة الفارس المسلم، وهو يرى جيش الأتراك المسلم يخوض حرباً ضد صرب البوغسلاف فيتطوع «راكان» في تلك الحرب، ويبلي فيها بلاء أذهل الأتراك لما وجدوه يبارز عملاقاً من الصرب ويصرعه ، وجرح راكان في تلك الحرب مما أدى إلى أن يرفع الصدر الأعظم كتاباً يشرح فيه بطولات راكان الذي صار الإفراج عنه وإعادته إلى وطنه معززاً مكرماً أبسط جزاء على ما قدم.

وجاء في تلك العريضة المؤرخة في ١٤ جمادي الأول ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) ما نصه: «إن شيخ قبيلة العجمان محمد راكان المستقرة في داخل نجد قد نفي قبل سبع سنوات إلى نيش بسبب جنحة مقترفة، وبحكم المجاورة لموقع الحرب التي دارت مع الصرب فإنه اندفع وخاض غمارها وأبرز شجاعة مشهودة وبسالة مفتخرة، وتقدم بعرض حاله المرفق ملتمساً العفو وإطلاق سراحه، وحيث أنه متقدم في السن نرى أنه جدير بالمرحمة ولا بأس من تخلية سبيله».

وعندما يخيّر بين أنواع المكافئات والإقطاعات في بلاد الترك لا يجد في نفسه أفضل من العودة إلى «الدهناء والصمان» يتنفس هواؤهما ويتزود من شميم عرارهما، ويرجع إلى وطنه منشداً:

يا فـــاطري خـــبّي طوارف طمـــيّـــه
إلى زمى لك لون خـــشم الحـــصـــاني
خـــبّي خـــبـــيب الذيب في جـــرهديّة
لـــى طـــالـــع الـــزيـــلان والـــلـــيـــل دانـــي
تذكـــر المشـــحـــون ديران حـــيّـــه
مـــسّـــوا حـــبـــال اكـــوارهن بالمثـــاني
نبـــغي ندوّر طفلةٍ عـــســـوجـــيّـــة
ريحـــة نســـمـــهـــا كـــالزباد العـــمـــاني

وصل راكان ورفيقه إلى جدة في رمضان سنة ١٢٩٤هـ حيث قاما بزيارة مكة والمدينة ثم توجها إلى حائل لشكر أميرها محمد الرشيد على ما قام به من وساطة حيث استقبله محمد بكل حفاوة، وانصرف من عنده محملاً بالهدايا.

وفي سنواته الأخيرة إلتقى راكان في مجلس الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين بصبي يافع من أسرة آل سعود، وكان راكان قد وصل المجلس متأخراً ولم يجد مكاناً لائقاً به، فما كان من هذا الصبي إلا أن ناداه وأفسح له مكاناً بجانبه، فقال عيسى آل خليفة للصبي: «جزاك الله خير، وطرح فيك البركة، والله لا يخلينا من حمولتكم التي تحافظ على سمعة العرب وشرفهم»، وكذلك قال راكان للصبي: «الله لا يخلينا من آل سعود»...

ولم يكن ذلك الصبي إلا الملك عبدالعزيز آل سعود.

■ الوفاة والذرية:

توفي راكان في شوال ١٣١٤هـ (١٨٩٧م) ويستدل على هذا التاريخ من كون آخر راتب دفعه الأتراك لراكان كان في بداية ذلك الشهر، وفي آخره طلب تحويل راتبه إلى ولده فلاح، ويقدر ذلك الراتب بـ ٤٠٠ قرش، ولكن فلاح لم يعمر طويلاً فتوفي في شوال ١٣١٨هـ (فبراير ١٩٠١م)، وله ذرية معروفة إلى يومنا هذا. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٤٣) من مجلة المختلف.

سعدون العواجي

أن يفقد أب ولديه دفعة واحدة أمر من الصعب تحمله، ولكن هذا ما حدث مع سعدون العواجي شيخ «ولد سليمان»، وهو فخذ من قبيلة عنزة الوائلية العربية.

عاش «سعدون بن سليمان بن سعيد بن شعيل بن نومس بن دليم العواجي» قبل أكثر من قرنين، وكان شاعراً وفارساً وأميراً ، وقد اشتهر بين الناس بمواقفه البطولية وقصائده التي لا تمل ترجم بها مواقفه، فأضحت سجلاً يؤرخ حياته إذ لم تكن قصائدة من نسج الخيال بل كانت من صميم الواقع تؤرخ وتسجل الحوادث التي يمر بها الشاعر لتحفظها الأيام.

وقد قدم الأمير محمد السديري قصة الشيخ سعدون العواجي بشكل واف في كتابه «أبطال من الصحراء»، وهو بذلك يعد المصدر الأساس للكتابة عن حياته.

وقد بقي سعدون العواجي أميراً لجماعته مدة طويلة.. ثم برز من أبناء عمومته رجل يدعى «شامخ» (لعله عم سعدون شامخ بن سعيد) نافسه على زعامة القبيلة حتى انتزعها منه، ولم يكتف بذلك بل بالغ بإهانة سعدون العواجي، ولما كان للعواجي ولدان هما «عقاب وحجاب» عند أخوالهما فإنه بعث إليهما قصيدة يطلب نجدتهما، فعادا ونصرا أباهما وأعادا الأمور إلى نصابها، والقصيدة مشهورة يقول سعدون من ضمنها:

إسلم وسلّم لي على عــقـــاب وحــجـــاب
سلمَ على مـضنون عـيني ليـا الفـيت
بالحـــال خصّ عـــقـــاب فكّاك الأنشـاب
ينجـيك كـــان انّك عن الحق عـــديت
قلّه ترى «شــامخ» شــمخ عــقب مــا شـاب
يا عـــقـــاب والـلـه ذلّـلوني وذلّـيت
يا عـقـاب حطّ بشـومـة القلب مـخـلاب
من العــام من نوم العــرب مــا تهنّيت

وعاد سعدون إلى مشيخته فخاض مع أبنائه المعارك التي تكللت غالبها بالنصر حتى ازدات نفوذه وتوسعت حدود مشيخته إلى أن جاءت إحدى المعارك التي أسفرت عن المصيبة فقتل عقاب وحجاب ودفنا في مكان صار يسمى الآن «أبرق الشيوخ»

نسبة إليهما وما زال قبريهما واضحين حتى الآن، وقال الأب المفجوع سعدون العواجي فيهما الكثير من المرثيات ومنها قوله:

يا ونّة ونّيــــتــــهــــا تسع ونّات
مع تسع مع تسعين مع عشر الوفي
على سيوف بالملاقى مهمّات
سيفين أغلى ما غدا من سيوفي

ومن قصائد سعدون أبيات قالها بعد ثماني سنوات من مقتل ولديه، وهي في حفيده ولد «عقاب» الذي بدأ حينها يسعى للأخذ بثأر أبيه الذي خلفه طفلاً صغيراً:

فاتت ثمان سنين والثار غادي
مواكرك يا عقاب عقبانها صغار
عضود فرخك ما تجيد الهدادي
سنّه صغير ولا تمكّن من الثار
واليوم يروي مرهفات الهنادي
والخيل من فعله هزايم وعبّار
إلى عثنا بمشمّرات الجوادي
يا عقاب مثلك لاحمر الدمّ نثّار (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٤) من مجلة المختلف.

شالح بن هدلان

واحد من مشاهير الشعراء في تاريخنا النبطي ، وتدور حكايته حول مأساة «الفقد» التي لازمته مرتين وفي أعز من يحب.

ذلك هو الفارس «شالح بن حطاب بن هدلان» من الخنافرة وهم فخذ من قبيلة آل محمد القحطانية. عاش الى سنة ١٣٤٠هـ تقريباً، وكان مثالياً بشجاعته وأمانته وصدقه وحسن أخلاقه وكرمه ووفائه.. وكان يحكّم لحل المشاكل سواء كانت على مستوى قبلي، أو فردي.. وكان محبوباً عند قبائل قحطان والقبائل الآخري.

كان لشالح أخ أصغر يسمى «القديع» مثالياً بشجاعته وأخلاقه، ويماثل أخاه «شالحاً» في كل شيء فكان مغامراً بفروسيته الى ابعد الحدود ووفياً مع اخيه شالح وأميناً له ، وله في ذلك حكايات مع شالح أوردها الأمير محمد السديري في «أبطال الصحراء» بتفصيل ممتع، وهو وفاء ندر مثيله للدرجة التي دعت شالحاً لأن يقول:

لا واخـو لي عـقـب فـرقـاه باضيع
كنّي بما يجـري على العُـمـر داري

اخـوي يا سـتـر البني المفاريع
ومطلق لسـان اللي باهلهـا تماري

مـا قط يوم شـدّ بين الفـراريع
يـا كـود مـا بين الكمي والمشـاري

ليـتـه عـصـاني مرة، قـال مـا اطيع
كـود اني اصـبـر يوم تجـري الجـواري

أنا اشـهـد انـه لي سـريع المنافـيع
عـبـدٍ مليكٍ لي ولاني بشـاري

تشـهـد عليـه مناتلات المصاريع
واعـداه من كـفـه تشـوف العـزاري

يمناه تنثـر من دمـاهم قـراطيع
وعُـوق العـديم اللي بدمّـه يثـاري

جـدّاعُ سـفـرين الوجـيـه المداريع
مـخلّي سـروج الخـيل منهم عـواري

وللفديع نفسه قصيدة في ذات الموضوع منها قوله:

يا بو ذعار اكفيك لوني لحالي
واصبر على الدنيا وباقي تعبها
وان غمّ اخوه معثرين العيالي
انا لخويه سعد عينه عجبها
افديك يا شالح بحالي ومالي
يا فارس الفرسان مقدم عربها

ومع هذا الوفاء لنا أن نتصور حجم المصيبة التي حلت على شالح عندما فقد أخاه الفديع قتيلاً في إحدى المعارك، ولكنه كان موعوداً بوفي آخر ومصيبة أخرى تمثلت في ولد شالح نفسه «ذيب» الذي كان نادرة من نوادر الفرسان وهو في طور المراهقة.

وبينما كان «ذيب» في الرابعة عشر من عمره نزح شالح إلى قبيلة الدواسر بعد أن عتب على قومه لعدم دعوته لاجتماع يخص أمور القبيلة، وقال قصيدة منها هذين البيتين:

انا ليا كثرت الاشاوير ما شير
حلفت ما تي بارزٍ ما دعاني
وانا خويّه في الليالي المعاسير
والاّ الرخا كلٌ يسدّ بمكاني

وبين الدواسر ظهرت فروسية ذيب حتى كسب في إحدى الغزوات فرساً أصيلة تندر مثيلاتها تسمى «العزية»، وكثر طلاّبها من أمراء ذلك الزمان، فرفض شالح بيعها أو إهداءها وهو يقول في ذلك:

يا سابقي كثرت علوم العرب فيك
علوم الملوك من اولٍ ثمّ تالي
لا نيب لا بايع ولا نيب مهديك
وانا اللي استاهل هدو كلّ غالي
يا نا فدا اللي حصّلك من مجانيك
جابك عقاب الخيل ذيب العيالي
جابك صبيّ الجود من كفّ راعيك
في ساعةٍ تذهل عقول الرجالي

ومن الغريب أن شالح بن هدلان كان يحس أن شجاعاً مثل ولده ذيب لن يمتد

العمر به طويلاً، فكان ينادي ولده في المجلس ويقبّله أمام الرجال ثم يبكي، ولما عاتبه البعض على ذلك الفعل الذي لا يليق بفروسية ذيب عبّر عن مخاوفه بقصيدة رائعة منها قوله:

مـــا ذكـــر به حيٍ بكى حيٍ يا ذيب

واليوم انا بابكيك لو كنت حيّا

أنا اشهد انك بيننا منقع الطيب

والطيب عسرٍ مطلبه ما تهيّا

وبالفعل لقي ذيب مصرعه وهو ذاهب في غزوة يريد منها كسب إبل لأبيه بعد أن سمعه يترنم شعراً بما يفيد بهذه الرغبة، فكانت المصيبة الكبرى على الأب الذي أمضى سنواته الباقية في رثاء ابنه، ولعل أشهر تلك المرثيات تلك التي منها هذين البيتين:

يا ذيب انا باوصيك لا تاكل الذيب

كم ليلةٍ عشّاك عقب المجاعة

كم ليلةٍ عشّاك حرش العراقيب

وكم شيخ قومٍ كزّته لك ذراعه

وكانت وفاة شالح سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢٢) قرب ضرما، وكان له من الولد ستة هم: «ذعار، وذيب، ومناحي، وسداح، وعبدالله، ومحمد»، والذرية في ذعار وعبدالله كما ذكر علي آل ناصر في كتابه «الدليل والبرهان». (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٤٦) من مجلة المختلف.

شليويح العطاوي

من التاريخ وعلى امتداده ظلت هذه الكثبان الممتدة من الماء إلى الماء تنجب من الأبطال ما تجاوز وصف شجاعتهم حدود الواقع والمعقول ملامساً آفاق الخيال باخلاقيتهم المتسامية وفروسيتهم الفذة وشجاعتهم النادرة.. هؤلاء الابطال ظلوا طوال قرون من الزمان ماثلين في الذاكرة الشعبية تتناقلهم السير والقصائد بنوع فيه الاكبار والتمجيد، وفارسنا هذا ارتبطت قصائده بالعديد من المواقف الرجولية الدالة على شجاعة وحزم وإيثار.

هو«شليويح بن ماعز العطاوي» من ذوي عطية من الروقة من قبيلة عتيبة. شاعر فحل شجاع ومقدام عُرف عنه قوة البأس ورباطة الجأش والشكيمة، وقد مكنته هذه الصفات مجتمعة أن يكون «عقيداً» لرجال قبيلته رغم أنه لم يكن من بيت زعامة أما الزمن الذي عاش فيه فيمكن أن نستدل عليه من وصفه الرائع لمعركة «طلال» سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) ووفاته سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م)، وبالتالي فمن الواضح أن عاش عمراً طويلة رغم مقتله على صهوة حصانه.

كان شليويح حكيماً يحل الخصومات والنزاعات التي تنشب حول الماء والمرعي، وفي قصيدته هذه وصف دقيق لصفاته ومبادئه:

يا ملّ قلبٍ عـــــانق الفطر الفـــــيح
كنّه على كـيـــرانهنّ مـــحــــزومي
مـــا اخلف وعـــدهنّه يقع تخلف الريح
والاّ يشـــدّ الضلع ضلع البـــقـــومي
يا ناشـــدٍ عني تراني شليـــويح
قلبي على قطع الخــرايم عـــزومي
إن قلّت الوزنة خـــذوها المشـــافـــيح
أخلي «الوزنة» لربعي واشــــومي
والى رزقنا الله بذود المصـــــاليح
يصيـــر قـــسمي من خـــيار القـسومي
واضـــوي إلى صكّت عليّ التوابيح
واللي قـــعد عند الركاب مـــخـدومي

إن كـان لحـقـوا مـبـعـدين المصابيح

مـعـهم من الحـافـر سـواة الفـيـومي

إلى ضـربت السـابق أم اللوايح

كـلٍّ رفـع يمـنـاه لـلـمـنـع يـومي

بالإضافة إلى مغازيه اشتهر شليويح بـ «الحيافة» وهي التسلل ليلا الي مضارب القبائل المعادية واخذ ما يوجد من ركائبهم وخيلهم كضرب من ضروب الشجاعة المفرطة التي يتفاخر بها البدو، ولا يتصف بها سوى من كان جريء القلب ثابت الجنان.

وذات «حيافة» مع بعض رفاقه اتفق الجميع على ان يتفرقوا ثم يجتمعون بعد التأكد من هدوء المكان وسكينته، وكانت الطريقة المتبعة في «الحيافة» لكف نباح كلاب الحراسة وأشغالها ان يلف «الحايف» كرة من الصوف ويقذفها لهذه الكلاب، وذهب شليويح مع احد رفاقه الذي انشغل بمطالعة فتاة نائمة ونسي «شليويح» حتى تيقظ القوم لوجودهم وطاردوهم مما تسبب في هزيمة فارسنا ورفاقه، وقال شليويح بعد ذلك يعاتب رفيقه:

الحـمـد لله مـا عـشـقـت الرعـابيب

مـدري طبع أو مـبـعـدتني قـلاعـه

خـاويت شـبّـانٍ على فطرٌ شـيب

كم مـاردٍ جـيـتـه تـعـاوى سـبـاعـه

يا مـا لمسنا قـرصنا بالمشـاعـيب

ويامـا دفـعناهن ورا الشـمـس سـاعـة

كم ليلةٍ عـقّلتـهـا تضـرس النيب

وانا اتوحّـا نبح كـلب الجـمـاعـة

رحت اتخطّى كنّهم لي مـعـازيب

إلـيـا رمي عـذب الثنايا قناعـه

أهـدّي الحـامـي واخطر الاطـانيب

واخـذ مـهـاوية الجـمـل باندفـاعـه

وقد ذاع صيت «شيلويح» بين القبائل الاخري مما دفع بفتاة تدعى «هلالة» لان تدفع «جملاً» جزاءاً لمن يكون سببا في مشاهدتها لـ «شليويح»، ولكنها عند مشاهدته قالت له: «ذكرك جاني... وشوفك ما هجاني» لأنه كان كث الشعر مغبراً شديد

السمرة بسحنة حرقتها الشمس، فقال شليويح راداً عليها:

يا بنت يا اللي عن حـوالي تسـالين
وجهي غدت حامي السمايم بزينه
اسهر طوال الليل وانتي تنامين
وان طاح عنك اغطاك تستلحقينه
انا زهابي بالشهر قيس مدين
ما يشبعك يا بنت لو تلهمينه
وانتي زهابك بالشهر قيس عدلين
مع دز ذودٍ كلهن تمصطينه
مرٍ تضحي والمضحى لنا زين
ومرٍ تشيله بالجواعد عجينة

ويبدو أن هذا الموقف أثر كثيراً في نفسية شليويح حتى قال فيه قصيدة أخرى منها:

يا عيد دونك شوشت بي هلالة
شافت بوجهي يا عضيدي سهومي
وجهي مسودته لواهيب لاله
من كثر ما ننطح لهيب السمومي

هذا وقد توفي «شليوي العطاوي» سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) مقتولاً في إحدى المعارك، وترك أولاداً منهم «فاجر، ومشعان» وبنت شاعرة هي «العاتي»، وكان له أخ عقيد فارس وشاعر هو «بخيت بن ماعز» وأخ ثالث يدعى مشحن مات بالجدري.

وترك شليويح بموته ذكري فارس جاب سهول جزيرة العرب وهضابها، وخلَّف قصائد تجلجل في جنباتها للبدوي الذي حمل كل الخصال الرائعة. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٦٤) من مجلة المختلف.

ضيف الله العفار

أحياناً تكون شهرة الأب سبباً في اشتهار ابنائه، وفي غالب الأحيان يحدث العكس خاصة إذا شابهوا الأب في ميزاته، وهذا ما ينطبق على «ضيف الله العفار» هو اسم التصق به بينما هو ولد لأحد أشهر شيوخ البادية وشعرائها.

هو «ضيف الله بن تركي بن صنهات بن حميد العتيبي» ووالده الشيخ والشاعر الأشهر من أن يعرّف، فمن منا لا يعرف «تركي بن حميد» ويحفظ بعضاً من أبياته في الحكمة والفروسية أما لقب «العفّار» قد استحقه ضيف الله عندما آلى على نفسه أن يتميز عن غيره من الفرسان، فلم يكن يبارز وحسب بل كان يتغلب على خصمه ويسقطه أرضاً و«يعفّره» بالتراب تدليلاً على النصر الحاسم.

ولاشك أن في ذلك دلالة على شجاعة نادرة قل مثيلها بين الفرسان، وهي ليست مستغربة على من كان مثل ضيف الله أرومة ومنبعاً.

ولعل أهم المصادر التي تحدثت عن ضيف الله وجمعت شعره كان «ديوان الشعر العامي» لأبي عبدالرحمن الظاهري في جزئه الرابع الذي بدأ كتابته بالقول: « يبدو لي أن ضيف الله مقل في الشعر، وشعره فوق مستوى شعر والده» !!

وإذا كان والده تركي توفي سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) عن أولاد هم «خالد، وضيف الله، وعبيد، وناصر، ومسلط» فإن ما نعرفه أن ولده ضيف الله عاش بعده سنوات ليست بالكثيرة بعده الي جانب خاله الفارس المشهور محمد بن هندي حتى توفي بمرض الجدري في حائل، وخلف ولدين هما «ناصر، وفيحان» كما ذكر الباحث عواض العتيبي في كتابة القيم «حياة البادية في نجد».

وقد عرف ضيف الله بالشعر الى جانب الفروسية، ومن أشعاره في الفخر:

عـــــاداتـنـا نـرعـى الخـطـر دايم الـدوم

يـرعى دبشـنا فـــيــــه والحظ قـــايم

نــرعــى بــربــع كـنّــهــم دولـة الــروم

مـــركـــاضـــهم بالضـيق يجلى اللوايم

لى صـاح صـيّـــاح الضـحى جنّ حـــثلوم

الخـــيل بالفـــرســـان عـــجلٍ هـمـــايم

يا زين سـجـات على الفطر الكوم
يوم بلاش ويوم جـبنا الغنايم

ومن قصائد العفار المشهورة تلك التي قالها في رثاء أخيه عبيد ومنها:

يا ونتي ونة كسير الجبارة
الى وقف ما احتال والى قعد.. ون
عليك يا شباب ضوَ المنارة
عليك ترفات الصبايا ينوحن
من مات عقب «عبيد» قلنا: وداره
لا باكي عقبه ولا قايلٍ من؟

وهي القصيدة المشهورة التي ذكرها الأمير محمد السديري في «أبطال من الصحراء» وأورد رد الشاعر شالح بن هدلان عليها ومنها قوله:

من شق ثوب الناس شقوا ستاره
ومن ضحك بالثرمان يضحك بلا سن

ومن الحداوي المنسوبة للعفار قوله:

بدّلت انا حمّ الرمك بحصان
بدّلتها بولدٍ جموح
أبي إلى جا للرمك ميدان
عليه نرخص كلّ روح

وبالطبع يتبع الحداء تولع الفارس بفرسه التي يقدم عليها في الحروب، ويعفّر من فوقها خصومه حتى يعلن هزيمتهم على رؤوس الأشهاد، فيقول في تدليل فرسه حتى يساوي أهميته بنفسه وروحه:

يا سابقي حالي سويّة لحالك
حبّك صبغ بالقلب ماهو بتمسيك
شريت من زين البيادي جلالك
وحصر يوقنّ الحفا عن مواطيك
وحبّ الشعير من البلد يشترى لك
أيضاً ومن درّ العرابا نبدّيك
أبا ليا قادوا وقلّ العشا لك
واليا اللحم مترفعٍ في عواليك

وضلعٍ زمـــا دونك وضلعٍ بدا لك

يبون بدو حـــدّروا من ورا «ريك»

ويا زين ضفّة من شمالِ حبالك

ويا زين باشناق السبايا مداليك

غير السبايا قيّلن في ظلالك

ومن وسع صدرك قيّلوا بين اياديك

ومن القصائد التي ترينا جانباً رقيقاً من شخصية هذا الفارس هذه القصيدة التي قالها يشكو لخاله الشيخ محمد بن هندي عندما تزوج ضيف الله امرأة ثانية فغضبت زوجته الأولى ولم تعد إليه إلا بشرط طلاق الزوجة الجديدة، ففعل ثم ندم على الزوجة الجديدة لأنه كان يحبها حباً شديداً فقال:

يا ونّتي ونيت، واقبلت واقفيت

ونويت ابيّن للعرب ما طرالي

ونّيتها يوم انهم طووا البيت

يا طيّ قلبي طيّهم للحبالي

رعيت لي وسميّة مير ما ابطيت

يا ليتني سجّيت فيها ليالي

من يوم رحت مسيّرٍ ثم رديت

إلى ان منزل عدم الاجناس خالي

بكيت انا وابكيت حتى هل البيت

وصبرت صبر مثقّلات الجمالي

يا خال ياريف المراميل ياليت

ياليت من ربّى عليها العيالي

وله أيضاً هذان البيتان في رثاء زوجته:

أنا بلاي العذب جالي ثناياه

اللي سكن مذروب «عروا» خلاوي

ياليتني بالقبر مجضوع وياه

والا لنا يمّ الجماعة مناوي (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٦) من مجلة المختلف.

مسعود آل حميد الذي أجابه بقصيدة سنورد شيئاً منها فيما بعد.

أما موضوع القصيدة فيدور حول محاولة سابقة للتمرد على عريعر تمكن من إحباطها، ويفخر بصفاته وكفاءته كما يثني على مواقف زامل منه، ومن قصيدة عريعر نلتقط هذه الأبيات:

جضيعي من الهندي مصقول صارم
لما ناش من جثل العظام رماه
وثوبي من البولاد درعٍ وطاسة
يبين لعين الناظرين سناه
وزلي وزيني فوق مجتمعة الشوا
كميتٍ من الخيل الجياد غياه
ونروي بخمسٍ صنعة الشام زانها
طرازٍ ومن زين الجياخ وقاه

ومن الأبيات التي يعدد فيها مآثره وأحقيته بالزعامة بين قومه يقول عريعر:

أنا راعي الهدلا شقا كلّ عايل
ولو صار مدح الروح فيه سفاه
سفاهتي بالحكي فعلٍ تشوفه
أزينه بأفعالي وازيد وراه

وعندما يتوجه عريعر بالحديث إلى ابن عمه زامل يقول:

ويا طارشي سقها وسرها لزامل
لعلّ وعسى تلقى حداه بداه
بعيدٍ مدى تدبير الاريا ومن به
على شدّ غارات الزمان نباه
نديمي ومن لا لي برجوى سواته
بنصح ولا لي في العباد سواه
ترى ذلكم ذلي وذلي يذلكم
وعزّي لكم عزٌ براس صفاه

ويوضح عريعر موقفه من الشعر في نهاية القصيدة فيقول:

فما الشعر إلا يفرح القلب ساعة
والافعال تبري للعليل دواه

أما الرد الشعري لزامل بن محمد بن حسين فكان في غالبه مجاراة ومدح لعريعر كما لم يخل من مساندة واضحة لموقف ابن عمه حيث يقول:

انا يالغريري لك حسامٍ وخوذة
ودرعٍ وفي راس السنان سناه
وانا لك على خبث الليالي وطيبها
مدى العمر الى ان ينهال عليّ ثراه
وانا حيدك اللي تقصر الناس دونه
وانت الذي تنزل براس شفاه

وبالطبع فإن عريعر كان مقصد الشعراء لكرمه ومكانته، ولعل أشهر من مدحوه كان الشاعر محسن الهزاني، وله في ذلك قصيدة طويلة منها قوله (وللعلم فهبّاس لقب لبني خالد):

عريعرٍ سلطان «هبّاسٍ» ومن
هاطلات المزن يحذى من عطاه
من عطاياه الأصايل والجياد
مثل «عريعر» في زمانه ما نراه
مظفي الحسنى وبدّاع الجميل
فرز شطرنج الوغى بحر الغناه
ذروة العليا شقا عين الحريب
ترجة الصاحب سبب عزّه غناه
تلتجي به بالملاقاة الجياد
والرعايا آمناتٍ في حماه

وأخيراً .. هل يعقل أن يكون لهذا الشاعر قصيدة واحدة بهذا الطول من عدد الأبيات والجزالة في اللفظ؟.. ألا يحتفظ الرواة في صدورهم بقصيدة أخرى للأمير عريعر بن دجين لا غيره؟.. سؤال نوجهه للقراء ونتمنى أن يكون الجواب كاشفاً للمزيد من القصائد لهذا الشاعر. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٢٣) من مجلة المختلف.

فراج العماني

«فراج العماني» هو شيخ قبائل بني عامر من سبيع. ولد سنة ١٢٧٨هـ (١٩٦١م) في الدهناء بالقرب من «رماح»، وعاش معاصراً لوالده «مذكر العماني» مما جعله يتشرب في شبابه المعرفة بكل ما تتطلبه من أمور لتدبر أمر قبيلته، وقد تعلم الرماية والفروسية في سن مبكرة، وتوفي والده وفراج وأخوته في سن مبكرة وبعدها تولى أخوه «سعود» أمور القبيلة، وبعد سنوات توفي أخوه «سعود» وتولى «فراج» مشيخة القبيلة من بعده وتحمل مسؤولية قيادتها في المعارك، وأشتهر بالشجاعة حتى لقب بـ «بعيد المغازي» وذلك لما تتميز به غزواته من بعد مكاني وطول مدة زمنية.

وقد وردت هذه المشاهد لغزواته على لسان أكثر من رواية سواء داخل قبيلته أو خارجها، وعن ذلك يقول الشاعر «الشيخ محمد الصييفي» شيخ قبيلة النبطة من سبيع متغزلاً في محبوبته التي أورد اسمها في الشطر الأول «لطيفة»:

قلبي اللي تلّته مني «لطيفة»

تلّ هزل الجيش مع حيلٍ سماني

تلّة اللي غازيٍ قيضه وصيفه

مع عقيدٍ مثل «فراج العماني»

غير سجّه للنضا فكّ الضعيفة

لى اعتزى بـ «موضي» تنسّم كل واني

هو عذاب ملافخة حبل السفيفة

كل يومٍ والكسايب له غواني

ومن الحكايات التي تدل على شهامة ونبل الشيخ فراج العماني ما حدث في احدى غزواته عندما التقى بقوم من قبيلة معادية وأراد محاربتهم، فلم يجدوا أمامهم في ذلك المكان سوى قبر الشيخ «الصيبفي» شيخ النبطة المعروف عنه الكرم والعفة فلجأوا اليه، فعند ذاك كف العماني يده عنهم إكراماً لذكرى الصيبفي.

وقال أحدهم بهذه المناسبة شعراً:

ما ذكر مثل «فراج العماني»

عفّ عن جيشٍ زبن «قبر الصيفي»

«اخــو مـــوضي» كــامل كل المعــانــي

وشـرُ اخـو مـوضي على نشـر الحـفـيـفي

غــيـــر هذي لي ركب بنت الحــصــانـي

يـرد حــــوض الموت يوم الموت عــيــــفي

ورث جــدأنه عــســى عــمــره جناني

مـــثل راعي البـدع مـا جـا له وصـيـفي

ويذكر هنا أن شيخاً آخر من قبيلة سبيع قام بنفس هذه المكرمة النبيلة وهو الشيخ صنيتان بن مبارك أبو ثنين، وقد قال الشاعر المعاصر فالح بن حثلان السبيعي في ذلك:

قــومٍ لجـوا بفـهـيـد عـفناهم جـهـار

شـيـمـة عـرب ورجـال والكذب مـرفـوع

غــدوا على قــبــره كــمــا وصف خطّار

قــالوا ترى مـا عند هالقــبــر ممنوع

عاصر فراج العماني الملك عبدالعزيز آل سعود «يرحمه الله» وشارك معه في العديد من الفتوحات هو وقبيلته، وسجل التاريخ لهذا الشيخ صفحات كثيرة في سجله حافلة بالشجاعة والإقدام، ويصفه المستشرق عبدالله فليبي في كتاب له قائلاً: «أن فراج العماني من أشجع لرجال الذين يخوضون المعارك مع الإمام عبدالعزيز».

وتوفي فراج العماني سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) عن عمر يناهز ١١٨ عاماً، ومن شعره نلتقط هذه القصيدة التي قالها في رثاء أخويه «سعود ومهلي» اللذين قتلا في احدى المعارك ويسندها على الفارس حجاب بن جويعد:

البــارحـــه يوم الخــلايق هجــوعي

اونست في صــدري كــمـــا لاهب النار

مـن ونّتي خطرٍ تكسّـــر ضلوعي

على حــرارٍ في اللقـــا تجلي الأمـــرار

من العـام عــيني مـــا تضم الدمــوعي

وهي حكمــة الوالي علي الحق صــبّـار

يا حــجــاب يا حــامي عــقــاب الرثوعي

راحــوا هل المركـــاض يوم الدخن ثار

وحنا عـوض باقي النشـامـا الربوعي

إن ساعـفـتنا عن خـبـيـثـات الأقـدار

لى قـامت المصـفـر تحنَ وتثـوعي

وثار القـهـر من بين عـجـلات الأمـهـار

حقٌ علينا للسـبـايا نصـوعي

والعلم عند اللي ولى الخـيـر واشـرار

أما الغزل في حياة فراج العماني فلا نجد له أثراً في شعره إلا قصيدة واحدة بين شعره المتميز بالحكمة والفروسية يقول فيها:

يا حـمـود لى جـيت اريش العين قلّه

عليـه مـردود البـرا عـشـر نوبات

جـذّيت حـبـلـه يوم بـأيديه تـلّه

ولا ينحكي ياحـمـود في فـايتٍ فـات

نصـبـر على جـفـواه غلٌ يغلّه

ومن لا تقـاضـا حيّ.. يقـمـح الى مـات

انا عـذاب مـلافـخـات الأظلّة

زين التـوالـي يوم لوذات الأصـوات

كـلٌ عـلـى حـظـه وفـعـلـه يـدلّـه

واترك علوم مـالهـا صـدق وثبـات (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٥١) من مجلة المختلف.

محمد بن مطر أبو ثنين

كما عودناكم في الوقوف عند رجال من تراثنا ساهموا في بناء هذا الحاضر تاركين ذكرى عطرة على مدى الأيام نقف اليوم عند الشيخ محمد بن مطر بن فراج بن عساف أبو ثنين المولود سنة ١٣٢٨هـ.

يعود نسبه الى قبيلة سبيع وبالتحديد إلى عشيرة الجمالين منها ، ومن المعروف أن كنية سبيع بين القبائل هي «مدلهة الغريب.. موردة الشريب» أي ان الغريب عندما يلتجيء اليهم يعدونه واحداً منهم أما موردة الشريب فتعني أنه عندما يأتي اليهم صاحب «حلال» فأنهم يوردونه للماء في الحال دون تردد ويقدمونه على انفسهم وحلالهم.

أما «الجمالين» عشيرة صاحب الترجمة فيعود نسبهم للأشراف وقد برز منهم العديد من الفرسان والشيوخ ونخوتهم هي: «خيّال العشوى وأنا ابن علي»، وأنشد الشعراء مديحاً كثيراً كما في قول الشاعر سعد بن طهليل بن جفن السفراني:

خـيـالـة العـشـوى على الخـيـل فـرسـان
تـرعى لهم وضح زهتـهـا الـسـفـيـفـة
تـرعـى «جنيّح والـغـبـايا وسـاقـان»
وتـرعى من «المسلوف لاقـصى الحـتـيـفـة»
ربعٍ لـيـا صـاحـوا على الحق عُـيـان
وبالحـرب تفـرق غـالي من ولـيـفـه

نرجع الى الشيخ محمد بن مطر باحثين في أسطر التاريخ عن ملامح سيرته فنجد أن والده هو الفارس مطر أبو ثنين من أشهر فرسان الملك عبدالعزيز، ومن السواعد المقربة لديه أبان معارك توحيد المملكة آنذاك.

كما شارك الشيخ محمد في معركة الطائف وشهد فتح الحجاز بصحبة جلالة الملك فيصلبن عبدالعزيز «رحمهما الله».

وكان من صفاته -رحمه الله- أنه كان رجلاً متديناً وملتزماً بالدين الى الدرجة القصوى . وانتقل إلى بارئه الأعلى عن عمر يناهز الخامسة والثمانين عصر الجمعة ١٤ شعبان ١٤٠٨هـ بعد أن قضى حياة حافلة بمكارم الاخلاق والدين .

ومماقيل في الشيخ محمد بن مطر من مراثي قول الشاعر محمد بن مطلق بن

جعد :

من عـــقب ابو فـــراج والبـــال منحـــاس

شــيخٍ غـــدت به في قـــصــيّـــر قـــدرها

زعـــيم جـــمـــلا كلبـــوها على الراس

يحـــمل مـــشـــاكلهـــا وينقل خطرها

ابوه قـــبله لي ركب فـــوق الافـــراس

كم شـــيخ قـــومٍ ينطله من ظهـــرها

كما كتب الشاعر سالم المطوع في وداعه قائلاً:

أنا أشـــهـــد انه مـــات لســـبـــيع رجّـــال

فـــقـــده على «الغلبـــا» خـــسارة كـــبـــيرة

احـــدٍ ليـــا من مـــات مـــحـــدٍ عنه ســـال

واحـــدٍ على مـــوته.. عـــيونٍ ســـهـــيرة (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٩٤) من مجلة المختلف.

محمد بن هادي

«محمد بن هادي» شيخ قبيلة عريقة في السيادة والقوة والمنعة ، وكانت حياته سلسلة من الأحداث المهمة المذكورة في كتب التاريخ النجدي بالإضافة إلى كونه شاعر مجيد له في المجال صولات وجولات وقصب سبق ومكانة عالية.

وهذه الكتابة تحاول إعطاء هذا العلم الشامخ بعضاً من حقه على أجيالنا الحالية.

هو «محمد بن هادي بن غانم» من السحمة من آل محمود الجحادر إحدى بطون قبيلة قحطان الثلاثة، وعرف أبوه بهادي بن قرملة نسبة إلى أمه قرملة بنت شاهر من الخنافر من قحطان أما محمد بن هادي فأمه من قبيلة زعب.

ومن غير المعروف السنة التي ولد بها محمد بن هادي إلا أن طلال السعيد حددها دون ذكر مصدره بسنة ١١٨٠هـ (١٧٦٦م) على وجه التقريب، ولكن ما نعرفه أن أباه هادي بن قرملة أستشهد سنة ١٢٢٦هـ في معركة وادي الصفراء إلى جانب الإمام عبدالله بن سعود وهم يواجهون الحملة المصرية بقيادة طوسون باشا، وقد قتل في هذه المعركة عدد من شيوخ القبائل العربية والفرسان المشهورين ، ولكنها انتهت لصالح الجيش السعودي رغم هذه الخسائر الفادحة.

وقد خلف محمد أباه في مشيخة قحطان ، وبدأ اسمه بالظهور منذ تلك السنة ، وطال عمره كثيراً حتى كان تركي بن حميد يسميه «الشايب» في قصائدهما المتبادلة، وعاش محمداً بعد تركي بكثير و عاصر راكان بن حثلين ، وفي أواخر عمره تنازل عن المشيخة لابن أخيه ناصر بن عمر بن هادي ، وذلك لأن محمد بن هادي كان عقيماً، وفي ذلك يقول:

اثر الكبر به للفتى كسر تعبار
الميتة اشلا لي إلى فات حلّه
دنيا تنسّينا حلاها بالامرار
واللي مضى نسيوه ما فات كله
لو لي عيالٍ كان شبّوا لي النار
يبرون عن نفسي ثمانين علّة!!

وله مراسلات مع كثير من الشعراء الفرسان فعبيد الرشيد يقول:

جـــانا جـــوابك يا الشـــجـــاع ابن هادي

تقـــول لي بكروش عندي مـــــثــــاني

ويقول مبارك بن مويم الدوسري:

يلفن لهـــا شـــيخٍ وراعي نبـــا زين

مـــحـــمـــد ولد هادي طويلٍ ذراعـــه

ويذكره سلطان الشريف في قصيدة مشهورة:

وش عـاد لو عـيّـا مـحـمـد على الفـوج

بـخـيـل الطوالة واحـدٍ كنّه ايّاه

كما أن لمحمد بن هادي قصائد متبادلة مع تركي بن حميد وشافي بن شبعان وراكان بن حثلين.

وهذه قصيدة له عندما نزح عنه بعض أفراد قبيلته، وحين مر بديارهم صدفة لحق به رجل منهم يدعى «شذي» يسوق ناقة يريد ذبحها لإكرام لابن هادي فقال:

يا اهل الركـــاب اللي خـــفـــاف المعـــاليق

ريضـــوا شـــويٍ واســـمـــعـــوا لي علومي

تكفـــون يا ســـمـــو العـــيـــال المطاليق

حـــتّى العـــذارى زاهـــيـــات الرقـــومي

مـــــا منكم اللي تلهن بـالخـنـاتـيق

وانا ذراكم عن لهـــيـــب الســـمـــومي

إلا «شـــذيّ» القـــرم زين المشـــافـــيق

اللي مـــعـــرّضنا بكومٍ ردومي

أنا جـــمـــلكم في نهـــار المســـاويق

إن جـــا من العـــدوان خـــيـــفـــة علومي

أشـــيل من ربعي من الغـــيظ مـــا طيق

ولو انهم زعلين عندي حـــشـــومي

أنا لربعي مـــثـــل حـــامي الأســـاويق

من دون ربعي مـــثـــل ضلعٍ زحـــومي

أنا احـــمي المظهـــور لى نشّف الريق

لمّا رمى المجـــمـــول بغطاه يومي

والـرزق عـنـد الـلـه بـحـظٍ وتـوفـيـق
والـعـمـر يـفـنـى والـلـيـالـي تـدومـي

أما وفاة محمد بن هادي فهي غير معلومة إلا آن الرواة يجمعون على أنه عمّر حتى تجاوز المائة ولعله عاش حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري.

ويذكر هنا أن محمد بن هادي كان له ثلاثة أخوة هم «عمر، ومبارك، وسعد»، وعقب آل هادي في عمر فقط. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٣) من مجلة المختلف.

محمد بن هندي

ما أن يذكر «محمد بن هندي» حتى تتداعى إلى الذهن كل ما تحمله معاني الفروسية والشجاعة من صفات كان يحملها هذا الرجل في تاريخه وحوادثه التي جعلته أسطورة حقيقية تتداولها الذاكرة الشعبية بفخر واعتزاز.

هو «محمد بن هندي بن حمد بن حميد الكريزي المقاطي العتيبي». تولى زعامة قبيلته بعد مقتل سلفه عقاب بن شبنان سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٤م)، وهما ابني عم الشاعر والشيخ المعروف تركي بن صنهات بن حميد المتوفى سنة ١٢٨٠هـ الذي كان متزوجا من أخت محمد بن هندي.

وللشيخ محمد بن هندي أحداث ووقائع كثيرة يجدها القارئ في كثير من كتب التاريخ، وقد وصفه الأديب العلامة خير الدين الزركلي بأنه: «من أشهر فرسان العرب ودهاتهم في العصر الأخير، لم ينفرد بالشجاعة بل عرف أيضا بإصابة الرأي ورجاحة الحلم وهيبة المنظر».

وقال الزركلي أيضا: «أخبرني رجل أدركه وعرفه قال: زار ابن حميد والدي يوما فجعلت أطيل النظر إلى جراح رأيتها في عنقه وصدره، فاستدناني منه فدنوت فكشف عن قميصه وقال: انظر، فنظرت فإذا جراح هائلة عددها ستة وثلاثين كلها قد اندملت».

وقال عنه العلامة محمد بن بليهد: «محمد بن هندي مطاع في قومه، محبوب عند الناس محبوب عند الملوك».

ولسنا هنا في تعداد الغزوات التي قادها محمد بن هندي، وأخبار شجاعته الفذة بل نتركها للباحثين المتخصصين في شئون التاريخ، ونتوجه إلى عوالم الشعر رغم أن الشيخ محمد بن هندي لم يكن شاعراً محترفاً إن صح التعبير ولكنه كبقية الفرسان نجد له بعض الأحديات التي كان يحمس بها جنوده ويحثهم على القتال، وقد جمعها أبو عبدالرحمن الظاهري في بحث قيم عنه في أحد أجزاء «ديوان الشعر العامي».

ومن تلك الأحديات قول ابن هندي عندما جاءه مبعوث الملك عبدالعزيز للمشاركة في إحدى الغزوات، فاستعد وقال متندماً على حصان كان قد أهداه لأحد

الشيوخ:

يا ربعنا شدوا على الزلبات

جتنا مناديب الإمام

ليت الحصان اللي عطي ما فات

ما سرّ بالباير عطاه العام

ومن أحدياته أيضا قوله:

يا حيسفا يافاطري

وخذت مع نياقٍ عزيب

يا ليتني حضرتها

من فوق مشعثرة السبيب

على العبيّة كنها

عذرا تراعي للخطيب

وله أيضا في ذم البندقيات من نوع «الموارت» عند أول ظهورها في الجزيرة العربية مفضلا عليها السيوف والرماح التقليدية:

ضرب الموارت ما بها نوماس

حذفة شرودٍ من بعيد

عليّ قضب عناتها والراس

والله يدبّر ما يريد

علّي باللي تبعد المرواس

والعمر لزم انه يبيد

أما ما قيل فيه من الشعر فكثير، ومن ذلك قول سلطان المريبض يمدحه:

يتلون ابن هندي حمى قبّ الافراس

لى قام ينخي والرمك في انحطابه

يثني جواده للمتلّين نكاس

وكم واحدٍ من غرقة الموت جابه

وشعر ابن أخته الفارس ضيف الله العفار بن تركي بن حميد فيه كثير، ومنه قوله:

نخيت خالي يوم هن اقبلنّي

والدمع من عيني على حجرها سال

وهو المقصود بالمخاطبة في قول العفار:

يا شيخ ما تامر عليهم بغارة
كود الجروح اللي على القلب يبرن

أما وفاة محمد بن هندي فكانت غريبة بعض الشيء إذ أن بعيره هوى به فقتله، وذلك سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٥م)، وكان له من الأولاد: سلطان وكان به يكنى، وهندي، ونايف، وذعار».

وقيل في رثائه الكثير من الأشعار منها قول الشاعر الشيخ شالح بن هدلان وقيل إنها لشالح الحمقي المقاطي»:

يا نجد عقب محمدٍ كيف بتقول
عليت يانور السلف والجهامة
فتّال ما ينقض ونقّاض مفتول
والى سعى بامرٍ مشى في تمامه
إن جاه مظيومٍ من الحمل متلول
حطه سمين ويبترم في سنامه

ولابن عزارم المقاطي في رثاء ابن هندي ذاكرا سبب وفاته:

يومه دنا واسباب يومه «قعوده»
يا كثر ما واجه من الشرّ كثراه
محمّد اللي وافياتٍ عهوده
الخيل تدري به نهار الملاقاه
لاوا عمود البيت لا واعموده
لا واعمود البيت لاوا عموداه
ضلعٍ يفلّون العرب في لهوده
وازرى المعدّي يوم عدّاه يرقاه (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١١١) من مجلة المختلف.

مشعان الهذال

مشعان الهذال؛ هو شاعر «الشيخة» .. تلك القصيدة التي اعتبرها - الكثيرون - واسطة العقد في التراث النبطي، ولذا فلا عجب أن يغدو علماً بارزاً من شعراء الصف الأول في التراث النبطي.

تزعّم مشعان قبيلته «عنزة» وقادها إلى كثير من الإنتصارات إلى أن لقي مصرعه في ساحة الوغى سنة ١٢٤٠هـ (١٨٢٥م) على يد فارس من الأتراك خلال حملات محمد علي باشا على نجد.

■ نسبه:

هو الشيخ مشعان بن مغيلث بن منديل بن هذال شيخ مشايخ عنزة في زمنه، وآل هذال من الحبلان من جبل من العمارات من بشر من عنزة القبيلة الوائلية.

■ مولده وحياته:

من غير المعروف على وجه التحديد السنة التي ولد فيها مشعان ولا عُني أحد من جامعي شعره بذلك سوى طلال السعيد الذي قال أنه ولد سنة ١٢٠٩هـ على وجه التقريب، ولم يذكر مرجعه في ذلك.

وإذا أردنا الاستدلال التقريبي نقول: إن أباه مغيلث قتل سنة ١٢٣٨هـ (بمعنى أنه كان قادراً يومها على القتال)، ومشعان قتل بعده بسنتين وكانت أمه حية في تلك الفترة وهي التي حثته على الثأر لأبيه، وعندما قتل مشعان أعقب أربعة أولاد لم يخلفوه في المشيخة بل خلفه ابن عمه زيد بن مهلهل مما يعني أن أبناءه كانوا صغاراً عندما قتل.

من ذلك يمكننا الاستنتاج أن مشعان قتل وهو في منتصف عمره أي قرابة الأربعين ، وبذلك يكون من مواليد سنة ١٢٠٠هـ أو قبلها أو بعدها بسنوات معدودة ، وبالتالي لسنا بعيدين عما ذكره السعيد.

ومن الحوادث التي مرت بمشعان أن وفداً مبعوثاً من والي مصر عباس باشا جاء إليه يعرض شراء فرس يملكها من فصيلة «كحيلان كروش» بمبلغ ٢٥ ألف ريال ، وفي نفس الليلة جاءه رسول من حاكم البحرين الشيخ محمد بن إبراهيم آل خليفة يطلب الفرس ذاتها هدية من مشعان.

وأخبر مشعان الوفدين بأنه سيخبرهما بقراره في صباح اليوم التالي ، واستشار قومه فأشاروا عليه أن يبيع الفرس ويهدي حاكم البحرين فرساً أخرى معتذراً عن بيع الفرس التي أرادها لكن مشعان قرر أن يهدي الفرس دون مقابل لابن خليفة فصلته أقرب (كلاهما من قبيلة عنزة) من صلة والي مصر.

ولما علم حاكم البحرين بما حدث أرسل إلى مشعان يدعوه إلى البحرين ، وهناك أكرمه بخيل وإبل كثيرة كما فوضه بأن يأخذ ما يشاء من أسواق البحرين ، وفي السوق رأي مملوكاً أسود يقوم بالإشراف على أحوال السوق ، وكانت له مكانة كبيرة لدى الحاكم فأراد مشعان أخذه لما رآى من قوته وزينة ملبسه ، ولم يفلت المملوك من مشعان إلا بعد أن استرضاه الحاكم بمملوكين آخرين عوضاً عنه.

وعندما غادر مشعان البحرين حمَّل الحاكم سفينتين بالهدايا والمؤن هدية لمشعان الذي أرسل إحداها إلى صديقه الشاعر مهنا العناقي في الأحساء هدية له.

■ شاعريته:

لم يصلنا الكثير من شعر مشعان ، ويبدو أنه لم يكن ينظم الشعر إلا في مناسبات تستثيره ، وهذا واضح في أكثر من قصيدة كما أن ذلك راجع في رأينا لمقتله المفاجئ وعمره القصير نسبياً.

وشعر مشعان يمتاز بالحماسة والحكمة، وله قصائد متبادلة مع شاعر الاحساء في زمنه مهنا العناقي والشاعر نمر بن عدوان.

وترجع شهرة مشعان في التراث النبطي في المقام الأول إلى قصيدته «الرائية» التي أخذت لقب «الشيخة» كدلالة على قوتها، (والشيخات في الشعر النبطي مجموعة من القصائد قد تشبه بالمعلقات في الشعر الجاهلي منها شيخة مقحم النجدي وغيره ، وهي لا تعني أنها أفضل القصائد ولكنها رائعة تمتاز بالحماس والفخر).

■ وفاته:

إن الاختلاف في تحديد وفاة مشعان الهذال يتخذ شكلاً غريباً ، فالثابت أن ابن بشر المعاصر لمشعان أورد حادثة مقتله بالتفصيل ضمن حوادث سنة ١٢٤٠هـ في كتابه الشهير «عنوان المجد في تاريخ نجد» بينما كثير من المراجع المتأخرة ومن بينها مراجع لباحثين مجتهدين يجزمون بأن مقتله حدث بعد ربع قرن من ذلك التاريخ أي سنة ١٢٦٦هـ، ولا يشيرون للتاريخ الذي ذكره ابن بشر ولا نعرف سبباً لذلك.

وما نراه أن الإطمئنان أكثر إلى قول ابن بشر ما لم يأت مخالفوه ببينتهم ، ولا نجد في شعر مشعان أو سيرته ما ينفي تاريخ ابن بشر الذي يذكر أنه قتل «في مجاولة الخيل. قتله فارس من عسكر الترك» في شوال من سنة ١٢٤٠هـ.

■ مصادر شعره:

إهتمت كتب الشعر النبطي ودواوينه بشعر مشعان الهذال منذ بدايات التدوين ، ولكن ليس بالقدر الكافي وأكثر من اهتم بشعره عبدالله الحاتم في كتابه «خيار ما يلتقط» وابن عبار في مؤلفاته ومنديل الفهيد كما أورد له المستشرق الألماني تشارلز هوبر بعضاً من قصائده في مخطوطته التي تعود للقرن التاسع عشر الميلادي ، وشعر مشعان عموماً قليل نسبياً ويوجد متناثراً في كتب الشعر النبطي ، وقد قام أخيراً الزميل إبراهيم الخالدي بجمع ديوان مشعان ونشره ضمن «سلسلة المختلف للتراث الشعبي» وقد استقينا معلومات هذه الكتابة من الفصل الأول من ذلك الديوان.

■ نماذج من شعره:

يا بايعٍ جوخٍ على غير اهاليه
مثل الذي ينزل بقصرٍ خرابة
ولد الردي لو طاب لك.. لا تماشيه
يومين والثالث .. يبين الردى به!

●●●

لذاذة الدنيا معاميل وفراش
وصينيّةٍ يركض بها العبد مسعود
وصفرٍ إلى جا العصر مع كلّ هياش
تطاوحن قلب المناحيز بالعود
في ربعةٍ يلفي بها كل هتّاش
يفرح بها اللي من دناياه مضهود

●●●

أوّل شفاة القلب خيلٍ تصنّف
فحص المهار اللي زهنّ العديدي
وثاني شفاة القلب جيشٍ يردف
ببلاد بن هذال يوم الوكيدي

نفــــرح الى جــلــونا هل الفطر الهف
لى نوّخــوا يوم علينا ســعــيــدي

●●●

حنا الذي ترجع لنا كلّ الاشــــوار
لى صار بالقــالات شوّار ومـشـيــر
حــامــينهــا في لايةٍ تسـقي الامــرار
عــدوّهم مــا يحتـسب بالمخــاسـيــر

●●●

يا بو خــدودٍ كنّهن فلق جــمّــار
عــينه وعنقــه مــثل عنق الغــزالي
راعي ثليلٍ فــــوق الارداف نـثــار
أســمـــر الى دنّق على القــاع مــالي
ملقى النحر يفضح كمــا البدر وان عار
والاّ كمــا الفضة حضاها الصـقالي
يا زين واعــدني على كــتم الأســرار
ارحم فــديتك يا بعــد من غـدا لي

●●●

المرجلة حــبله طويلٍ وممدود
يا كــود من تقـصـر عن الما حــبالــه
والى قــصـر حــبله فــلا هو بـ مــزيود
كم واحــدٍ يهــفي مـقــامــه فـعــالــه
اللي يريد الجــود مــا هو بـ مــردود
شــوف العــيــون ولا يريد الدلالة (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٠) من مجلة المختلف.

ناصر بن سرحان

عُرف شاعرنا الآتي بصفات كثيرة جعلته محبوباً ومقدماً في قومه وكان الشعر احدها، وسنحاول في السطور القادمة التعرف على جوانب من شخصية «ناصر بن سرحان».

يعود نسب الشيخ ناصر بن سرحان الى عشيرة آل سفران وهي احدى أكبر عشائر قبيلة العجمان المعروفة، وفي إحدى قصائد الشاعر حسن بن صبيح العجمي يقول مادحاً آل سفران:

يا فهيد كانك ما تحب آل سفران
يالله لعلك ما ترد الرعيَّة
ربعٍ ليا ركبوا على الخيل فرسان
وبين الدلال يحذفون الشويَة
إن قرّبوا منّا خزا كل فسقان
وان ابعدوا كلٌ جعل له حكيّة

وقضى ناصر بن سرحان حياته فارساً مثل بقية فرسان قبيلته فقد شارك مع الملك عبدالعزيز آل سعود «يرحمه الله» في العديد من غزواته ومعاركه حتى توحدت الجزيرة العربية، فأصبح عينا مبصرة مثل بقية اعيان القبيلة التي تبصر الرأي الحكيم لتدبير امورها. ومن أشهر الوقعات التي شهدها ابن سرحان مع قبيلته تلك الوقعة التي قتل فيها ابن سرحان فارس القبيلة المعادية.

وامتدت الحياة بابن سرحان حتى كان أصابه في أواخر أيامه مرض دخل على إثره مستشفى الصباح بدولة الكويت ، وعلى فراش المرض زاره العديد من جماعته مما كان له أثر كبير في نفسه، فقال هذه الأبيات التي هي آخر قصائده المعروفة:

عند الدكاتر بالقصور المبناه
داجوا عليّ مجمّعين الاداوي
وجوني ربوعٍ تذبح الكوم والشاه
أحدٍ بكا، واحدٍ قريب الهقاوي
وانا لهم لى جا نهار المثاراه
لى جا نهارٍ فيه كل البلاوي

وانا نطيح الشـيخ لى عـمـسـت ارياه

لو ان جـوخـه مـثل جـوخ الفـداوي

كم شـيخ قـوم بالمعـارك ذبحناه

عليـه ربعـه كـثـروا بالنعـاوي (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٤) من مجلة المختلف.

النوري بن شعلان

يزخر تراثنا الشعري بشعراء لم يبلغوا الشهرة التي يستحقونها في هذا المجال لأنهم عرفوا بميزات أخرى حجبت عنهم الشهرة الأدبية، وشاعرنا هذا كان شيخاً وزعيماً كبيراً، وبالتالي لم يمثل الشعر إلا جانباً هامشياً من شخصيته.

ذلك هو «النوري بن هزاع بن نايف بن عبدالله بن منيف الشعلان» شيخ الرولة من عنزة وتمتد حياته ما بين (١٢٦٧-١٣٦١هـ)، وقد قضى هذا الشيخ أربعاً وثمانين سنة في قيادة الرولة حافلة بأعمال وأحداث كثيرة عاصر خلالها أربعة عهود في بلاد الشام هي على التوالي: «العثمانية - الهاشمية - الفرنسية - السورية المستقلة» ، وكانت علاقته بالحكومات بشكل عام تتصف بالود والمسالمة فقد كان ينأى بالرولة عن أتون الحرب مع هذه الدول.

ومع ذلك اعتقله العثمانيون الى الأناضول، وسجنه ولاة دمشق لكن صديقه المستشرق التشيكوسلوفاكي موزيل الذي كان يجمع بين الدراسات الاكاديمية عن بلاد العرب وعموم الشرق وبين خدمة المصالح العثمانية والألمانية توسط له عند العثمانين فأطلق سراحه ، ولحب موزيل للنوري تسمى الأخير باسم «موسى الرويلي» فكتب عن الرولة كتابات تراثية رائعة.

ومن طريف ما يذكر هنا أن القائد التركي سامي باشا أصدر قراراً بإعدام النوري، وفي ليلة التنفيذ قُتل سامي باشا وألغى القائد الذي جاء بعده قرار الإعدام، وأفرج عن النوري الذي قال:

الحمد للي قتل «سامي» | الربّ ما احسن تدابيره
أمسيت والموت قدّامي | واصبحت في نازح الديرة
أصدر على القوم باعدامي | وذبح، وصارت لنا خيرة

ولما احتل الفرنسيون سورية لم يصطدم معهم النوري، وسيطر على الرولة وحافظ على حياتهم من ويلات الحرب، فمنحه الفرنسيون بيتاً قرب الصالحية في دمشق فرممه وطوره حتى تكامل حوله حي كامل في دمشق ما يزال يعرف حتى

اليوم بـ «حي الشعلان» فجمع بين حياة البادية والسكن في المدن وحياة السياسة والبرلمانات التي دخلها نائباً عدة مرات.

وهناك في دمشق توفي النوري رحمه الله في يوليو من سنة ١٩٤٢م ، واجتمعت دمشق كلها لتشييع جنازته حيث نقل الى قرية «عذرا» في ضواحي دمشق ووري جسده التراب هناك.

كان النوري ذا هيئة مهيبة فلا يرى إلا وهو ملثم الوجه حتى عينيه إلا أنه في ساعات أنسه جميل الحديث محب للدعابة، ويقرض الشعر النبطي وله قصائد في شرح معاناته مع الحياة وجهوده الشاقة الطويلة، ولا ترتاح نفسه إلا عندما كان يرى النار مشتعلة وحولها دلال القهوة ، ومن قصائده في القهوة:

قم سوّ ما يصبغ على الصين ياعيد
بدلال ما عنهن سنا النار طافي
واستدن ما يجذب علينا الملابيد
يكثر علينا «قوكم والعوافي»
ليا لبّس «المركب» بريش الهداهيد
عدوّنا نودع عظامه سوافي
ناخذ علي جمع المعادي ملاكيد
ونمشي علي نزل المعادي كشافي

ومن القصائد الغزلية التي تنسب للنوري بن شعلان قوله:

نطيت انا المرقاب طالعت واشفيت
وبيّن لي اللي صنّق من شجرها
طرى عليّ صويحبي ثم ونيت
ونّة قصيم الساق ما احدٍ جبرها
إن ما تهيّا من ثمانه ترويت
وا عيني اللي ما يبطّل سهرها
وجدي عليها وجد حيٍّ علي ميت
وقلبي عليها بين الأضلاع يرها (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٠) من مجلة المختلف.

الفصل الثاني:
سيرة شاعر

(ترتيب الشخصيات حسب الحروف الهجائية)

بديوي الوقداني

يمثل «بديوي الوقداني» ظاهرة بالغة الخصوصية في الشعر النبطي من خلال جمعه لموهبة النظم الفصيح والعامي، والمزج بين بداوة ظاهرة وحضارة لا يمكن نفيها كما أن أسلوبه متأرجح من حيث القوة والضعف ولكنه في أضعف قصائده وخاصة الفصيحة منها يشف عن موهبة شعرية لا غبار عليها إضافة الى تنوع أغراضه الشعرية فما هو متوفر لدينا قصائد في اغراض: «المدح - الهجاء- الحكمة - الغزل - الفكاهة - الوصف» الأمر الذي يشي بتجربة شعرية متكاملة.

ومن خلال السطور القادمة سنحاول استقراء هذا الشاعر من خلال حروفه:

نبدأ أولاً مع نص نادر عن بديوي جاء في كتاب «نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر» لأحمد الحضراوي الهاشمي الذي التقى ببديوي وكتب عنه:

«بديوي بن جبران بن جبر بن هنيدي بن جبر بن صالح بن محمد بن مسفر الوقداني السعدي -نسبة إلى بني سعد - العتيبي، وعتيبة بطن من هوازن قبيلة مشهورة.

نزيل الطائف المأنوس. ولد بوادي النمل وهو محل على فرسخ من الطائف سنة ١٢٤٤هـ (١٨٢٩م) وتربى به ثم سكن الطائف لتحصيل العلم والمعاش، وكانت له قريحة بالعربية ثم نظم القريض ولقّب بـ (شاعر الحجاز)، فهو شاعر لطيف ومغوار غطريف، تخضع لشعره بلابل الأغصان وتنصت لغزله مسامع كل إنسان.

إجتمعت بحضرته بالطائف المأنوس سنة ١٢٨٧هـ وقبل هذه السنة لنا معه اجتماع كثير ومحاضرات لطيفة».

وأورد الحضراوي في كتابه مقطعين لبديوي من الشعر الفصيح الأول سبعة أبيات من قصيدة مطلعها:

سواجع الشوق باتت في أغانيها

تتلو فنون الهوى والوجد يمليها

والثاني خمسة أبيات من قصيدة مطلعها:

ما يعطي الله إلاّ المستحقّينا

سبحان من سبقت أحكامه فينا

أوردت مصادر أخرى أن وفاة «بديوي الوقداني» وقعت بالطائف سنة ١٢٩٦هـ (١٨٥٣م)، وهو تاريخ يتوافق مع حياة ممدوحيه الشريف عبدالله بن محمد المتوفي سنة ١٢٩٤هـ وابنه الشريف الحسين بن عبدالله المقتول سنة ١٢٩٧هـ، وبهذا يكون بديوي قد توفي وهو في الثانية والخمسين من عمره.

ولو تحسسنا شعر «بديوي» في المراجع فلن نجد بغيتنا وافية الا عند «محمد سعيد كمال» صاحب «الازهار النادية من أشعار البادية» الذي ابتدأ الجزء الأول من كتابه المؤلف من «١٨» جزءاً بأشعار بديوي التي جاءت في سبعين صفحة منه.

وعنه يقول «كمال»: (بديوي الوقداني من قبيلة وقدان التي تسكن ضاحية «نخب» بالطائف خرج هذا الشاعر في عصره حاملاً لواء الشعر. إذا غرد أسكت البلابل، وإذا غنى أطرب المحافل فارس الميدانين: القريض والحميني (الفصيح والنبطي) مدح وجهاء عصره ونال جوائزهم، وبز أقرانه فلم يلحق له غبار. كان في بدء أمره مشهوراً بنظم «الحميني» ثم قرأ قليلاً من النحو والأدب فنظم القريض وأجاد فيه).

و«وقدان» جزء من بني سعد أظئار الرسول ﷺ من قبيلة «عتيبة»، وقد أكد «بديوي» نسبه إليها أكثر من مرة في شعره حيث يقول:

دلّت بالروح لين ارخصت جانبها
وانا عتيبي عريب الجد والخالي

وهذا بيت من أشهر قصائده في الشعر النبطي ومنها هذه الأبيات:

أيامنا والليالي كم نعاتبها
شبنا وشابت وعفنا بعض الاحوالي
تاعد مواعيد والجاهل مكذّبها
واللي عرف حدّها من همّها سالي
إن أقبلت يوم ما تصفي مشاربها
تقفي وتقبل وما دامت على حالي

ويتضح من شعره أنه كان مستقراً في قريته ولم يعتد حياة البادية إذ نقرأ له قصيدة يحذر ولده «عبدالعزيز» من الميل الى البدو.

ولانعرف من أسرته سوى ولده «عبدالعزيز الذي يتكرر اسمه في كثير من القصائد وشخص يدعى «عبدالله» يصفه بديوي بـ «سلاحي» وأقرب الظن أنه شقيقه وآخر يدعى «أبو حسن» يخاطبه مشتكياً اليه من «خذلان» جماعته له

فيقول:

يابو حسن ودّي بلاما عزايه
وان كان فيهم خلةٍ تحت الاستار

أصبَهم بالذوق لكن خفايه
والحر ما يصبر على الكيّ بالنار

عبدالعزيز اقفى وخيّب رجايه
وانته وعبدالله سلاحي بعد بار

ويوضح «محمد كمال» أن أول قصائد بديوي الفصيحة كانت في مدح الوزير محمد رشدي باشا الشرواني وأولها:

أبرقٌ لاح أم قمرٌ منيرُ
ومسكٌ فاح أم ندٌّ عبيرُ؟

سرت جنح الظلام فقلت بدراً
يكاد بنوره الساري يسيرُ

وهي قصيدة رديئة الحبك استحوذ الغزل عليها، ولم يتخلص للمدح سوى في آخر بيتين منها كما أن لبديوي قصيدة فصحية غاية في ضعف اللغة ورداءة الأسلوب لا يكاد قارئها يكتشف أنها فصيحة وليست عامية إلا بعد تمعن وتساهل منه في شروط الفصحى ومطلعها:

مرّ باشا الغيد في زين اللبوس
فيه من فرط المحاسن حسن «يوس»!

بدر تمٍّ نوره يجلي الدجا
حين يبدي تختفي منه الشموس

لاح منه طلعةٌ وقت الضحى
في بروج السعد لا برج النحوس

ورغم ذلك فإن لبديوي قصيدة فصيحة جيدة في رثاء الشريف عبدالله بن محمد المتوفي سنة ١٢٩٤هـ مطلعها:

الملك لله والدنيا مداولةٌ
وما لحيٍّ على الأيام تخليد

ومن أبياتها الجميلة قوله في «ذم الدنيا»:

إن سالمت غدرت أو وهبت رجعت

ظلاً يـزول ومــــا تـعـطـيــــه مــــردود

كما أن لبديوي بيتين جميلين ارتجلهما عندما سقط خاتم الشريف عبدالله بن محمد وانفلق «فصّه» فقال:

لا تـخـش يـابـن رســـول الله من جــحــرِ
رأي المكارم في كــفَـيك فــانـفـجــرا
وافــاك ســعــدك إذ وافي الـســعــود وقــد
أعـطـاك ربـك حظاً يـفـلـق الـحـــجـــرا

ومن الواضح أن «بديوي» يرتكز حتى في قصيده النبطي على مرجعية ثقافية فصيحة لا بأس بها، ومن ذلك قوله:

اعــرف حــروف الـهـجـا بـالـرمــز واكـتـبـهـا
عــاقـل ومــجـنون حــاوي كل الاشـكـالي

كما أن المتتبع للغته يجد كماً كبيراً من المفردات الفصيحة بالاضافة الى التركيبات الفصيحة للجمل كما أنه يعرف شيئاً من التركية كقوله:

فــضّــه ملّبس قــيــمــتــه «يوزسكيس»
ولـو كــان «بكّي يوز» مــاهوب غــالي

والكلمة الأولى تعني «مائة وثمانية»، والثانية «مائتين» وأو قوله: (خدامكم ما عاد يملك ولا «بير»)، وبير تعني واحد بالتركية.

وثقافة بديوي الجغرافية كبيرة، وهي أما لسفره وهو ما لا نستطيع الجزم به أو لتردد أبناء الأقاليم الاسلامية على الحجاز حيث يقيم، فهو كثيراً ما يردد أسماء المدن في شعره ومنها ماهو بعيد للغاية مثل «بومبي واسطمبول والاسكندرية». (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٥٧) من مجلة المختلف.

بركات الشريف

يعد الشريف بركات أحد الشعراء المشاهير في تاريخ الشعر النبطي، وقد ظلت تحيط به دائماً هالة من الغموض بسبب كم المعلومات التي نملكها عنه من خلال شعره، ولكنها لم تكن تقودنا الى معرفة حقيقته رغم كثرتها نسبياً، فمثلاً من خلال قوله:

قـــال بـركـــات الحـــســـيني والذي له
جـــوادٍ مـــا تدنى للمـــبـــيـــعـــه

وقوله:

أنـا ابـن مـــبـــارك زيـن المجـــلا
إذا المـمـنـوع أشــقـى في مـنـيــعــه

وقوله:

مـــبـــارك زين الجـــاذيات ابن مطلب
ذرا الجـــار والعـــانين عن كل نـايبـه

ويمدحه الشعيبي قائلاً:

بركـــات خـــيـــر من ينسب لابن هاشم
الســيــد الملك الهـــمـــام الفـــيـــصلي
من جـــده المحـــســـن وابوه مـــبـــارك
تاج الملوك وعـــمـــه الســـيـــد علي

نعرف أن شاعرنا هو «الملك بركات بن مبارك بن مطلب المحسن الحسيني...»، ورغم هذا التسلسل وتركيز معظم مؤرخي الشعر على أنه من أشراف مكة إلا أن الباحث في تاريخ مكة المكرمة لا يجد حاكما لها بهذا الإسم إضافة الى أن أشراف مكة كانوا من أصل «حسني» وليس حسيني كما ينتسب بركات.

ويأتي «الشعيبي» الشاعر الذي امتدح بركات ليحدد موقع إمارته قائلاً:

انهـضن من وادي القـصـيم قـواصـد
لم مطلع النجم الشـمـالي عن هلي
عـشـرٍ من اوطان القـصـيم نحـثـهـا
مـرُ تخبّ بنا ومـرُ تهـذلي

وهكذا نكتشف أن موقع «بركات» على مسيرة عشرة أيام الى الشمال من القصيم وهو ما لا ينطبق على «مكة» والحجاز بأكمله، وكان من الممكن أن تستمر هذه الحيرة دهراً طويلاً لولا أن جاء الباحث السعودي «أحمد فهد العريفي» ليحقق كشفاً مثيراً للإعجاب عندما أزال القناع في كتابه المعنون بـ «الشريف بركات..!؟» عن حقيقة هذا الشاعر القديم.

وقد أثبت العريفي بالأدلة التاريخية والشعرية أن الشريف بركات هو:

«بركات بن مبارك بن مطلب بن حيدر بن المحسن بن محمد بن فلاح المشعشعي» احد أمراء دولة المشعشعين التي امتد حكمها حوالي أربعة قرون من الزمان في إقليم عربستان «الأهواز» الواقع في اقصى الشمال الشرقي للخليج العربي الى الشرق من مدينة البصرة، وهي إمارة أسسها الشريف محمد بن فلاح الحسيني سنة ٨٤٠هـ .

ويذكر مؤرخو هذه الدولة أن مبارك بن مطلب الحاكم التاسع بهذه الدولة في الفترة الواقعة بين «٩٩٨ – ١٠٢٥هـ» كان له من الأولاد ثمانية هم «بركة، ناصر، محمد خان، عبدالله، حسن، نعمة الله، عبد، بدر» وعن ولده الأكبر «بركة» وهو الشاعر النبطي المعروف بـ «الشريف بركات» يقول المؤرخ جاسم شبر: «بركة بن مبارك بن مطلب المتوفي سنة ١٠٢٤هـ (١٦١٥م) وقيل ١٠١٩هـ كان ذا رأي وتدبير ثاقب، قدمه والده على الأباعد والأقارب مفوضاً إليه جميع أمر الدولة ولم يخالفه قط، وقد كان بركة عفيفاً تقياً وشجاعاً مقداماً ظهرت شجاعته في المعارك التي خاضها مع أبيه وهو صغير السن، ومع قابليته هذه لم ينازع أخوته على الولاية والحكم بل كان عوناً لهم في اوقات الشدائد وحل المنازعات».

ويذكر العريفي أن وصف بركات بـ «الملك» لا يتعارض مع قول «شبر» أن بركة لم يل الإمارة حيث أن تملكه للأمر كان في أيام والده مع الأخذ بالاعتبار «مجاملات شعراء المدح» مما يبرر هذا الوصف خاصة إذا علمنا أن «بركة» توفي في حياة والده في الفترة التي توصف بأنها كانت العصر الذهبي لإمارة المشعشعين.

وتأتي مراجع شعبية على مفارقة بركات لوالده، وتورد في ذلك الاشعار مثل:

إختـــرت بعــد الدار في نازح المدى

ولا قـولة بركـات قـد هان جـانبـه

والله لو قلت اخطبـوا لي فـإنّني

صبي الشقـا ما لان للضدّ جـانبـه

وفي كلٍّ دارٍ للرجـــال مـــعـــيـــشـــة

والارزاق كـــافلهـــا جـــزالٍ وهايبـــه

وقوله في قصيدة اخرى مخاطباً والده:

ســـلامٍ مع تحـــيّـــاتٍ إليـــه

وقل يا ســـيـــدي وش ذا القطيـــعـــة؟

تعـــاتينا بذنبٍ مـــاجنيـــتـــه

وظني فـــيك حـــسنٍ مـــا اضـــيـــعـــه

ويرجع العريفي أن سبب المغاضبة بين بركات ووالده وشاية وصلت الأخير تتهم بركات بمحاولة الإطاحة بوالده وتولي حكم الإمارة، وهذا ما يفسر قوله «أخطبوا.. لي» والخطبة تعني الدعاء للحاكم في خطبة الجمعة.

أما رأي المرويات الشعبية فيوضحه منديل الفهيد من أن المغاضبة كانت بين بركات وعمّه وسببها أن زوجة عمه راودته عن نفسها، ولما أبى اتهمته أمام زوجها، فغضب العم وأمر خادمه أن يتعدّى بركات عند صبّ القهوة تحقيراً له، فغضب بركات وترك البلاد مهاجراً.

ويفند العريفي أيضاً الأسباب التي دعت العامة يعتقدون أن بركات هو أحد اشراف مكة ذاكراً أن لقب الشريف يسبق اسم كل من ينتمي الى آل البيت في أي بقعة من الأرض ولا يلزم وأن يكون الشريف مقيماً في مكة.

أما كون الأسماء الواردة في سلسلة نسب الشريف بركات من الأسماء المألوفة بين أشراف مكة فهذا لا يدل على شيء، واعتقد العريفي أن وجود شعراء يحملون اسم «بركات» بين أشراف مكة مثل الشريف بركات بن حسن في القرن التاسع الهجري وكان شاعراً فصيحاً احدث مثل هذا الظن كما أن قصيدة منسوبة لشاعر يدعي «عامر السمين» في مدح بركات أكدت هذا الظن لدى الرواة، ولكن بركات بن محسن من اشراف مكة سبق عصره عصر شاعرنا بركات الشريف بحوالي مائة سنة وهذا رأي المؤرخ ابو عبدالرحمن الظاهري أيضاً.

والكشف الذي قدمه العريفي- للأسف - يجرد بركات من أهم قصائده وهي الكافية التي ينصح بها ابنه «مالك» ومطلعها:

يامـــالك اســـمع جـــابتي يوم اوصـــيك

واعـــرف ترى يابوك بأمـــرك وانهـــاك

وتعد هذه القصيدة من عيون الشعر النبطي، وسبق لأكثر من كاتب أن شكك بنسبتها لبركات بسبب لهجتها الحديثة وقيامها على قافيتين بعكس بقية قصائد بركات مهملة القافية الأولى كما أن القصيدة تحتوي على أبيات تدل على أن قائلها هو أحد أفرد أسرة الأشراف في مكة وليس حاكمها، والدليل على ذلك قوله:

إعــــــــرف تـرى «مـكـة» ولاها ابـناخـــــــــيك

لو تشـحــذه خـمـســـة مـلاليم مـا اعطاك

وبيت كهذا لا ينطبق على حقيقة بركات التي كشف عنها العريفي في كتابه اضافة الي أن لبركات كما ثبت تاريخياً ولدان هما «طالب وفرج الله» وهناك ترجيح لوجود ولدين آخرين هما «بدر وعلي» ورد اسميهما في قصائد مدح بركات، ولم يرد ذكر ولد له اسمه «مالك».

وأفادنا القارئ الشريف عبدالله الجودي في رسالة بعثها للمختلف أن القصيدة السابقة هي لشاعر من أشراف الطائف يدعى «بركات» أيضاً عاش في القرن الثاني عشر الهجري من آل جود الله النمويين الحسنيين كان شريف مكة سرور بن مساعد قد سجنه هو وشريف آخر يدعى «عبدالله الفعر» وهذا ما توّضحه القصيدة في أبيات منها:

إحــذر «ســرور» بغـبّـة البـحـــر يرمـيك

ولا عـنـده اهـون مـن تجــــــــزعك وابـكـاك

واعـرف ترى اللي قـد وطا «الـفـعـر» واطيك

ولا انت اعــزّ من الجــمــــاعـــة هذولاك

إن اشــــتـــــهى حطّ الطمع في تواليك

لو مـا لقـيـتــه يا فـتـى «الجـود» يلقـاك

وهكذا نعرف أن هناك شاعرين يحملان ذات الإسم «بركات الشريف» الأول هو صاحب القصائد مهملة القافية الأولى وهو حسيني عاش في الأهواز أوائل القرن الحادي عشر الهجري بينما الثاني صاحب النصيحة المشهورة على قافيتي الكاف وهو حسني عاش في الحجاز في القرن الثاني عشر الهجري.

أما أشعار بركات الشريف (المشعشعي) ، فمن أشهرها قصيدته البائية ومطلعها:

عـفـا الله عن عين للاغـضـا مـحـاربه

وقـلـبٍ دنـيـفٍ زايـد الـهـم حـــــــاربـه

وقصيدة عينية على وزن الصخري، وأخرى نونية لم يتم العثور عليها كاملة،

وهناك بعض القصائد والأبيات المنسوبة لبركات وليست من شعره أشهرها القصيدة الكافية التي سبق أن ذكرناها.

هذا هو الشريف بركات الشاعر النبطي الذي اتضح لنا أنه تحت لرجلين لا رجل واحد، وهذا الكشف يدعونا الى إعادة النظر في المسلّمات التي توارثناها في فلكلورنا الشعبي، فلو فكر كل منا بهذه الطريقة العلمية لألقي الضوء على مناطق معتمة كثيرة من تراثنا الشعبي، وحرره مما علق به من اعتقادات أخفت الحقائق وراء حجب من الأوهام. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٥٦) من مجلة المختلف.

حمد المغلوث

تعتبر منطقة الأحساء من المناطق الثرية بالنتاج الأدبي في الجزيرة العربية وخاصة الشعر بشقيه الفصيح والنبطي على امتداد العصور، وبالنسبة للشعر النبطي فالأحساء احتضنت المئات من الشعراء سواء من أبنائها أو ممن وفدوا إليها ، وفيما يلي نبذة عن واحد من أهم شعراء النبط في تلك المنطقة.

شاعرنا هو: «حمد بن عبداللطيف بن علي بن ناصر بن حمد بن حمود المغلوث» من المغاليث من عبدة من قبيلة شمّر. ولد في حي «السياسب» ببلدة المبرز القريبة من الهفوف سنة ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠م).

ترعرع المغلوث في بيت ميسور ذي حسب وجاه في بلده، وكان والده عبداللطيف المغلوث واخوانه وأبناء عمه كثيراً ما يذهبون الى الكويت للتجارة، فاتصلوا بشيوخها وصاروا من المقربين لأميرها كما أصبح لهم في الكويت أملاك وعقارات حتى استقر بعضهم هناك، وقد عمل الشاعر خلال حياته بالتجارة ما بين الأحساء والبحرين والكويت والزبير والهند.

هكذا استقر شاعرنا في الكويت صغيراً لكنه لم يكن ينسى مهبط رأسه ، وكثيراً ما كان يأتي الى الأحساء، ولكنه لم يكن يستقر بها حتى يعاوده الحنين للذهاب الى الكويت وظل يتذكر الأحساء في شعره، ونرى ذلك في بعض اشعاره حيث يقول:

تناهت حسرتي وهموم صدري
وانا في ديرة أجنابٍ غريبي
غريب الدار واحبابي جنوبي
وانا عنهم شمالٍ في مغيبي

وكان كثيراً ما يذكر حي «السياسب» بالمبرز ويمدح أهله كما في قوله:

عند السياسب لابةٍ مثل شرواك
الكل منهم يحتمل بالخساير
اهل دلالٍ كالغرانيق وادكاك
وحيلٍ تقلّط للوجيه السفاير

أما تعليم حمد المغلوث فشأنه كشأن معاصريه: ذهب الى الكتاتيب ودرس عند المطوع فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة مما كان له بالغ الأثر على شاعريته

بالإضافة إلى أثر البيئة التي عاش فيها فجده الثالث (حمد المغلوث) كان شاعراً أيضاً وكذلك كان والده وبعض أعمامه، وكانت مجالسهم في الكويت والأحساء مقصداً للشعراء والمثقفين والوجهاء.

ولحمد علاقات مع العديد من شعراء عصره، فنجد له مراسلات شعرية مع سليم بن عبدالحي والسيد هاشم الرفاعي وعبدالرحمن القديمي وفهد الشريدة وغيرهم، ومن أشعار المغلوث قوله على لحن قصير:

دمـــعـــي تحـــــدرْ عـلـى المـوق
حـــرَق خـــدودي سكيـــبـــه
مـن يـوم فـــارقت انـا الـشـــوق
راعي الـدلـول الـعـجـــيـبـة
مـن دونـه الـبـــاب مـــغـلـوق
صـــوّبني الله حـــســـيـبـه
طـفـلٍ مـن الـبـيـض مـعـشـوق
يـا لـيـت مـن يحـتـضـي بـه
مـن صـــدّه الجـــسـم مـســروق
والـقلـب يـسـعـــر لهـيـبـه
مـن لامـنـي جـعـل لـلـعـوق
والا المـصـــايـب تـصـيـبـه

وكانت من هوايات الشاعر المفضلة (المقناص) إذ يرتحل الى البراري مع رفاقه وكان مولعاً بالبادية يعشق العيش فيها، فيقضي معظم أيامه فيها خاصة في رحلاته وتنزهاته عند البدو، ونلاحظ ذلك مؤثراً في قصائده.

أما عن هيئة الشاعر فيذكر بعض من رآه أنه «كان مربوع القامة. معتدل الجسم. أبيض اللون. صاحب نكتة مما جعل الناس من وجهاء وعامة يحبون الجلوس معه والتحدث إليه». هذا وقد توفي المغلوث في الكويت سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣١م). (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٨) من مجلة المختلف.

حميدان الشويعر

لا يُذكر النقد الاجتماعي والشعر الساخر في منطقتنا إلا ويكون «حميدان الشويعر» هو لب الحديث وزينة السمر، وهو الشاعر الذي مايزال حاضراً في ذاكرة المجتمع رغم مرور أكثر من ٢٥٠ عاماً على وفاته.

وحميدان الشويعر أو «حمد بن ناصر السياري الخالدي» كما هو اسمه الأصلي شاعر عاش في القرن الثاني عشر ببلدته «القصب» وكذلك في «وثيثا»، ولا تعرف سنة ميلاده ومختلفٌ في تحديد سنة وفاته بين ١١٦٠ هـ و ١١٧٨هـ و١٢٠٠هـ (١٧٨٦م) ولعل السنة الأخيرة هي المرجحة، والثابت أنه عمّر حتى قيل «في مبالغة واضحة» أنه عاش ١٥٠ سنة.

ويوصف الشويعر بأنه: «قصير عظل ورأسه كبير ولحيته بيضاء ووجهه حسن، ولا يخرج من المسجد إلا متأخراً ولا يجلس مع عامة الناس بل تجده مع الأمراء والمشايخ، وفي المجلس لا يتكلم إلا بما فيه فصاحة وبلاغة وذكاء فلا يود مجالسه أن يسكت، وعليه هيبة عظيمة وكريم وشجاع».

ومن أعمق الذين كتبوا عن الشويعر د. عبدالله ناصر الفوزان الذي اعتبره رئيساً لتحرير صحافة نجد المثيرة في القرن الثاني عشر والتي تتخذ شعاراً لها قوله:

اقول النصايح واعدّ الفضايح

عن اللي فعلها ولا اخاف لايم

يقول الفوزان في كتابه الذي ألفه عن حميدان الشويعر: «لقد كان حميدان الشويعر صحيفة شفوية مثيرة ذائعة الصيت والانتشار، يتخاطفها الناس فور صدورها، ويتبادلون قراءتها ورواية أحداثها، ويرفعون حواجبهم - غالباً - إندهاشاً من شجاعتها وجرأة آرائها وأحداثها، وأحياناً تضحكهم لشدة سخريتها».

إهتم كثير من الكتاب بشعر حميدان وأفردوا له الصفحات، واستطاعوا رسم صورة بانورامية لحياة هذا الشاعر بدءاً من نجد ثم ارتحاله الى البصرة وعمله هناك حارساً لبساتين النخيل ثم مغادرته للزبير، وهي الرحلة التي صوّرها في قصيدته الشهيرة:

ظهرت من الحزم اللي به

سيد السادات من العشرة

حطيت سنام باليمنى
ووردت الرقعي من ظهره
ولقيت الجلوع «ابو موسى»
باني له بيت بالحجرة
عليه غتيرة دسمال
وبشيت منبقر ظهره
حاكاني وحاكيته
وعطاني علم له ثمره

وتتطرق المصادر لضرب أحد الكبراء ويدعى «هلال» لمانع اكبر أولاد الشويعر، وتعويقه حتى أصبحت يده كالمغرفة، وتحريض الشويعر ولده لأخذ الثأر وهجائه لذلك الولد عند تهاونه في ذلك:

مانع خيّال في الدكة
وظفر في راس المقصورة
وان صاح صياح من برا
توايق هو والغندورة
اليمنى فيها الفنجال
واليسرى فيها البريورة
والى ظهر يم السكة
تاخذ جوخته السنّورة

وتكتمل حكايات الشويعر بهربه هو ولده مانع من القصب بعد قتل الأخير لهلال بتأثير هذا الهجاء الأبوي الذي يصل في بعض الأبيات لدرجة الوصف المخجل.

وترتسم الطرق في زمن قاس، ويموت حميدان الشويعر لتظل قصائده وأبياته المنفردة الشهيرة تسير مسرى الأمثال والنوادر والحكم.

ومن عيون شعر حميدان:

وبالناس من يجمع حلال يدفنه
بجمالته وتجارته واكداده
ويفوز به غيره وينقل إزره
يوم الحساب الى هلك ما فاده

●●●

الى جـاك الولد بيديه طين

وله غرسٍ يحفر في جفاره

ترى هذاك ما ياخذ زمان

الاّ وهو جامع له تجاره

والى جاك الولد مطرق خليج

ومن نوم الصفر غاشٍ صفاره

يبيع ورث امه وابوه

مدقٍ ما تعيشه الفقاره

فاحذر يا اديب تحط عنده

لك بنت تموت بوسط داره

•••

صديقي عرفته الى ما لحظته

وأميّز عدوي وافهم وسايم

حجاجه وعينه لمثلى دليل

وغبي المعرفة فلا هوب فاهم

أعرف الدروس وكل الرموس

وادل الموارد بليّا علايم

أقول النصايح واعدّ الفضايح

عن اللي فعلها ولا اخاف لايم

ولا فاتني كل امرٍ بغيته

محلّي تعلّى متون النعايم (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٩٢) من مجلة المختلف.

حنيف بن سعيدان

من منا لا يعرف هذا البيت الشهير والذي يردده بعضنا دون أن يعرف الشخص المقصود به:

خمسة عشر فنجال لحنيف صبّيت

لو ان بطنه قربةٍ قد ملاها!!

.... فيما يأتي نتعرف على شخصية «حنيف» والذي كما هو معروف أنه لم يمهل مضيفه الذي تثاقل من كثرة ما صب لحنيف من فناجين القهوة دون أن يهز الأخير فنجانه فرد عليه حنيف مباشرة بهذين البيتين اللذين سارا في الناس أيضاً:

لا تحسب اني من دلالك تقهويت

ما تنقه الشرّاب من كثر ماها

يا موصّي الحرمة على صكّة البيت

تقول ما انتب فيه وانته وراها!

«حنيف» صاحب هذه الحكاية : هو الشاعر حنيف بن سعيدان المطيري ، وقد عاش في الفترة ما بين عامي ١٨٤٨م (١٢٦٤هـ) و ١٩٤٣م (١٣٦٢هـ) تقريباً أي أنه عاصر قرناً كاملاً وشهد التطورات الحديثة التي عاشتها المنطقة في النصف الأول من القرن العشرين.

وقد أوضح لنا القارئ هزاع محمد الأسيمر في رسالة بعثها لمجلة المختلف أن المحاورة السابقة جرت بين حنيف وصديقه الشاعر ناصر العبدالكريم وهي أطول من ذلك.

ولعل أول ما يعلق بالذاكرة حين يذكر حنيف هو حبه لشرب القهوة ، ونتوقف في البداية مع بعض أبياته في هذا العشق، فنقرأ قوله في مدح الشيخ نايف بن هلال من البصايصة:

لو صرت لا سايل ولا نيب مسيول

نحرت من كبد المسيّر بهجها

إن قال هات بهار ما قيل مشيول

من بقشةٍ نقش البريسم عرجها

البنّ صافي للمعاميل مزلول

من دلةٍ حوافها ما طهجها

فنجالها بالوصف ما هوب مجهول

خضاب عذراً مايقة في غنجها

فنجالها يعدى لزولٍ ورا زول

إثنين والثالث مروّي زرجها

وسقها على اللي بالدهر يذبح الحول

واللي جواده للمتلّي عنجها

ولحنيف قصائد في مدح الملك عبدالعزيز آل سعود موحد الجزيرة العربية ومن ذلك قوله:

تحالفوا قدمي من الناس شيبان

ما جابت الخفرات مثله ضنيّه

ما جابت الخفرات مثله ولا كان

لا داخل البيدا ولا خارجيّه

أشقر يخلّي وافر الريش عريان

خبطة يده تورث حياض المنيّة

ومن شعر حنيف أيضاً نرى تغنيه بالمنازل كعادة الشعراء القدامى متخلصاً إلى المدح فيقول:

يا عدّ واعنّك من الوسم ممطور

من نوّ براقٍ تقافت عشاياه

يا عدّ ما مروك بهلال عاشور

واستجنبوا مثل الفهود المغذاه

أهل بيوتٍ كنّها شمخ القور

لى جيت هذا ما تعدّى لهاذاه

ونلاحظ أن المثالين السابقين من شعر حنيف جاءا في بداية قصيد المدح، وللحق فقد عرف حنيف بهذه النوعية من القصائد بالإضافة إلى شعر الفخر، وكان مجيداً في هذا الجانب بشكل قل نظراؤه ومن قوله في الدويش شيخ قبيلته:

إسمه على جسمه وفعله على ساس

وفعول اهلهم من عصور الصحابة

مهارهم في ملتقى الخيل غطّاس

وايمانهم ترمي العشا للذيابة

لبّاسة الماهود والدرع والطاس

ومصقّلٍ تدني المنايا ذبابه

ومن قصيدة أخرى في مدح الشيخ محسن الفرم يقول حنيف بن سعيدان:

عدّيت بالمرقاب من ضيق جولي

وعدّلت في راس الحجا ما طرا لي

في مرقبٍ ما فيه زولٍ يزولي

وفيّضت انا في راس رجمٍ لحالي

يا اهل النضا توقّعوا واقهروا لي

مقدار ساعة والركايب عدالي

صدّوا لي ارقاب النضا واريعوا لي

كلمة وسيروهن عساكم عجالي

من يوم ابو جلال ما هو بحولي

من دونه الجازي تربّي الغزالي

وإضافة للمدح فقد عرف حنيف بن سعيدان بالأشعار اللاذعة في الهجاء حتى صار من الصعب أن يتغلب عليه شاعر مقابل له في هذا المجال إلا ما ندر، ونتلمس ذلك من الحكايات الطريفة التي ذكرها له ابن خميس في كتابه «الأدب الشعبي في جزيرة العرب»، والتي لولا قسوتها لنشرناها ولكن نكتفي بالقول أننا نعرف منها ما كان يتمتع به من حدة في الهجاء ، ونعرف بعض معاصريه كالشاعر عبدالله بن سبيل الذي تهاجى معه بأبيات قليلة.

والغريب أن الباحث في شعر حنيف لا يجد الشيء الكثير منه رغم قربه الزمني بنا والعمر الطويل الذي عاشه وتجاوز الثمانين سنة بالإضافة إلى ندرة الأشعار التي وصلتنا له في موضوع الغزل وهو الموضوع المحبب لدى الشعراء وقل ألا يتطرق إليه أحد منهم حتى قال منديل الفهيد: «لم نسمع من تغزله إلا هذين البيتين:

الصاحب اللي ملّني بالهوى مل

ملمال قرصٍ ململوه النكيفي

زادوا عليه بوقدة الرمث مشعل

عيشه شعير وشيخ قومه خفيفي

إلا أن لحنيف قصائد أخرى في الغزل منها أن إحدى النساء تعرضت له قرب المورد علّه يكتب فيها شعراً وبالفعل قال فيها قصيدة منها:

يا ناس قلبي حـــاير وين باغـــديه
إمّـا افـــزعـــوا والا عطوه الســـتـــادي
والاّ عطوه مـــفـــيـــزل العين يبـــريه
يـوزيـه مـن بـين الـنـحـــــر والـثـنـادي
ترى الحظيظ اللي عـشـيـره يصـافـيـه
والاّ رديفـــه فـــوق عـــصـم الأيادي
إلى بغى له حـــاجـــةٍ مـــا ينـاديه
إلى الـتـــفـت مـــا دونه الاّ الشـــدادي

وذكر حفيده ضيف الله بن راشد بن محارب بن حنيف الذي بعث لمجلة المختلف بمقال عن حياة جده أن حنيف بن سعيدان كان: «طويل القامة عريض المنكبين والنحر. كبير الرأس أسحم الوجه، وكثيراً ما كان موضع اهتمام من يقابله وهو لا يعرفه، وقد توفي «يرحمه الله» سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) تقريباً ودفن عند ماء يسمى «الوقبا» في منطقة الحدود الشمالية للسعودية عن عمر قارب المائة. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٢٠) من مجلة المختلف.

راشد الخلاوي

راشد الخلاوي واحد من أولئك الشعراء الذين عاشوا في عصر حالك الظلمة لا من حيث عدم وصول أخباره وواقعه الينا فحسب بل أنه عصر كان أشبه ما يكون بالجاهلية في أميته وبعده عن متناول الرواة ونقل الأخبار.

لذا فإن بروز شخصية مبدعة تحمل الى جانب ثقافتها الاجتماعية وتجاربها الكثيرة شعراً حكيماً رصينا كـ «الخلاوي» يعتبر حدثاً هاماً وانتباهة زمنية نادرة.

عُرف عن الخلاوي طول النفس والشاعرية المتألقة أما القرن الذي عاش فيه فهو على وجه التقريب أواخر القرن العاشر الهجري وأوائل القرن الحادي عشر الهجري حيث أن ممدوحه منيع بن سالم عاش في أوائل القرن الحادي عشر، والخلاوي يذكر في شعره وقتئذ أنه بلغ الثامنة والتسعين من عمره.

● وطنه:

المعروف أن وطن الخلاوي نجد، وأنه عاش متنقلاً فيها هنا وهناك، متتبعاً مساقط الغيث ومراعي السائمة مع ظعون الرحل، وله تنقلات بعيدة وقريبة أكثرها لممدوحه منيع بن سالم في هجر، وقد ذكر في شعره «وادي حنيفة» أكثر من مرة وذكر القريتين «أشيقر والفرعة» وذكر «حقيلاً والمصيقر والرضيمة والسر والظفرا» وذكر «الثليماء» وربما يقصد ثليماء الخرج أو ثليماً وادي خليفة أو ثليماء ملهم كما أنه ذكر «اليمامة» أكثر من مرة.

● شعره:

كان الشعر الشعبي في الزمن الذي عاش فيه الخلاوي يأخذ طابعاً خاصاً في مبانيه ومعانيه، وكان الشعر الهلالي أبرز صوره فيأخذ بوشيجة من الشعر العربي الفصيح في لغته ووزنه، وتبرز في شعر الخلاوي هذه الظاهرة وتكاد ترجع كثيراً من شعره الى أصله الفصيح وزناً ولغة إلى جانب ما يتحلى به من جزالة وفحولة.

● أغراض شعره:

أولاً- في الحكمة يقول:

من عـــوّد العين الرقـــاد تعـــوّدت

ومن عـــوّد العين المســـاري تعـــاود

ومن عـودّ الصـبـيـان أكلٍ ببيـتـه
عـادوه في عـسـر الليـالي الشـدايد
ومن عـودّ الصـبـيـان ضـرب بالقنا
نخـوه نهـار الكون: «يا با العـوايد»

الى أن قال:

تعـدّ الليـالي والليـالي تعـدّنا
والعـمـر يفنى والليـالي بزايد

وقوله:

حـريب جـدّك لو صـفـا مـا يودّك
وعـينيـه لو تبكي لك الدم كـاذبة
إحـذر عـدوّك في الملا فـرد مـرّة
واحـذر صـديقٍ بالسـوالف تحـاط به
وترى ابرك سـاعات الفتى ما بها الفتى
ومـا فـات مـات وسـاعة الغـيب غـايبه

وقوله كذلك:

الاطبـاع تطبع جـود من جـاد جـده
ولو كـان من بيت رفـاعٍ وناصـبـه
والاطبـاع تارد بالفـتى مـارد الردى
ومـا الدين والدنيـا والاطبـاع خـاربه

ثانياً- الايمان والاستقامة:

يحفل شعر راشد الخلاوي بسمات الإيمان والاستقامة ومعرفة حق الله وشؤونه في خلقه مما يدلنا على أنه متشبع بروح الدين الإسلامي ومجالسة العلماء ووعي لما يسمع رغم أنه إلفُ براري وأسفار كما في قوله في قصيدة لا تخلو من حكمة صبغت شعر الخلاوي بأكمله:

فـلا للورى عـمـا برى الله مـتّـقى
ولا حـيلةٍ يحـتـالهـا الكون صـايبه
والاقـلام جـفّت بالذي صـار واسـتـوى
على الكون وطوال السجـلاّت كـاتبـه
فـلا عـزيز إلا من الله عـزّه
ومن لا يعـزّ الله لو طال زال به

ولا خـــيــــر في مــــالٍ عن الله شــــاغل
ولا خـــيـــر في دنيــا عن الله حـــاجـبـــه

ثالثاً- عزة النفس:

يوصي راشد الخلاوي في شعره على عزة النفس والمغالاة بها عن أن تدنسها الأطماع أو تقف مواقف ذلة وخنوع بل تبقى أبداً كريمة مستقيمة، ونقرأ مع الخلاوي:

مـــقـــام الفـــتـى في منصب العـــز ســـاعــه
ولا الف عـــام يصـــحب الذل صـــاحـــبـــه

والذل حـــــتّى للضـــــواري يـسلّهـــــا
كـــمــا سلّ داء السل مـــعلوق صـــاحـــبـــه

حـــيـــاةٍ بلا عـــزٍ مـــحـــا الله خطهـــا
حـــيـــاة الفـــتى مـــا فـــاتهـــا العـــز خـــايبـــه

فـــالى المرء صـــــار العـــــار والذل حظّه
فـــالموت ســـتـــرٍ له يغطي مـــعـــايبـــه

● رابعاً - العلوم:

يعرف عن راشد الخلاوي بأنه فلكي بالفطرة يعرف الفصول والبروج ودلالتها وكذلك النجوم ودلالتها، وتفوق في هذه الأشياء تفوقاً لا نظير له كما في قوله:

لـى صـــارت الجـــوزا امـــامٍ كنّهـــا
فـــرق الظـبـــا قـــد لاحـــهـن لـواحي

فـــالزرع مــــا بين افــــلات واخــناق
واشـــتـــدّ زنـد الـعـــامـل الـفـــلاّحي (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٤) من مجلة المختلف.

راشد الدباس (أبو دباس)

في الشعر النبطي قصائد ذاعت بين الناس وحفظتها صدور الرواة وتناقلتها الأجيال دون أن يكون لأصحابها ذات النصيب من الشهرة، ومن بين تلك القصائد ردية أبي دباس وولده دباس التي ذكرت في معظم المدونات الشعرية القديمة دون أي معلومات عن شاعرها سوى أن اسمه «محمد» أو «راشد» بالإضافة إلى المعلومات التي تقدمها القصيدتان عن سفر الإبن للعمل وبقاء الأب وحيداً مما دعاه لكتابة القصيدة عاتباً على انقطاع مراسيل الإبن مدة ثماني سنين، ومنها:

يا ونّةٍ ونّيتـــهـــا من خــوا الراس
من لاهبٍ بالكبـد مـثل السـعـيـرة
ونين من رجله غـدت تقل مـقـواس
بونْ تالي الليل يشكي الجـبـيـرة
ويا حـمس قلبي حـمس بنٍّ بمحـمـاس
وياهشم حـالي هشـمـهـا بالنجـيـرة
ويا وجـد حـالي يا مـلا وجـد غـرّاس
يوم اثمـرت واشـفـا صـفـا عنه بيـره
على ثمـر قلبي سـرى هجـعـة الناس
منتحـرٍ دربٍ عـسى فـيـه خـيـرة
الله يفكـه من بلا سـوّ الاتعـاس
ومن شـر عـبـثـات الليـالي يجـيـره
في ديـرةٍ تـقـطـعـت عنـه الارمـاس
سـبـعين يوم للركـايب مـسـيـره
لا والله الاّ حـال من دونه اليـاس
حط البـحـر والبـر دون الجـزيرة
يالله يا اللي ردّ من عـقـب الاياس
يوسف علي يعـقـوب وابصـر نظيـره
ترجع عليّ «دباس» يا مـحـصي الناس
ياعـالم بالخـافـيـة والسـريرة

ولما وصلت القصيدة الى «دباس» أرسل الى والده شيئاً من المال ووعده بسرعة

العودة، وكتب قصيدة منها قوله في بدايتها:

حي الجـــواب اللي لفــانا من الراس
جـابه غـلام مـا توانا مـسـيره
جـــواب من هو لي مـــودٌ من الناس
أبوي مـا يوصف حليٌ لغـيـره
فـرز الوغـا كنه على الوكـر قـرناس
وقـروم ربعـه كلهـا تسـتشيره
دليل عـيـراتٍ ليـا هبّ نسناس
ثم ادلهم الجـوّ مـا من ذخـيـرة
مـهـفي الغنم لاهل الركـايب والافـراس
لي روّحـوا له مـا عليـهم قـصـيرة
راعي مـعـاميلٍ بهـا العـبـد جلاّس
للبنْ يشـري بالسنين العـسـيرة

وفي ختامها يقول دباس:

إن كـان تشكي الضـيق يا بوي لاباس
جـاك الفـرج يابوي هو والبـريرة
والا فـانا يا بوي قطاّع الارمـاس
أصـبـر على الشدة ولوهي عـسـيرة
أبغي عـسى الله يبـرد القلب يا ناس
من لاهبٍ شـبّت بقلبي سـعـيـره
ومن كـان له غـايب فلا يقطع اليـاس
إن قـدّر الله جـاب علمـه بشـيره

وقد وردتنا في المختلف رسالة من القارئ مشاري بن راشد بن حمد الدباس من مدينة الرياض تضيء جوانب خفية من حياة هذا الشاعر يقول فيها:

«الشاعر «أبو دباس» هو: راشد بن عبدالله بن دباس بن علي الدباس - المكنى بأبي دباس - ولد وعاش وتوفي ودفن في بلدته «عودة سدير» البلدة المعروفة بمنطقة سدير شمال الرياض (تبعد حوالي ١٥٠ كم عنها)، وقد عاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري من بيت حسب ونسب ورئاسة ويرجع اصله الى الوداعين من الدواسر، وهو ينحدر من سلالة غانم بن سابق بن ناصر الودعاني

الدوسري».

ويضيف القارئ أن أبا دباس كتب قصيدته المشهورة عندما غادر ابنه دباس من بلدته «العودة» الى ساحل الخليج العربي «الإمارات العربية المتحدة وعمان» بحثاً عن اللقمة الشريفة كمعظم أبناء جيله في الترحال لطلب الرزق، وهذا يتضح من بيت الأب الذي ورد في القصيدة واصفاً الرحلة حيث تبدأ من بلده العودة الى الصمان.

تنشــر من «العــودة» على نور الأنفــاس

عند الفــجــر والليل مــقــفي مــريره

والعــصــر بالصـمّـان تسمع لها أضراس

حــبل الرسن خطرٍ تبــتّــر جــريره

وقد كتبها حاثاً ابنه على العودة الى بلده والبقاء مع أسرته وجماعته في ظل شوق الوالد لولده ، وللأب العديد من القصائد التي لم تدون وظلت تتناقل بين كبار السن حفظاً مما أدى الى قلة ومحدودية تداولها بين الناس وله أيضاً هذه الأبيات:

جــعله من المشــقــر الى نجــد ومــزوم

ومــداينٍ عنهــا جنوب وشــمــالي

والى خــذوا شــهــرٍ وخــمــسة عــشر يوم

تبــاشــروا بالفــقــع والعــشب زامي

وله من قصيدة أخرى:

عيٍّ عــديمٍ مــا يطيع العــذاذيل

والى نوى دربٍ فــلا فــيــه حــيلة

وقد أشار القارئ في نهاية رسالته إلى أن راشد الدباس توفي في العودة ، وخلف ثلاثة أبناء وبنت هم: «دباس، وعبدالله، ومحمد، وزهيّة». (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٦١) من مجلة المختلف.

راشد بن عفيشة

يعتبر الشاعر «راشد بن محمد آل عفيشة الشهواني الهاجري» واحداً من أبرز الشعراء الذين عايشوا جيل الشعراء الكبار في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وقدموا تراثاً شعرياً زاخراً بالإبداع ، ولا يذكر راشد بن عفيشة إلا ويذكر معه ولده الشاعر عمير بن راشد الذي ورث عنه الشعر حتى صارا علامة بارزة في تاريخ الشعر النبطي وخاصة في دولة قطر التي قامت وزارة إعلامها قبل سنوات بجمع تراث هذين الشاعرين في ديوان بإسم «آل عفيشة» قام بتحقيقه وشرحه حمد الفرحان وحمد بن عمير نجل الشاعر.

كان الشاعر راشد بن عفيشة مولعاً بالترحل ونجد في شعره وصفاً لنواحي نجد وجنوب العراق والشام، وفي شعره حماسة حتى قيل أنه كان «يشعل نار الحرب ببيت ويخمدها بآخر» كما اتصل بالشيخ قاسم بن محمد آل ثاني مؤسس حكم آل ثاني في دولة قطر ومدحه، ومن ذلك قوله سنة ١٩٠٠م:

منصــــاك شــيخٍ يجـعـل الشــرّ مــادوب
«أبو فـــهـــد» نور الوطن غـــوج الاطلاب

الشـــيخ قـــاسم زين من جـــاه مكروب
فـــرز الوغى لى من هبـــا كل هيّـــاب

نجم لـعـــفـــاريت الفـــراعين مكتـــوب
مــــفــــراص فـــولادٍ وللحـــرب دولاب

حـــصنٍ لنا عن ســـود الايام منصـــوب
وحن ســيــفــه اللي مــا يبـقّي بالارقــاب

هو درعنا الضـــافي إلى مـــسّنا الدوب
ســـورٍ لنا عن جـــور الايام وحـــجـــاب

كما اتصل بالشيخ زايد بن خليفة آل نهيان المعروف بزايد الأول وهو جد الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات الحالي حيث جاء إليه متوسطاً لبعض أقاربه ممن كانوا في السجن ، وقد أطلقهم الشيخ زايد إكراماً له، فيقول:

منصـــاك فـــرز الدار في حـــومـــة الوغى
شـــيخٍ على الشـــيـخـــان له مـــاقفٍ وافي

أسد سديدٍ سابق اسمه فعايله
يحط عفريت الفراعين ميلافي

فلا يحاتي كون عودٍ مقرنس
يحاتيه من ضدّ الليالي بالاسلافي

بازٍ تهاضع له حرارٍ بروسها
تحت صيخ وكره يطلب العفو من خافي

كما أن لراشد بن عفيشة قصيدة في مدح الأمير محمد الرشيد ومدح السلطان عبدالحميد الثاني كما أنه رد على قصائد الشيخ راكان بن حثلين وله قصائد كثيرة في مدح قبيلته وذكر مآثرها.

وقد عمّر راشد بن عفيشة طويلاً حتى تجاوز الثمانين من عمره وكف بصره ، ولا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد لكنه في الثلث الأول من القرن العشرين الميلادي.

أما ولده عمير بن راشد آل عفيشة فهو أحد سبعة ذكور أعقبهم راشد وأمه من آل مرة.

ولد عمير بن راشد سنة ١٨٩٠م (١٣٠٧هـ) تقريباً ، وقال محققا ديوانه عنه:

«شعره عميق جميل. لا يختلف اثنان على روعة شعره وجماله ورقته وعذوبته ، واحتل عمير بن راشد العفيشة مكانة بارزة بين شعراء الطبقة الأولى من شعراء النبط في الوطن العربي، وقدمه كثير من النقاد . له قصائد مشهورة في كل مكان من جزيرة العرب وله أبيات جرت مجرى الأمثال . عارف بكثير من المسائل والتاريخ. له قصائد يذكر فيها أقواماً لا يعرفهم غيره إلا قليل».

وشعر عمير بن راشد كثير وتتنوع أغراضه في المناسبات الوطنية والفخر والغزل والعتاب والمدح والرثاء بالإضافة إلى قصائد الزهد والنصيحة كما أن له مساجلات كثيرة بينه وبين شعراء عصره في قطر وغيره من أمثال صالح الكواري ولحدان الكبيسي وعيسى الرميحي وراشد بن عجب الهاجري وبلال بن حارب والشاعرة عوشة السويدية.

ومن شعر عمير بن راشد نلتقط الأبيات الآتية:

البارحة نومي تفارق وموقه
سهرٍ وغيري في حلا النوم غافي

باسـبـاب طيـري صـادفت له وفـوقـه
قص العلق واقـفى له النود قـافي
طيـرٍ له الصـقّـار نفـسـه زهوقـة
حـرُ وبين اسـمـا الحـرار اخـتـلافي
أمـا اشـقـرٍ جـارح سـريع لحـوقـه
مـا هـوب للمـقـفي تلوبٍ مـرافي
درعٍ مـخـاليـبـه ودرعٍ شـدوقـه
من نـشـر دم الخـرب تحت الخـوافي
والا نعـيـريُ صـغـارٍ دقـوقـه
طلعـه قـرار اليـا اعـتلوا بالكشـافي

وله في النصيحة هذه الأبيات:

ظروف الدهر مـا عـاد ينجى شـريدها
وتمكّن الطارد بقـبـضـة طريدها
كـمـا قـال راعي الوصف: طاردك لاحـقك
بطول المدى عـزّي لحـالة وحـيـدها
فـيـا غـافل الدنيـا ترى الحـذف واصلك
تنبّـه ترى الأيام هل من مـزيدها
وللعـمـر حـد وكل حيٍّ له الفنا
يكون الذي كـوّن سـمـاها وبيـدها

وامتد العمر بالشاعر عمير بن راشد آل عفيشة الهاجري حتى توفي سنة ١٩٨٢م (١٤٠٢هـ) بالعاصمة النمساوية فيينا حيث كان يتعالج ، ودفن في دولة قطر «رحمه الله». (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٩) من مجلة المختلف.

سالم الحميد

حين كانت بلدة الزبير تزخر بأهلها من أهل نجد الذين اضطرتهم سنين القحط والأوبئة إلى أن يهاجروا شمالاً عرفت هذه البلدة عدداً كبيراً من الشعراء ، وليس محمد بن لعبون وعبدالله بن ربيعة وعبدالرحمن القديمي سوى أمثلة لشعراء آخرين كثر يعد «سالم الحميد» أحد أبرزهم ، وسنحاول في ما يأتي من السطور التعرف على هذا الشاعر وما ترك من تراث.

هو «سالم بن محمد بن عبدالله الحميّد» من مواليد الزبير سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م) ، وعاش حياته فقيراً رغم أنه عمل رئيساً لحراس البلدة في بعض الفترات ، ومات فقيراً بعد أن عمّر أقل من مائة سنة حيث توفي سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م).

رغم قصائده الجادة التي كانت تتمثل في غالبها أغراض المدح والرثاء والحكمة فإنه اتخذ من الطرافة والسخرية والألحان الغنائية الخفيفة قالباً لغزلياته وخاصة في محبوبته التي كان يلقبها بـ «ثقيلة».

ومن أشعاره قوله في مدح الشيخ حمود بن جراح الصباح:

يا رجم عـديتك ولو كلف مـرقـاك
باغٍ أكسـر عبـرتي فـوق عـاليك

لو البـلا به «سالم» كـان مـا جـاك
وقّع بـراسك مـا تـذرّى بحـدريك

يـا قـلب طـاوعنـي والى طـعـت طـعـنـاك
تعلم بمضـمـوني ولا هـوب خـافـيك

وفي آخر القصيدة يقول سالم هذه الأبيات:

مـن اوّلٍ نرعـى أمـينين بحـمـاك
والـيـوم ظلّينا عـلى الدار نرجـيك

مـا زلّ يوم الاّ عـلى البـال طرياك
عـمـرك يطول ويبعـد الشر مـا يجيك

يمناك يا زين المشـافـيق يمنـاك
العـزّ فـالك والسـعد دوم يتليك

ونعود للقنص مرة أخرى فنرافق الشاعر سالم الحميد في رحلة قنص مع أحمد البراهيم الراشد شقيق «عبدالله» شيخ الزبير سنة ١٣٢٦هـ، وكانت مع سالم بندقية لا تخطئ فأصاب بها ستة من الظباء تمزقت جلودها، ولم يصدق أحمد أن كل هذا من صيد الشاعر بل قال أن تمزيق الجلود دليل على أن الذئاب هي التي افترستها، وعندها قال الشاعر قصيدة أكدت له حقه في الصيد منها:

الصيد يذكر بالمجالس حكي به
تحزّموا ياهل الموازر بترتيب
كلٍ يبيّن بالتفافيق طيبه
عند البني إليا لفيتوا المعازيب
يا عبيد انا صيد الخلا مشتقي به
ربيع قلبي طردهن باللواهيب
الحمد لله يوم جتني غريبة
من سلاح دولتنا عطوها المناصيب
خمسة كيالة رميها تقتدي به
ما هو خفيٍ بيّنٍ بالتجاريب
«الجرمني» من صاغها لا تجيبه
شغل الخبيث مسوجره باللواليب
صنّاعها يصنع ولا احدٍ دري به
محدٍ يشوفه باني له سراديب

ولو أردنا أن نقف مع كل حكاية من حكايات سالم الحميد ونقرأ ما كتب فيها من شعر لطال بنا الأمر، ولكن يبقى لنا أن نقول أن شعر سالم الحميد أو جزءاً كبيراً منه جمعه د. علي عبدالرحمن آبا حسين في ديوان بإسم الشاعر ندرت نسخه الآن، وكم أتمنى أن يقوم أحد المهتمين بتراث هذا الشاعر بإعادة طبعه، والإهتمام بجمع المتناثر من شعره في كتاب يستحقه هذا الشاعر منا. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٠) من مجلة المختلف.

سليمان بن شريم

يعد سليمان بن شريم واحداً من شعراء النصف الأول من هذا القرن المميزين ، ووصلت شهرته للحد الذي دعا صاحب «التحفة الرشيدية» مسعود بن سند للقول: «هو من فحول الشعراء النبطيين لا يدانيه أحد في إبداعه وشاعريته ، وقد سمعت مراراً من شعراء كثيرين وأدباء بالكويت والجزيرة العربية أنه يلقب بحق متنبي القرن العشرين».

ولد «سليمان بن ناصر بن شريم»، وهو من بني زيد المعروفين من حاضرة نجد في بلدة «عين ابن فنور» في «السر» بإقليم القصيم سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م) في بيت ميسور الحال، فتعلم القرآن وواصل التعليم حتى بدايات شبابه حين بدأت موهبته الشعرية في الظهور في قصائد حماسية تطلبتها تلك الفترة الزاخرة بالأحداث.

وبعد الحماسيات عُرف ابن شريم بالغزل وطرق كافة أبواب الشعر مما وفر له شهرة مبكرة تجاوزت القصيم ووصلت بلاداً أخرى ومن بينها الكويت التي عاش فيها فترة من حياته لوجود بعض أقربائه فيها، ونال بها شهرة كبيرة خاصة في محاوراته مع شاعرها الكبير صقر النصافي.

وعندما عاد سليمان بن شريم إلى بلاده، لم تطل به الحياة كثيراً حيث توفي سنة ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) بمدينة بريدة التي استقر فيها في سنوات عمره الأخيرة تاركاً تراثاً كبيراً يقدر بعشرات النصوص الرائعة.

ومن أشعاره نقرأ المقاطع الآتية:

■ في الغزل:

حـــيَــا الله اللي يغــيب ويســـرع الردّة

اللي يجــــيني إلى منّه تبـــــاطاني

قلبي يحـــبّــــه، وقلبي كنّه القـــدة

ودّي بشـــوفـــه ودونه حـــوم عـــقــــبـــاني

يا صـــاحـــبي جـــارك الله ويش هالصـــدة؟

مـــــاهوب حق تولّعني وتجـــــفـــــاني

إن كـــان عندك هرج بي خـــامل الســـدة

فـــانت المصدّق، وانا حـــقي ومـــا جـــاني

إهرج على مـــا تـورّى والبــــخت بدّه
لا تنقـهـر يا بعـد حـيْني وحـيّــاني

تـرى حـــلاة الـهـــوى لـو طـالـت المدة
مـــاهوب يوم صـديق ويوم قـــومـــاني

وان كـان مـا انت بمصـافـيني على الشـدة
وقت الرخـــا واجــدٍ ربعي وخـــلاني!

■ في الوصف:

ريحـه كـمـا زهر النفل في شـعـيـبـه
في خــايعٍ علّه من الوسم تشــعـيـب

ممـطـور امـس وممـسـيٍ مـــا وطـي بـه
والـيــوم شــمـس وفـاح طيبٍ على طيب

■ وله في القلطة باع طويل ، وهذه إحدى محاوراته مع الشاعر الكبير صقر النصافي بدأها صقر بقوله:

والله اني مـا اخلي اللعب ذلّ وفـشـيلـه
دام راسي عليـه اليـا لمسـتـه عـقـالي

قال سليمان:

يا ســحــابٍ ترزّم وارتـكب نوّ.. سـيلـه
يالله انك تخـفّف سـيلتـه يوم سـالي

قال النصافي:

من بغـا يضـرب المضـمـاه يملا صـميـله
لا يحـوشـه نهـارٍ يلمس السـعن خـالي

قال سليمان:

كم صـبيٍ تهـقـوانا خــفـسنا زبيله
يصبح الصبح مـاعونه من العزّ خـالي (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٩٣) من مجلة المختلف.

صقر النصافي

يعد صقر النصافي شاعراً من الطبقة الأولى بين شعراء النبط في القرن العشرين ، وله حضور مميز في الذاكرة الشعبية.

ولد «صقر بن مسلم بن زيد النصافي الرشيدي» في الكويت سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) حسبما حدّد في مقدمة ديوانه الذي جمعه حفيده مهلي مهلي صقر النصافي، وهذا التحديد يساعدنا في التعرف على الحقبة التي عايشها الشاعر ، وحين ننظر في المصادر المدوّنة بحثاً عن ظروف نشأته لا نجد ما يشفي الغليل غير أن الثابت لدى الرواة أنه «عمل في الغوص كبقية أهل الكويت وصارع الحياة من أجل لقمة العيش كغيره من رجال ذلك الوقت، وتنقل بين الصحراء بالشتاء والبحر بالصيف طلباً للرزق».

ويمثل الشاعر صقر النصافي من خلال الفترة الزمنية التي عاشها وأعطى فيها نتاجه الشعري جيلاً كاملاً من رواد البحر والبر الكويتيين، فقد عمل في البحر حتى إذا أخذ نجم هذه المهنة بالأفول وأخذت دوائر الدولة تتشكل في الكويت وانتظم الكثيرون من أبناء الكويت في الوظائف الحكومية انقطع النصافي عن العمل الشاق في الغوص، ولكن ليس لدينا أي معلومات عن التحاقه بأي عمل حكومي ولعله كان أكبر سناً من ذلك خاصة وأنه توفي سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) قبل اكتمال الشكل الحديث للدولة.

عرف الناس صقر النصافي رجلاً عفيف النفس كريم الخلق نقي السريرة صادق اللهجة قليل الكلام لكنه إن تحدث اعجب مجالسيه، ولذلك كانت صلاته مع رجال عصره طيبة للغاية، ومن أهمها صلته بالشيخ أحمد الجابر الصباح الحاكم العاشر للكويت الذي كان يصطحبه في بعض رحلاته الى البادية لمباراة الشعراء في فن «القلطة» الذي برع فيه صقر حتى غدا شاعر القلطة الأول في الكويت.

ومن قصائد النصافي في تصوير حياة البادية التي عايشها أيضاً قوله:

قالوا علامك يالنصافي تخايل
كنك تخيل البرق وين اشتعاله
قلت ابا اخايل نشر ضافي الجدايل
شدّ الشديد ووين تمشي رحاله

أشــوف مـظهــــور اريش العين شـــايل

تـوّه علي تـشــويرته بـاحـــتــمـــالـه

قـــفّى وانا قـــفّـــيت فـــوق الـرحـــايل

مـــا عـــاد عـــيني تمتلي من خـــيـــالـه

ومن القصائد الجميلة التي يصف فيها النصافي تغيّر طباع الناس ونظرتهم المستريبة لعلاقات الحب الشريفة مصوراً نماذج من الحياة الإجتماعية للناس في الماضي بهذه الأبيات:

لا والـلـه الاّ صـــار طبـع الـعـــرب شين

مـن داج بـين بـيـــوتـهـم بـرّقـــوا بـه

الحبّ شـــان وشـــيّنوه الخـبـــيـــثين

الـلـي من اوّل قـــد مـــشـــوا في دروبـه

مـــا يـامـــرون الاّ بـفـــرقـــا المحـبّين

ســـوق المودّة كنّهم مـــا ســـعـــوا بـه

فـــيـــمـــا مـــضى نمشي وناصل قـــريبين

زولـي إلـى مـنـهـم بـدا رحّـــبـــوا بـه

والـيـــوم صـــاروا كلـهـم لي عـــدوّين

كـــثـــرت نمايـمـهم وخلّـي حـكـوا بـه

يـا نـاس مـــا رافـــقـت خلّي على شين

إلاّ عـلـى وضـح الـنـقـــا فـي دروبـه

ومن شعره في الغزل أيضاً قوله:

يـا مـــرحـبـــا تـرحـيـب راعي الـضـعـــايف

ذودٍ جـــفـــاه الوقت يدبي دبيـــبـــه

تـرحـــيـــبـــةٍ مـــاني براعي حـــسـايف

بـالـنـظـر والـلـي طـرّشـــه مـع نديبـــه

دنّيت لـي من قـــاطـعـــات الـتـنايف

نجـــيـــبـــةٍ يا ويّ والله نجـــيـــبـــة

ركـــبـــتـــهـــا واجنبت يمّ الردايف

مـــذهـب وادوّر بـو هـروج عـــجـــيـــبـــة

ولـقـــيـت من كنّه ظبيّ الحـــتـــايف

عنده هله مـــا هـم عنّه بـغـــيـــبـــه

وعــــذّبت له في مظلم الليل حـــــايف

يـوم ان كـلٍّ هـاجـعٍ مـــــــــادري بــه

وكـــشـــفت عن راســـه لحـــاف القطايف

وطيَّـــرت عنه النوم من غـــيـــر ريبــة

وقـــالــت: وش انت؟ وقلت: ادوَّر عـــرايف

أنتي عـــرافـــتنا وصـــرتي قـــريبــة

قـــالت: تقلَّع مـــا نحبّ الكشــــايف

هذا طريقٍ بالنصـــــافي مــــالي بــه

قـــومي اركـــبي والهي بهـــاك الحـــلايف

لاذبحك ذبحــة من تقــاضي حـــبـــيـــبـــه

قـــالت: كـــفــاك الله دروب الحـــسايف

وقـد ذلولك صـــوتهـــا لا تجـــيـــبـــه!! (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٩) من مجلة المختلف.

عبدالله بن دويرج

توفي في «عنيزة» سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) شاعر مميز من شعراء النبط فقيراً معدما وترك من ورائه قصائد يذكرها رواة عصره بإعجاب وتقدير كبيرين.

ذلك هو عبدالله بن دويرج وهذه سطور عن سيرة حياته الشعرية.

ولد «عبدالله بن علي بن محمد بن دويرج» الملقب بـ «هدبان» في قرية الجفن بمنطقة السر بنجد ، ولا يذكر «بندر الدوخي» الذي جمع ديوان ابن دويرج وقدم نبذة مميزة عنه السنة التي ولد فيها شاعرنا، ولكن يلاحظ أنه توفي وقد بلغت منه الشيخوخة مبلغها وبذا نستطيع القول أنه ولد في الفترة الزمنية المحيطة بسنة ١٢٨٠هـ قبلها أو بعدها بقليل.

ولم يعش ابن دويرج حياة مرفهة إذ أنه كان فقيراً يحتطب ويجمع الحشيش من البراري، وعندما انتقل إلى عنيزة لم تتغير حاله كثيراً ويبدو أنه ظل رافضاً التكسب بشعره حتى توفي سنة ١٣٦٥هـ.

عايش ابن دويرج بداية دخول المخترعات الحديثة وله في ذلك أبيات طريفة مستغرباً محطة تحلية مياه البحر في جدة، فقال:

يا كثر ما شافوا الاسلام منهم موارٍ قشر
حديد يمشي برجلينه على الرقة والاخر يطير
واظهر مكينة تصفّي ماً قراح من هماج البحر
لولاه شافه لبيب العقل في عينه جزم ما يصير
مكاينٍ جعل من هندس بها لين استوت في سقرا
والى دعا الله يغيثه وردّه مالك على زمهرير
حنّا إلى صلَح الساعة حدانا قيل هذا الفخر
هذا الستاد الفرنجي ما ورا هذا استادٍ بصير

ومن قصائده قوله مخاطباً ولده «مشعل» الذي كان يعمل في الحجاز، ويكثر الشاعر عبدالله بن دويرج من مخاطبته في قصائده، وهذه إحداها في الشكوى من فقر حاله:

مضى العمر انا والفقر يا شعيل حطّ وشيل
أنا اقواه يوم وباقي الايام يقواني

أدير الروابع لين يقبل سمار الليل

إلى رحت مع سوق ابغديه لاقاني

قلبني وله مع ساقتي مثل رجد الخيل

على وصلتي للباب ولاه يتناني

ويجد القارئ عدداً من المحاورات بين ابن دويرج وشاعر يدعى «عقاب الغرمول» وحيث ان تاريخ الشعر في القصيم لا يعرف شاعراً بهذا الاسم، فإن المرجح أن الغرمول شخصية وهمية اخترعها ابن دويرج حين كان يخرج لجبل الصفري قرب عنيزة وحيداً، وينصب إبريقاً للشاي يسميه الغرمول ويظل يشكو الحال له وينظم معه المحاورات.

ولاشك أن اختراع شخصية هي في الأساس عبارة عن «إبريق شاي» طرافة من ابن دويرج ، ومن محاوراتهما يقول الغرمول:

يا سلامي عدَ ما جرّ القنيب الضاري

كلّ ما منّه تضوّر في رفيع القارة

فرد ابن دويرج:

البقا بك عدْ ما هل السحاب انهاري

أو عدد ما سال وادٍ واختلف نوّاره

فيرد الغرمول:

ليتني ما جيت عانٍ من محلّي ساري

ياالله انك لا تعيد بمثلها تسياره

وكان رد الدويرج:

انت تدعي مير علّمني وش اللي جاري

فان بغيت فلا تعلّمني عرفت الشارة

وتستمر المحاورة بين الغرمول والشاعر ويصل التحدي مداه مثل أي قلطة عادية!!

ويقول أبو عبدالرحمن الظاهري: «إبن دويرج ذو صلة بمبدعي الألحان في عنيزة وذو صلة بأمثال ابن شريم الذي رحل إلى الكويت ، ولابد أنه سمع ألحان بادية الحجاز وأقصى عالية نجد لاسيما اللحن الشيباني الذي عرف فيما بعد باللويحاني وهو عدة أدوار ، وابن دويرج ولّد ألحاناً مما سمعه من ألحان الملعبة ولكنه ظل

مشدوداً بألحان البادية الحجازية وأقصى العالية لا سيما لحن الشيابين».

وما نراه أن تجديدات ابن دويرج في الألحان اعتمدت على مزج البحور وتطويل بعضها خاصة مع بحر الرمل وتفعيلة «فاعلاتن» فهو يكررها خمس مرات مع تحويل الخامسة إلى «فعلن» ليقول:

يا هل العيرات باكر كان مرّيتوا طوارف خلّي

خبّروه اني شكيت الهمّ والساموح عقب فراقه

ما نسيت الصاحب اللي بالمودة والهوى صافٍ لي

جالي اصفى من غدير المقر واحلى من حليب الناقة

ومن تجديدات ابن دويرج في الوزن قوله:

آه يا من ضربني في يده كفٍ على خدّتي عسراوي

ما استحقيت به مير المودة صابرٍ بالخطا راعيها

وتفعيلات الشطر الواحد كالآتي: «فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعل».

ومن المواقف الطريفة في حياة شاعرنا أنه رأي قطاً في بيته رغم خلو البيت من كل أثر للطعام لفقر الشاعر فقال:

يا بمن يا اللي تدور بدارنا وش تدور؟

ترى عوضك التعب.. مير احتسب للمراح

حنّا من العام يا كافي علينا دبور

إنحر وساع الصحون اللي وراهم طياح!

هذه بعض ملامح سيرة شاعر مجدد عاش حياة بائسة وترك تراثاً غنياً. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠١) من مجلة المختلف.

عبدالله الفرج

شاعر وفنان كان له أثر كبير في مسيرة الأدب والفن في الكويت والخليج. نظم الشعر الفصيح والنبطي.. شعره الفصيح ضاع أكثره أما شعره العامي فبقي محفوظاً مما سهل جمعه واصداره في ديوان شعر كما أنه له ألحاناً وموسيقا ما زالت تعيش بيننا حتى اليوم.

هو «عبدالله بن محمد بن فرج بن عبدالرحمن بن فرج المسعري الدوسري». ولد في الكويت سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م) وتوفي بها سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م).. حفلت حياته بالهجرة والاغتراب فابتعد عن وطنه الكويت حيث استقر في نشأته الأولى في الهند واستمر هناك يسير مع الحياة بكل ما فيها من الوان وفنون ولهو وطرب ولكن روحه ظلت في غربتها.

كان عبدالله الفرج وحيد أبيه لذلك كان اهتمام أبيه منصباً عليه، وقد هيأ له كل وسائل الترفيه كما أدخله المدارس الهندية وأحضر له معلمين للغة العربية، وقد برع شاعرنا في كثير من العلوم لكنه آثر الشعر والموسيقا، ولما توفي والده سنة ١٢٧٠هـ (١٨٥٤م) آلت إلى شاعرنا ثروة هائلة فبددها سريعاً مما اضطره للعودة الى الكويت منقطعاً الى نظم الشعر والتلحين والغناء، فاكتسب شهرة واسعة ومقاماً رفيعاً.

تمتاز قصائد الفرج بالتعابير البلاغية والبديع لتأثره بالأدب العربي وله قصيدة طويلة مطلعها: (أنشيت من روض الفكر يوم ان حضر) حاول فيها أن يصنع للشعرالنبطي قواعد وضوابط أوزان كالشعر الفصيح.. ولكن تلك القصيدة لم يحفظ منها سوى عدة أبيات صاغها شاعرها كألغاز وقد ذكرت في ديوانه الشعري.

برع الشاعر عبدالله الفرج في نظم الشعر النبطي وكذلك في مواويل الزهيري التي جعلها مرتبة حسب الحروف الأبجدية - وقد أسماها الشاعر (الروضة) - مليئة بالبديع والتراكيب اللفظية بين مهمل ومعجم ومتجانس وغيرها من أنواع التعسفات اللفظية البديعية وبعضها يعسر فهم معناه.

بجانب قصائده المنتشرة في عدة دواوين فإن له ديوان واحد خاص باشعاره العامية طبع في بومباي بالهند عام ١٣٣٨هـ وقد لاقى رواجاً كبيراً جعل ابن عمه الأديب خالد محمد الفرج يعيد طباعته في دمشق عام ١٣٧٣هـ.

طرق عبدالله الفرج شعر الغزل فبرع فيه كما برع في شتى موضوعات الشعر من حكم ومعارضة ومدح وهجاء وغيرها.

وقال يمدح الشيخ عبدالله الثاني الصباح حاكم الكويت الخامس:

تلوح بخشوم الاعادي وسومه

مثل الرشوم وقايد الصعب بزمام

حرٌ جناه الصيد مغذي لحومه

تشوف عقبان الورى منه خرّام

اندى من الغيث المثلّه غيومه

بالجود والطف من ذعاذيع الانسام

أما قصائد الغزل لدى شاعرنا فهي رقيقة الى حد كبير ومليئة بالأحاسيس المرهفة، ويقول في احدى قصائده الغزلية:

جرى الدمع من عيني على الخد وانتثر

وبيّح بسدّي يا علي دمعي الجاري

شجاني حمامٍ ناح بالمورق الخضر

وهيّض غرامي تالي الليل وافكاري

الا وا شقا قلبي من الويل لى ذكر

حبيبٍ جفاني يوم رنّت به اشعاري

جفاني وعرّض بالجفا روحي الوعر

وجسمي دعاه من اللحم ناحلٍ عاري

نحل حالتي هجره وياليت ما هجر

محبٌ يروف بحالته دوم وبداري

خنين الذوايب ياعلي كلما خطر

على البال ذكره سبّه البال بذكاري

انا كيف باسلا عنه واصبر كما صبر

وانا اللي بحبّه للملا شاعت اخباري

تلفني على فرقاه وجدي مع السهر

فهل يا علي عن حالتي متلفي داري

ضحوك اللمى له غرّةٍ كنّها القمر

الى شعشعت يسري على نورها الساري

حسينٍ سواته ماحدٍ شاف أو نظر

غزالٍ بزينه يخجل البيض ويماري

أنا سبّ شوفي للغضي في شهر صفر

نطحني عصيرٍ ساطعٍ نورها واري

نطحني وحيّرني بها صافي النحر

وسبّه دليلى عقب ما تيّه افكاري

ألا ليت عن حالي حبيبي خذا الخبر

ولا هال من تذري همومه كما الذاري

علامه إلى من شافني مقبلٍ نفر

والى قلت قولٍ قال والله «بيعاري»

ألا يا هل المعروف ما ينفع الحذر

قضى الله ربي ما قضى بامره الجاري

بلاني الهوى وبليت بالجادل العفر

وهذا المقدّر يا علي حكمة الباري

هواي الذي عنه اتحفّى مدى الدهر

وهو ما يسل عني ولاهوب في كاري

أرى منه روحي يا هل الغي في خطر

إلى مت فاخذوا منه يا هل الهوى ثاري (×) .

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٥٣) من مجلة المختلف.

فواز السهلي

عايش الشاعر «فواز السهلي» الفترة الذهبية للشعر النبطي ، والتي ظهر فيها جيل من العمالقة من أمثال «تركي بن حميد ومحمد بن هادي ومشعان الهذال وراكان بن حثلين ومحمد العرفج وعبدالله بن ربيعة وابن لعبون».. إلى آخر هذه القائمة التي ما زلنا ننهل من إبداعاتها إلى يومنا هذا .

ورغم أن «فواز السهلي» يعد من الشعراء المقلين إلا أنه حجز مكاناً واضحاً بين شعراء جيله، وهو إنجاز في حد ذاته لاستثنائية ذلك الجيل.

وقد عرّف به الباحث سلطان بن عبدالهادي فقال هو: «فواز بن خنثل آل رويضان الزقعاني السهلي»، وكما هو واضح من نسبه فهو ينتمي إلى آل رويضان امراء الزعاقين مما يعطينا انطباعاً عن المكانة الإجتماعية التي كان فواز ينطلق من أساسها .

ويصفه المرحوم عبدالله الحاتم وهو أول من دون شعر السهلي في كتابه الرائد «خيار ما يلتقط من الشعر النبط»: (فواز شاعر ممتاز . في شعره خفة الوزن وجودة القافية وجزالة اللفظ وبراعة التصوير مع قوة في المعنى ، ولو كان شعره عربياً فصيحاً لكانت له منزلة مرموقة بين الشعراء بل ربما احتل الصدارة لأن الشاعرية لا تختلف عن كون الشاعر نبطياً أو فصيحاً وإنما هي مجرد شعور وإحساس).

وإضافة لما قاله الحاتم نجد طلال السعيد يضم فواز السهلي لأعلام الشعر النبطي الذين انتقاهم بمهارة من بين كل شعراء النبط ، واختارهم ليضع لهم تراجم في الجزء الأول من موسوعته النبطية التي لم تكتمل حتى الآن، ورغم فقر الترجمة التي أوردها السعيد لفواز إلا أنه أشار إلى ملاحظتين نقديتين في شعره وهي اعتماده على نظام القافية الواحدة كما أنه أحيى استخدام بحر الرجد الذي سبق لحميدان الشويعر أن أسرف في استخدامه شعرياً ، وهاتين الملاحظتين جديرتين بالإهتمام والتساؤل عن سبب هذه النزعة في شعر فواز السهلي خاصة وأنه عاش في فترة سيادة بحر المسحوب ذي القافيتين المختلفتين في الصدر والعجز الأمر الذي نلاحظه في شعر معاصري فواز.

أما تراثه الشعري الموجود بين أيدينا فرغم أننا نجد أشعاراً لفواز في «خيار ما

يلتقط» للحاتم ومخطوطة ابن يحيا «لباب الأفكار» ومخطوطة هوبر والكرملي و«الأزهار النادية» وغير ذلك من مجاميع الشعر إلا أننا لم نعثر على أكثر من القصائد الثلاثة التي أوردها الحاتم وبالتالي فنحن أمام شاعر ضاع معظم شعره ومن الصعب استنتاج الكثير عن شخصيته وحياته، وهذه القصائد هي كالاتي:

١- قصيدة في مدح حاكم نجد في أيامه الأمير عبدالله بن ثنيان آل سعود، وذلك سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤١م) وقد أوردها الحاتم في خمسين بيتاً بينما زادها الباحث سلطان بن عبدالهادي باستفادته من مراجع أخرى حتى أوصلها في ضميمته إلى ٦٢ بيتاً، وفيها مدح بابن ثنيان وتوصيته خيراً بقبيلتي السهول وسبيع، وهي على بحر الرمل (تكرار فاعلاتن ثلاث مرات في الشطر الواحد) ومنها:

يا عزيز الجار يا سقم الحريب
يا صليب الراي يا مروي السنين
وذك ان الشيخ تمضي له فعال
مثل فعلك يجسرون القايلين
إن عدلته قيل لك ما ذا بشيخ
جاك راي وانت خير الفاطنين
إتبع المشروع وارجي انك عليه
وحط سيفٍ قاطعٍ للظالمين
والله الله في سبيعٍ والسهول
لآل مقرن سامعينٍ طايعين

٢- أما القصيدة الثانية فهي في رثاء الأمير الشاعر أحمد بن محمد السديري المتوفي سنة ١٢٧٧هـ، وأوردها الحاتم في ٣١ بيتاً، وهي على لحن الرجد (بحر المتدارك في الفصحى)، وأولها:

يقول الفاهم فواز
قيلٍ بالقرطاس اسطره

ومنها في ذم الدنيا:

شبّهت الدنيا رعبوبة
كلٍّ تلفح قدم نظره
أحدٍ يطردها وتعيي
وأحدٍ تجيه بلا ادوره

دايم تــالــف مــن طــاع الــلــه
وتـطـمـح الـظـالـم والـفـجــرة

٣- أما القصيدة الثالثة فهي في مدح حاكم حائل في أيامه الأمير طلال الرشيد، وهي أطول قصائده إذ أوردها الحاتم ٦٦ بيتاً، وزادها سلطان بن عبدالهادي خمسة أبيات أخرى من مراجع متنوعة ، وهي قصيدة تعاني من مشكلة في الوزن إذ أن البحر الغالب على أبياتها هو البحر الصخري إلا أن الصياغة التي وصلتنا للقصيدة مختلة الوزن في كثير من الأشطر فالبيت الأول كالآتي:

اول قــولـنـا نـثـنـي عـلـى الـلـه
أن يـنـجـيـنـا مـن اشـرار الخطاري

وهذه الصياغة مختلة الوزن بينما البيت الثاني على الصخري سليم الوزن:

ويـوصـلـنـا ديارٍ نمـتـنـيـهـا
ويـوصـلـنـا مـواكـيـر الحـراري

وهكذا في بقية القصيدة، وأعتقد أن مراجعة لكافة المصادر التي أوردت القصيدة، وتثبت من طريقة طريقة لفظ المفردة في لهجة الشاعر تمكن الباحث من إصلاح الخلل الذي سببه الرواة في هذه القصيدة.

وهكذا نجد أن فواز السهلي شاعر حاز مكانة متقدمة بثلاث قصائد، ولاشك بأن له ما هو أكثر ولعله ما زال محفوظاً في صدور بعض الرواة ، فهلا وجدنا من المهتمين من يسعى لإخراج هذا التراث إلى النور؟؟

.... تساؤل نتمنى أن يجد الإهتمام ، وبقي أن نقول أن شاعرنا فواز السهلي توفي سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م)، ولدينا من شعره وأسماء معاصريه ما يدل على أنه لم يمت صغيراً بل توفي بعد حياة طويلة لاشك بأنها أثمرت ما هو أكثر من هذه القصائد الثلاثة التي بحوزتنا!! (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٥) من مجلة المختلف.

محسن الهزاني

يعد الشاعر محسن بن عثمان الهزاني الذي عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر الهجري أحد أكثر شعراء النبط قاطبة شهرة وتأثيراً، وكان شعره بالفعل منعطفاً هاماً للقصيدة النبطية تغير بعده شكلها وموضوعاتها لدرجة تجعله رائداً مهماً في تاريخ هذا الأدب.

ولد محسن في النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري، وتولى امارة بلدته «الحريق» بلدته فتره ثم اعتزل الأمر على حد قول الباحث طلال السعيد في موسوعته، وتوفي سنة ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م) حسبما ذكر المؤرخ النجدي مطلق المطلق في مخطوطته «شذى الند في تاريخ نجد».

وامتلأت حياة الهزاني بالأساطير بسبب الرواة الذي أعجبوا بهذه الشخصية فزادوا على سيرتها الكثير وجعلوا لكل قصيدة له سبباً كما قالوا الكثير عن تعلق النساء به، وأنه قال الشعر في طفولته عندما أرسله والده للكتّاب لتعلم القراءة والكتابة فعندما لقنه المطوع: (ألف)... قال الهزاني:

الف وليف الروح قبل أمس زرناه

غرو يسلي عن جميع المعاني

فقال له: باء.. قال الهزاني:

البا بقلبي شيّد القصر مبناه

وادعى مباني غيرهم مرمهاني

فقال له: تاء.. فقال الهزاني:

التا تراني كل ما أوحيت طرياه

أفزّ لو حلو الكرى غشاني

وتنسب إلى الهزاني بعض التجديدات المهمة في الشعر النبطي ، فيقال أنه أول من كتب القصيدة ذات القافيتين المختلفتين للصدر والعجز ، وفي ذلك نظر لأن هذا الشكل موجود قبل الهزاني كما أثبت الزميل إبراهيم الخالدي في كتابه «طواريق النبط» كما يذكر أنه أول من إدخل النظم المروبع المعتمدة قوافيه على الجناس التام على الشعر النبطي كما في قوله:

أهيم وأصـــعــد مـــرقب الغيْ وارقــا

وانوح من فــــرط الجـــوى نوح ورقـــا

والى كـــتـمت السـدّ عن حـــضـر ورقـا

ابداه ذارف دمع عـــيـنـي الى ســــاح

طفلٍ نشـا مـا شــيف مـثله ولا اشـهـد

لا راح لا تـرياق ريـقــه ولا شـــهــد

لا خـد شـفنا مـثل خـده ولا شــهـد

ولا شــمـمنا مـــثل ريحــه بالأرياح

وركز الباحث إبراهيم الخالدي الذي جمع ديوان الهزاني وأصدره ضمن «سلسلة المختلف للتراث الشعبي» على أربعة ملامح في تغزل الهزاني في شعره هي: «نرجسية العاشق لديه حيث أنه الطرف الأقوى في علاقات الحب - التركيز على الصفات الحسية في محبوبته ومفاتنها الجسدية - عدم الإكتفاء بمحبوبة واحدة في القصيدة إلا فيما يتعلق بمحبوبته الشهيرة «قوت» - التركيز على الوشاة في مغامراته الغزلية خاصة العجائز منهم».

ومن أشعار الهزاني في موضوعات أخرى غير الغزل قوله في مناجاة الخالق (عز وجل) والإستغاثة للمطر:

يا مــجـيب الدعـا يا مـتمَ الرجـا

اســـألك بالـذي يا إلاهـي نـزل

اســألك غــادي مــادي كلّمــا

لجّ فــيـه الرعــد حلّ فــيـمــا الوجل

وادقِ صـــادقِ غـــادقِ ضـــاحكِ

باكي كلمــا ضــحك مــزنه هطل

وامح لي ســيّـتي واعف عن زلّتي

فــانني يا إلاهـي مـحـلّ الزلل

فــإنّي الذي مــدّ فــيك الرجــا

فــلا خــاب من مــدّ فــيك الأمل (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٧٩) من مجلة المختلف.

محمد الفوزان

شاعر كويتي مبدع عاش في القرن الثامن عشر، ولولا ما أورده عبدالله الحاتم في «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» له من قصائد قليلة لكاد النسيان أن يلفه بعباءته الثقيلة، ولم نحظ بتعريف له سوى سطور معدودة من الحاتم نتعرف منها على المكانة الشعرية البارزة التي حازها «محمد الفوزان» إذ يقول:

«شاعر الكويت على الإطلاق محمد بن فوزان ويسمى «حليق الذهب» - تصغير حلق - لندرة وجودة ما يقول، وقضى جل حياته في فاقة وعوز شديدين على عكس ابن فرج الذي ترك له والده ثروة طائلة جداً، وقد ظن الناس أنها لا تفنى ولو عمل ما عمل لكن الفرج مات ميتة الفقراء المعدمين عام ١٣١٩هـ (١٩٠١م) بعد وفاة زميله محمد الفوزان بحوالي خمس سنوات أما ابن فوزان فقد ذكر لي أحد الطاعنين ممن عاصره ورآه أنه مات شيخاً».

إنتهى كلام الحاتم، ومنه نعرف أن الفوزان توفي سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦م) أي في السنة الأولى من حكم الشيخ مبارك الصباح، وبما أنه مات «شيخاً» فلعله عاش سبعين عاماً أو أكثر، ولعل مولده قبل التاريخ الذي حدده الباحث طلال السعيد وهو سنة ١٢٥١هـ بسنوات قليلة.

ولا يورد الحاتم في كتابه للفوزان سوى خمسة نصوص هي كل ما نعرفه لهذا الشاعر الذي ضاع معظم تراثه وكم أتمنى أن يفيدنا القراء بما يعرفونه من تراثه أو معلومات عن حياته إن كان يتوفر لديهم ذلك.

النصوص الخمسة التي ذكرها الحاتم جاءت اثنتان منها منفردة بينما القصائد الثلاث الأخرى جاءت في مخاطبة عبدالله الفرج أو الرد عليه، وجميعها على بحر شعري واحد هو المسحوب.

● القصيدة الأولى تتكون من ٢٢ بيتاً تدور في مجال الحكمة والنصح على قافيتي الشين والميم ومطلعها:

أصبر على ما جاك من وقتك اللاش

واستو على الشدات راعي عزايم

ومن أبياتها الرائعة قوله:

المرجلة لو هي على الهون تنحاش

حاشوا لها حتى العفون الخمايم

واياك لا تدعي قصيٍّ وفتّاش

على عيوب الناس ويك التهايم

ومن الردي لو تكسب الدرّ وقماش

إترك مماشاته وكن عنه شايم

وارع الصديق اللي إلى صابك ادهاش

خوفٍ لقيته في مصابك مسايم

ويستمر الفوزان في النصح في القصيدة التي يبدو أنه قالها في أخريات عمره وقد مسه الفقر والعوز الذي ذكره الحاتم:

هذا زمانٍ جاز به كل غشاش

أو واحدٍ فتّان راعي نمايم

من جا بلا دعوة فيقعد بلا فراش

هذا طفيلي يستحق الشتايم

لا وا على من يطرش اليوم مطراش

كلاً ولا ودّي بكسب الغنايم

ما قصدي إلا بالتفرّج عن الجاش

من شن لجا به من أمور عظايم

● أما القصيدة الأخرى فهي في مجال الغزل على قافيتي الحاء والياء وتتكون من ١٢ بيتاً فقط ومطلعها:

العين طول الليل تسهر من النوح

يصخف لحالي كل من يسمع بكاي

ومن جميل أبياتها قوله:

الله يلدّ الحب راعيه مفضوح

مسرع يبيح السد ما هوب كمّاي

على غزالٍ هايف القد مملوح

خطّاف لعقول العشاشيق سبّاي

غروٍ مشقّيني على غير مصلوح

إن جيت في ملواه ماجا بملواي

بـالـزيــن ممـدوح ولا هــوب ممــدوح

بـالـوصـل وعَــــادِ ولاهـوب وفـــاي

وان راد مني الحلّ مــا هـوب مــبـيـوح

يـلـقـى الـذي بـالـشـين ســـواه ويـاي

●● أما القصائد الثلاثة الباقية فكان سبب الأولى أن الشاعر عبدالله الفرج وكان أصغر سناً منه أرسل إليه قصيدة يعاتبه فيها، وكعادة الفرج فقد استخدم طاروقاً سبق أن تراد عليه الشاعران محمد بن لعبون وعبدالله بن ربيعة، وفي قصيدته يقول الفرج:

كـــثـــر الحكي مـــاهـو لنا بـالعــوايد

لا وانت تدري يـا مــحــمّــد فــلا ازيد

إلا ولا طــرفِ عــلــى الخــلــق نــايــد

لـولا حـكـايـا بـعض نـاسٍ مــــقــــاريد

ويتضح من قصيدة الفرج إن ما وصله من الفوزان آلمه، ويبدو أن الوشاية كانت تزعم التقليل من شاعرية الفرج فكتب إليه يعاتبه:

جـــتنا علومك تنتـــخي كــالجــرايد

يشـتـــان منهـا مــسـمع القين والســيد

غنّى بهـــا الـســاجع بـروس الجــرايد

يامــحــمــد الفــوزان.. وش ذا الهـرابيد؟

أثرك صــحــيحٍ مــثل مــا قــيل عــايد

ترمي علينا بالحكايا جـــلامـــيـــد

مـــا ســـاد من حكي القــفـــا كل ســايد

إلا علـيـــــه من المواثيم تـشــديد

يـا من عــــراه القـــيــل مــثل الرفــايد

ردّه ترى مـــا الرد عن فـــاك ببـــعـــيد!!

فرد الفوزان مؤكداً كذب الوشاية ومطمئناً صديقه بقصيدة تتكون من ٢٦ بيتاً:

أنا مـــعك صـــرنا بنظم القـــصـــايد

مـــا بيننا فـــرقٍ كـــمـــا العــبـد والســيد

نظم الشـعـــر يصلح لشـرواك هـايد

مـــســتــانسٍ بالكشك مــا مــعــه تنكيد

دراهمٍ تعـــمـل وراها فــوايد

تاكل بهـــا من المحـاصـيل وتزيد

والا فـــانا ياصـاحـبي في نكايد

مـــتكشّفٍ بين العنا والتـلاديد

ويمضي الفوزان إلى موضوع العتاب وتكذيب الوشاية فيقول:

تشـــره علـيّ وتقـــول تحكي زوايد

ترمي علينا بالحكايا جـلامـيـد

لك الشـــره إن كـــان صحّ ووكـــايد

لكن ترى كـــذبٍ ولاهوب تـوكـيـد

مـعـرض عن الدانين هم والبـعـايد

لوني قـريبٍ صـايرٍ كني بعـيـد

● ثم وجه الفوزان بعد ذلك قصيدة للفرج لعلها في إذهاب ما علق بالأذهان من الوشاية تتكون من ١٧ بيتاً مطلعها:

لولا السـبـيل ولذعـتـه تردع الجاش

خطرٍ يتيـه العـقل من شدّ مـا فيـه

وفي آخر القصيدة يثني الفوزان على شاعرية الفرج ويكرر تمني الرحيل، وهي رغبة سبق أن ذكرها في القصيدة الأولى:

إسـمع جـوابٍ كـاليـواقـيت وقـمـاش

ملفـاه من يبـخص خـوافي مـعـانيـه

إبن فـرج كـسّـاب الأمـثـال ببـلاش

سـهلٍ عليـه القيل يدعيـه.. ويجيـه

مـا هوب مـثلي عنه الأمـثـال تنحـاش

لو كـان يبـغـيـهـا فـلا هيب تبـغـيـه

عـسـاه يتـحـفني بردّ له انعـاش

لـلـقـلـب كـــود انّـه بـردّه يـداويـه

يـالـيـت مـن يـطـرش هـالايـام مـطـراش

لـو فـارق ربوعـه وفـارق آهاليـه

ينصى الغـروس اللي على كـفّـة الطاش

يا كـودها عن ضـيم قلبـه تسـليـه

ورد ابن فرج بقصيدة طويلة شاركه فيها الشكوى من الزمان، ونستفيد من مطلعها أن مصطلح «الشعر النبطي» كان مطروحاً في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي بشكل عادي بين الشعراء، وذلك في قوله:

شـعـر النبط من سابقٍ نظمه الجاش

مـا هوب طربٍ له ولا هوب هاويه

● وفي القصيدة الخامسة للفوزان يوجه الخطاب أيضاً لابن فرج في قصيدة على قافيتي اللام والعين وتتكون من ٢٣ بيتاً مطلعها:

الله من كـثـر الهواجيس بالبال

ياليت بفراق الهواجيس ساعة

وفي القصيدة يكرر محمد الفوزان شكواه من الفقر، ولعله كان يلجأ لهذه المفارقة في الخطاب مع الفرج الذي كان يتميز عنه بالثراء قبل أن تفنى ثروته في سني عمره الأخير، فيقول الفوزان:

إعـرف ترى بالمال تصليح الاحـوال

والا الفـقـر مافيه كود الشناعة

رجلٍ بلا مالٍ فلا هوب رجّال

لوّ هو على الجسرة طويلٍ ذراعه!!

ويرد عليه الفرج بقصيدة طويلة يحمل فيها على الزمان وتقلباته.

هذا ما لدينا من شعر الفوزان وهو لا يتعدى ١٠٦ أبيات فقط.. فهل بين المخطوطات وفي صدور الرواة ما هو أكثر من هذا العدد من شعر «حليق الذهب»؟ سؤال نتمنى أن تكون اجابته.. نعم!! (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٤) من مجلة المختلف.

محمد الفيحاني

إذا تباهى التراث العربي القديم بمصارع العشاق ، وأفرد لمجنون ليلى صفحاته الكثيرة فإن في تراثنا الشعبي قصة لا تقل عنها ألماً ودراما، وتمتاز عنها بأنها قصة حقيقة لا يشك بصحتها كما هو الحال بالنسبة لقصة المجنون التي يُظن أنها من نسج الخيال... ألا وهي قصة الفيحاني:

هو «محمد بن قاسم بن محمد بن عبدالوهاب الفيحاني»، ولد في الفويرط بقطر سنة ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) من أسرة ثرية فقد كان جده «محمد» أحد أشهر تجار اللؤلؤ في الخليج وهو صاحب قلعة دارين الشهيرة.

جرب الفيحاني اليتم مبكر إذ توفيت والدته وهو في عامه الأول، وانتقل به أبوه صغيراً إلى بلدهم الأصلي «دارين» ثم أرسله إلى الكويت ليتعلم في مدرستها المباركية، وكان موعوداً بتجريب اليتم ثانية عندما توفي والده وهو في الثانية عشر من عمره.

أما حكايته فهي باختصار.. أنه قتيل الهوى الذي جمعه بابنة خاله «ميّ» التي أحبها وكان على وشك الاقتران بها الى أن بث شكواه بحبها في قصيدة رددها الناس في كل مكان، ولما سمع بنو عمها القصيدة أوقفوا ترتيبات الزواج وأقسموا على أن لا يزوجوها له ، ولم يترك الفيحاني أحداً لم يوسطه لعله يقترن بها وبنو عمومتها يزدادون إصراراً على موقفهم دون فائدة تذكر، وزوّجوها لواحد منهم.

وهكذا كبر جرحه وتحول إلى مرض عضال عجز الأطباء في مستشفى الإرسالية الأميركية في البحرين عن علاجه.. فمات محمد الفيحاني شاباً غضاً صريع العشق العفيف، ورددت الأيام قصائده الجميلة في بث الشكوى من الحب كما في قوله:

شبعنا من عناهم وارتوينا
وعند رسوم منزلهم بكينا
وعقب فراقهم شنّا وحنّا
وحنّينا وثم انّا عوينا
وسايمنا وساقمنا وحنت
لنا حتى المنازل والعنينا

ونادينا وقلنا خبّروهم
ترانا من محبّتهم نعينا
ترانا من مفارقهم نحلنا
وكان فراقهم طوّل فنينا

يقول الباحث طلال السعيد: «لم يكن ابن عبدالوهاب خيالياً بشعره بل كان واقعياً بسيط الأسلوب سهل التعبير واضح المعنى سليم المقصد يترجم ما يحسه بعيداً عن التكلف والتعقيد، تساعده على ذلك موهبته الفياضة التي فجرتها قسوة المعاناة، فاستطاع التعبير عن مشاعره بشكل بالغ التأثير».

ومن قوله لما ازدادت آلام المرض عليه وأحس بقرب النهاية:

يا لزيمي قول للي يحفرا
يوسع الملحد على شان اللحيد
وايحجز بيني وما بين الثرى
عن عظام ناحلاتٍ كالجريد
وانت يا دفّان يااللي تقبرا
يا مهيل الترب بالسرعة مجيد
حطّ من فوق القبر حتى يرى
بنيتين كالنصايب له شهيد
يعرفون القبر من جا ينظرا
يعرفونه قبر مذبوح الوديد
قبر من صان الموده واسترا
قبر من لاخان عهدٍ للعهيد
من صبر للحب حتّى بتّرا
زرع قلبه واودعه حبٍ حصيد

وأفاد الباحث السعودي صالح الذكير في مقال مهم عن الشاعر نشر في الزميلة «فواصل» أن وفاة الفيحاني كانت في يوم الجمعة ٢٨ ذي الحجة ١٢٥٧هـ (١٩٣٩م) عن عمر لا يتجاوز الثانية والثلاثين. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٨) من مجلة المختلف.

محمد القاضي

«محمد بن عبدالله القاضي».. شاعر كبير عاش في القرن التاسع عشر الميلادي، وعاصر ذلك الجيل الذهبي من أعلام القصيدة النبطية. يعد من الشعراء غزيري النتاج إضافة إلى جزالة ألفاظه في قصائده وقوة معانيه وإبداعه في التصوير كما أنه يعد من الشعراء المتعلمين كما يتضح من جمال خطه الذي وصلنا نموذج منه بالإضافة إلى علمه الذي يتضح من موضوعات قصائده ومعانيها.

يقول الباحث الشاعر طلال السعيد في موسوعته عنه: «أبدع القاضي إبداعاً ملفتاً للنظر في جميع فنون وأغراض الشعر النبطي التي تناولها حتى أن القارئ والمهتم بالشعر النبطي لا يجد في فكرته التي عالجها بقصيدة من قصائده حاجة إلى إضافة أو شرح أو تعديل أو تعقيب».

ولد القاضي سنة ١٢٢٤هـ (١٨٠٩م)، وهو يرجع نسباً إلى القضاة من آل بسام من الوهبة من بني تميم ، وأسرته من الأسر المعروفة بالعلم حتى اكتسبت هذا اللقب الشريف ، وهنا تجدر الإشارة إلى الخطأ الذي وقع فيه بعض الكتاب وأعني اعتقادهم بأنه كان قاضياً في مدينة عنيزة، وهذا غير صحيح إذ أن اللقب هو لقب الأسرة كلها وليس خاصاً بالشاعر، ولكن شاعرنا حفظ القرآن وهو ابن ثمان وقرأ الفقه على أحد علماء بلده ثم صار ميله إلى الأدب والتاريخ ونظم الشعر النبطي.

عاش محمد القاضي في مدينة عنيزة التي كان يحبها حباً جماً حتى نظم في مدحها قصيدة طويلة منها قوله:

دارٍ لنا ووادي الرمـــه هو شـــمـــالـه

غـربيّـه الضاحي ، وشـرقـيّـه الجال

في روضـةٍ شـرف المبـاني قـبـالـه

لجّـة غـروسـه دايرة تقل تفـصـال

دارٍ لنجـد مـشـرّعـه كم عنا له

راجي ومـحـتـاجٍ ولاجي ونزّال

دار الندى دار السـعـد والشكالة

مـا سـاقت الخـاوة للاوّل ولا التـال

ويذكر هنا أنه لما نظم هذه القصيدة قال له أمير عنيزة وقتئذ عبدالله بن يحيى السليم: «بماذا نكافئك يا أبا عبدالله؟».. فقال القاضي: «أريد مكافأتي أن كل ضيف يجئ عندكم تكون ضيافته عندي في اليوم الثاني.. لا يسبقني عليه أحد بعدكم»، ويتضح من هذه الحكاية التي رواها حفيد الشاعر محمد بن حمد أنه كان من وجهاء البلدة الأغنياء بالإضافة إلى عشقه اللامحدود للكرم.

واستمر القاضي في نظم الشعر ، وله إبداع خاص في موضوعات الغزل إلى أن بلغ الأربعين من عمره فتوقف تدريجياً عن نظم الشعر ، وتوجه إلى أمور الدين والتفقه فيه ودراسته فنسخ صحيح البخاري كاملاً بخط يده.

ومن الحكايات المرتبطة بغزل القاضي حكاية لا نعلم مدى صحتها ولا بأس من ذكرها ، وهي أن بعض أصدقائه تحدّوه بأن ينظم قصيدة طويلة كاملة لا يذكر فيها بيتاً واحداً من الغزل ، وبالفعل نظم القاضي قصيدته في وصف القهوة ومنها:

احـمس ثلاثٍ ياندمي على ساق

ريحه على جمر الغضا يفضح السوق

احـذرك والنيـة، وبالك والأحـراق

واصحا تصير بحمسة البن مطفوق

لى اصـفـرّ لونه ثم بشّت بالاعـراق

صـفـراً كـمـا الياقـوت يطرب لها الموق

كـبّه بنجرٍ يسمعه كل مشتاق

راعي الهوى يطرب إلى دقّ بخفوق

ولما أشرف القاضي على إنهاء القصيدة دون تغزل خشي الأصدقاء من خسارة الرهان، فطلبوا من امرأة أن تمر أمامه رافعة طرف ثوبها ليتبين «الحجل» الذي تلبسه، فلما رآها القاضي قال متغزلاً ومضحياً بالرهان:

سحرٍ كتب في حبر عينه بالأوراق
خديه نونين ، وصادين من فوق
كن العرق بخدودها حصّ ارناق
نثر على صفحات بلّوره شعوق
إلى تبسّم شعّ واشرق بالافاق
نوره يفوق البدر مع حسن منطوق
تمشي برفقٍ خايفه مدمج الساق
يفصم حجولٍ هزّها الثقل من فوق
إلى صفت لك ساعةٍ وانت مشتاق
فاقطف ثمر مالاق، والعمر ملحوق

وقد كان شاعرنا القاضي ذا علم ، فكان يتقن علم الفلك ومواسم الزراعة ونظم قصيدة تعد مرجعاً في هذا المجال منها:

ترى أول نجوم الليل: سبعٍ وصايف
كما جيب وضحا ضيع الدرك دالق
أو نعل شاخٍ ، والتويبع تبيعها
وفي برجها الجوزا كما الدال دانق
ترفع بها عاهات الأثمار بسطه
نهايات قصر الليل عشر الدقايق

وتوفي محمد العبدالله القاضي في بلدته عنيزة سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م)، وترك أربعة من الولد هم : «إبراهيم، وعبدالعزيز، وسليمان، وحمد» كلهم من الشعراء وأشهرهم عبدالعزيز وإبراهيم الذي ترك شعراً كثيراً وكتاباً في التاريخ النجدي.

ويقال أن آخر قصائد القاضي هي المسماة بـ «التوبة» ، وهي من القصائد الدينية المميزة في التاريخ النبطي ، ومنها هذه الأبيات:

يا محلّ العفو عفوك ياكريم
لطفك اللي كافلٍ كل الأنام
يا سميعٍ يا بصيرٍ يا عليم
يا قويٌ يا متينٍ يا سلام
موحّدٍ يدعيك بالليل البهيم
بالتخضّع والتضرّع بالظلام
خاشعٍ لك خاضعٍ لك مستقيم
أسألك وادعيك باسماك العظام
أن تروف بحال من جسمه سقيم
علّته تبراه من خمسة عوام
داوني بدواك من داءٍ أليم
واشفني بشفاك يا من لا يضام (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٨١) من مجلة المختلف.

الفصل الثاني:
قصص من الماضي

بيت على الطريق

كان الفارس «عسير العطاوي» إذا نزل أرضاً جديدة معتاداً على آن يبني بيته على طريق المارة ، فلامه بعض ضعاف النفوس على اختياره هذا الموقع لأنه سيضطر بسببه لاستضافة الرائح والغادي وسيكون بيته هو أول ما يستقبل الضيوف حين يجيئون للقبيلة ، فرد عليهم مؤكداً أن هذا الأمر هو غاية مناه وقال:

يا مَلَّ قلبٍ يلجَّ وداخله رنّه
لجّة ضرايا على عدٍ عوى ذيبه
أو لجّة الحشو يوم اقفاية الكنّة
وسهيل والقيض مرقبةٍ ملاهيبه
لى جنّ دعثور والمفرود ضدّنه
والحاظ توحي التضارس في مصاليبه
عيال شولٍ مشاحينٍ حدتهنّه
اللي على الحاظ تقبل به وتقفي به
يا رازق اللي بيوته ما لفتهنّه
علاهن الدرب بيّنةٍ مهاذيبه
يا زين خبط الركيّب في سندهنّه
هودٍ من الليل خايبةٍ مشاهيبه
والنار كلت الحطب والنجر اكل بنّه
والرزق عند الولي من حيث ينوي به
ما همّني الاّ الدلال وثالثتهنّه
كبش المربّى ليا لزمت مواجيبه (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٩٥) من مجلة المختلف.

كرم نادر

كان الشيخ ثويني بن عبدالعزيز القشعم يتمتع إلى جانب زعامته وشجاعته وقوة نفوذه بكرم نادر ، فقد كان في الليالي الباردة يخرج يده من رواق البيت يتحسس برودة الجو ، ولا يرى طريقة لتقليل برودتها سوى بذبح ناقة أو خروف ليأتيه الباحثون عن الدفء والطعام فتذهب البرودة مع اجتماع الضيوف، وقد اتبعه ذريته في هذه العادة حتى قال أحد الشعراء يصف ليلة باردة:

شـرتـه شـرورٍ مـن «ليـالـي ثويني»

يكـعم شـروره في خـروفٍ وحـايل

ومن حكايات كرم ثويني أنه أمر خادمه ذات يوم بتجهيز ذبيحة لدرويش فقير نزل عليه ، فاستنكر الخادم ذلك قائلاً أن الضيف مجرد درويش والسمن والتمر واللبن يكفيه ، فأجابه ثويني: «إذبح له يا وليدي، لعله شيخ الدروايش؟» ، ومن حكاياته أيضاً أنه أمر بذبح خروف لكلب غريب عن الحي رآه على باب مضيفه ، وقال للخادم أيضاً : «إذبح له، لعله كلب أجواد؟!!». (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٤) من مجلة المختلف.

أجرة المشوار.. هجينية

كان الشاعر إبراهيم الطويان (توفي سنة ١٣٧٤هـ) من شعراء عنيزة يحمل بضاعة من الخضروات لرجل يدعى «منقاش» بسيارته ، ولكن حدث في يوم من الأيام أن تعطلت سيارته في الصحراء فمر به سائق شاحنة من نوع «عنتر» يدعى «الحرابي» ، فطلب منه الطويان أن ينقله هو ومنقاش والبضاعة فوافق ، ولما أراد الطويان دفع ثمن النقلة رفض الحرابي طالباً قصيدة هجينية تطرد النعاس عن أعينهم مقابل ذلك ، فقال الطويان:

العنتـــر اللي ركب منقـــاش
حسّ الحـــرابي بــبـــوديّه
مـن وردتـه مـــا دخل بـكـراش
ولا مـــرّنوه العليـــمـــيّـــة
هـو مــتـوة الـلـي نـوى مـطـراش
يـســري حـــوال الشــبـيـكيـة
سلّم على العـــذب يا منقـــاش
يـا عـنقـــهـــا عـنق ريميّـــة
الخطّ مـنـهـم نـبـي بـبـــلاش
ومن عندنا فـيـــه خـــرجـيّـة (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٦) من مجلة المختلف.

كرم متبادل

القصة التالية رواها المؤرخ النجدي حمد بن لعبون المدلجي الوائلي (والد الشاعر النبطي المعروف محمد بن حمد بن لعبون) في كتابه المخطوط عن سبب تسمية جده الأكبر بـ «مدلج»، فيقول عن جده حسين أبي علي الذي نزل في أشيقر وعاش في القرن الثامن والتاسع الهجري:

أشتهر حسين أبو علي بالسخاء والمروءة وإكرام الضيف ، وفي أثناء أمره أقبل غزو من آل مغيرة ومعهم أموال كثيرة قد أخذوها من قافلة كبيرة بين الشام والعراق ، فألقاهم الليل إلى بلد أشيقر فنزلوا قريباً من نخل «أبو علي» ، وكانوا متبرزين عن ضيافة البلد ، فأمر أبو علي بجذاذ جملة من نخله ووضعه في الأرض بين أسطر النخيل ثم دعا الغزو المذكورين وأميرهم حينئذ مدلج الحياري المشهور في نجد بالشجاعة وكثرة الغزوات، فدخلوا إليه وأجلسهم على التمر فأكلوا حتى شبعوا عن آخرهم وهم نحو خمسمائة رجل.

ثم طلب من مدلج المذكور ورؤساء الغزو بالمبيت عنده وذبح لهم وصنع لهم طعاماً خصهم به ، فلما كان آخر الليل وعزموا على المسير وضع مدلج تحت الوسادة صرة كبيرة فيها مال كثير مما أخذوه من القافلة وساروا ، فلما كان بعد صلاة الصبح وطووا الفرش وجدوا الصرة تحت الوسادة فركب أبو علي فرساً له ولحقهم ظناً أنهم قد نسوها، فأبى مدلج أن يأخذها وقال : «إنما وضعتها على سبيل المعاونة لك على مروءتك»، فرجع أبو علي بها وكانت زوجته حاملاً فقال لها : «إن ضيفنا البارحة من أهل المروءة والكرم ، فإن رزقنا الله ولداً ذكراً أسميناه على اسمه مدلج» ، فولدت ذكراً فسماه «مدلج».

ومن «مدلج بن حسين» نشأت أسرة كبيرة برز منها الكثير من الشخصيات في مجالات الزعامة والعلم والأدب أما مدلج الحياري فلعله الأمير مدلج بن نعير بن حيار الطائي أمير عرب آل مهنا في بلاد الشام المقتول شاباً سنة ٨٣٢هـ، وهناك أمير آخر أكثر شهرة يدعى «مدلج الحياري» عاش في القرن ١١ الهجري. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٨) من مجلة المختلف.

البدو والأجراس

إرتحل الشيخ عقيل المجلاد شيخ الدهامشة من عنزة بقومه إلى مكان كثير الخضرة والماء يدعى «سليما» في بلاد الشام، ولما نزل سمع أجراساً أزعجته وأجفلت إبلهم وأغنامهم وحين سأل عن هذه الأجراس علم أن أهل القرية من النصارى وهذه أجراس كنائسهم.

وكانت عقيدة المجلاد من القوة بمكان أن دعته للذهاب لزعماء القرية ومحاولة إقناعهم بالدخول في الإسلام بالترغيب والترهيب ، ولما رأوا تصميمه عرضوا عليه أخذ الجزية منهم ، ولكنه رفض منهم إلا الإسلام ، وبالفعل اضطروا أمام قوة قبيلته أن يتظاهروا بالإسلام ويبنوا مسجداً في قريتهم ، ويواظبوا على الصلاة عاماً كاملاً حتى رحل عنهم عقيل المجلاد ، وقد ثبت الله قلوب كثير منهم على الإسلام ، وفي هذه الحكاية يقول الشاعر المعروف رميح الخمشي مادحاً المجلاد:

دنّوا قعودي كان صارت مصيبة
يفرح ليا قرّب شداده ودنّي
يلفي على حامي جوانب شعيبه
غصبٍ على الزعلان من غير منّي
«عقيل» زبن اللي تدانت هليبه
خلّى النصارى دينهم دين سنّي (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٦٨) من مجلة المختلف.

المجدور

راسلنا بهذه القصة القارئ ياسر غازي العضياني عن أحد أبناء جماعته في الزمن القديم فيقول:

أصيب الشاعر والفارس بطيحان بن مبارك العضياني العتيبي بمرض الجدري (أو العقر كما كانوا يسمونه قديماً) ، فابتعد عنه أهله وذووه مسافة ليست بالبعيدة خوفاً من انتقال العدوى إليهم ، وتركوه في معزل لا يأتونه إلا بالطعام والشراب حتى عافاه الله تعالى بعد أن قاسى من المرض شهراً كاملاً.

وفي مرضه كان ابن أخيه فالح بن هضيبان يأتيه بحليب المغاتير ، وبعد الشفاء أسند إليه بطيحان هذه الأبيات:

يا فـالح ، العـقـر اختـفى قبل الادوار
تعـال هرّجني يوم انك عـجيبي
يا جـعل عـمرك ما تجي فيـه الاشرار
يا واحـدٍ جـاني بطاسـة حليبي
جـاني بهـا فـالح من العرب الابكار
ومصلحـاتٍ في شعيبٍ عشيبي
قدامـهـا فـالح بدا راس مجـدار
معـه ام خمس اللي تجرّ الرعيبي
شـريتـهـا بالسلم مـا نيب مكّار
وهوه عشقـهـا والنصيب النصيبي
شـريتـهـا من الدهاسي ورا الدار
مصـقّله ومـوقّله للبيبي (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٩٥) من مجلة المختلف.

صداقة مع اللبؤة

كان الناس في الماضي يعيشون حياة الشقاء والعناء والتعب بسبب قلة الطعام والمياه ، وحدث في تلك الأيام أن امرأة من قرية قفار (قرب حائل) يقال أن اسمها «هيا الفلث» كان معتادة يومياً على الذهاب إلى الصحراء خارج القرية التي تسكنها .

وفي أحد الأيام ذهبت إلى مكان بعيد عن القرية فوجدت بين التلال لبؤة «أنثى أسد» تعرج بسبب شوكة أصابت يدها، فاقبلت اللبؤة الى المرأة التي اصابها الخوف والهلع مادة يدها ، فاخرجت المرأة من اغراضها «منقاشاً» واستلت الشوكة من يد اللبؤة المفترسة ليس بدافع الشفقة فقط بل من الخوف أيضاً ، وربطت يد اللبؤة بقطعة قماش، فهزت اللبؤة رأسها كأنها تشكرها على صنيعها ومشت بجوار المرأة حتى اقتربت من قريتها «قفار» فرجعت اللبؤة من حيث أتت.

وفي الغد وفي نفس المكان شعرت المرأة باللبؤة تجر بأنيابها ظبياً من أحسن الظباء وأسمنها ، واقبلت اليها ثم ألقت بالظبي بين يدي المرأة جزاء على معروفها بالامس. (×)

(×) نشرت هذه القصة في العدد (٨٤) من مجلة المختلف.

أب يفقد ابنه الوحيد

روى هذه الحكاية الباحث إبراهيم اليوسف في كتابه «قصة وأبيات» بما معناه أنه: «كان لعيادة بن منيس من الخرصة من شمر ولد بار به يعمل بالأجر، وما يحصل عليه يعطيه لوالده الذي كان في ضيق من العيش وقلة ذات اليد، فكان الأب دائماً يرى هذا الولد وصلاحه عاقداً عليه آمالاً كبيرة ، وفي دورات الحياة بحثاً عن الرزق نزل عيادة جاراً عند «مسعد المرمش» في بلدة موقق بضواحي حائل بينما كان الولد يسوق السواقي في بلدة قفار مقابل أجر زهيد.

وفي أحد الأيام اختلت إحدى بكرات القليب، فصعد الولد لإصلاحها وأراد الله أن يسقط الولد في البئر مطلقاً صرخات الإستغاثة ، ففزع الناس إليه وحين وصلوا إليه وأخرجوه وجدوه ميتاً، ولم يجدوا طريقة يخبرون الأب عيادة بها، فأشار أحدهم أن يرسلوا إليه طفلاً لينقل إليه الخبر ، فأحضروا الطفل وأوصوه بما يعمل ، وعند وصول النبأ الى عيادة خرج إليهم مشدوه البال يتمتم بالأبيات التالية راثياً ولده البار:

امشي وعلّمني صغير وانا اقيف
وقفت تقل موسَر لي بقدَة

يا تقل ضربة زانةٍ بالسراجيف
الزانة اللي ما له اذنٍ تردَه

وا كبدي اللي تقل يقصم به الشيف
أو تقل موسٍ بالضماير يقدَه

او تقل فوقه حاميات المراضيف
او تقل فوقه غدةٍ فوق غده

لوا حبيبي قصّبته الصواديف
صواديف بقعا ليت ربي يلدَه

غرقانها ما ينخطف بالمخاطيف
وبلاويه كثر الشَعر من يعدَه

ثرى بقعا له رجاجيل وتخيف
والغبن بيته والغرابيل بدَه

وعـــمَـــــه واخـــوها لازمٍ يـذبـح الـكـيف

ويامــا خـــذت مــن راكـــبـين الاشـــدهَ

ويامـــا خـــذت من خـــيـْـر يكرم الضـيـف

ومـن خـــفـــرةٍ مـــثل الـقــراطـيس خــدهَ

تمسي وتـصـبـح مــثل شـعـف الـعـــواصــيـف

ناسٍ تـصلفــقـــهـــا وناسٍ تـصــده (×)

(×) نشرت هذه القصة في العدد (٨٥) من مجلة المختلف.

نجر المطوّع

أحياناً يشكل شاعران ثنائياً بحيث يؤدي كل واحد منهما الى شهرة الآخر، ولدينا في تراثنا القديم أمثلة كثيرة على ذلك.

وسعد بن مساعد أو «سعيدان» شاعر عاش في «نفي» غربي نجد أوائل القرن العشرين، وكان معاصراً لشاعرها الشهير عبدالله بن سبيل الذي كان يشغل منصب أمير البلدة بينما سعيدان إمام مسجدها، وبالتالي تكونت بين الرجلين صداقة «لدودة» كان من ثمرتها بعض الطرائف الشعرية التي مازالت تروى الى يومنا هذا.

ومن ذلك أن سعيدان كان يفخر كثيراً بنجره الذي يدق به القهوة. وقد حاول أكثر من شخص شراءه ومنهم دغيليب بن خنيصر، فقال:

نجـــر المطوع يوم ســـامـــه دغـــيليب

قـــالوا: تبـيـعـــه، قلت: والله مـــا ابيـعـــه

أبغي الى جـــوتنا هل الـفطر الـشـــيب

أجـــواد مــرفـقـــهم عــدو الشــريعـــة

أول قــــــراهـم دلّـتـينٍ وتـرحـــيب

ترحـــيـبـــةٍ سـهلة بنفس رفـيـعـــة

مـــا انا باحبّ اللي بجنبــــه عـــذاريب

طبـيـعـــةٍ يا حـيّـهـا من طبـيـعـــة

لعل رجلٍ مـــــا يعـــرف المواجـيـب

تجـيـــه ليـعـات الليـالي ســريعـــة

فالتقط ابن سبيل هذه الأبيات، وعارضها متندراً على فخر صديقه المطوع:

الـلـي يجـي يمّه هل الـفطـر الـشــــيب

شــرقٍ عن الهـيـشــة يســار الرفـيـعـــة

والاّ.. المطـوّع كـل هـرجـــــــه تـكـاذيـب

والبـــا بغى مـــاهي بـ «ترفـــة» تطيـعـــه!

ويحاول المطوع تكرار الفخر ثانية فيقول:

لى ضـــاق صـــدري قـمـت اصـوّت لـ نورة

هـاتي حطب وارمـــيــه للجـــار والضـــيف

من قـــبـل ولد اللاش يبـــدي بشـــوره

حـمـسـت من بنّ الـيــمـن غــايـة الـكـيـف

فرد ابن سبيل مستهزءاً من رواد مجلس المطوع:

مـطـوعٍ يـا كـــبــــر.. هـولـه وجــوره

مــشــراه في دورالسنة مــدّ ونصــيف

ودلالهم دبّ الليـــالي مــهــجــورة

وخطـارهم مـــا غـــيـــر ابو زيد وحـنـيف

وللرد يكتب «سعيدان» مطوع نفي هذه الأبيات متغزلاً في صبية صغيرة قيل أنها ابنة ابن سبيل التي كانت تدرس على يديه في «الكتّاب»:

هيّض علـى جـــويـدلٍ مـــا تـغـطـى

يلعب مع الصـبـيـــان بام الخطوطي

يـا شـبـــه غـــرنـوقٍ مـع فـــرخ بطّـا

توّه وحش نـزل الـبـــحـــر والشطوطي

كنّه على شـــوك الهـــراس يتـــوطّا

والاّ المـيـــابـر يـوم بـالـرجـل يـوطـي

وبالطبع كان ابن سبيل خصمه التقليدي له بالمرصاد فرد عليه:

مـطـوعٍ يـا مــــال كـــشف المغطى

يـاخـــذ على رقي المنابر شـــروطي

شــرهٍ على ورعٍ وهـو مـــا تـغـطـى

«يلعب مع الصـبـيــان بام الخطوطي» (×)

(×) نشرت هذه القصة في العدد (٩٩) من مجلة المختلف.

حب لا يعرف اليأس

«سعد بن قطنان» شيخ من شيوخ قبيلة سبيع القاطنين في الخرمة، وأمه هي أخت الفارس الشيخ محمد بن هادي بن قرملة ، وكانت لسعد ابنة عم عاهدها على الزواج منذ طفولتها، ولكن أباها زوّجها لأحد الأشراف المقيمين في رنية ويدعى ابن صامل.

رغم ذلك فإن سعداً لم ييأس وتوجه الى رنية حيث حل ضيفاً على صهرهم الشريف وأسمعه هذه الأبيات:

حـالي كـمـا هيـشـا غـدا جلدها دف
مـا عـاينت من رعـيـهـا القـفـر زودي
عليك ياللي مـا تقـضّى منه شف
حـالوا عليـه مـعنّزين البلودي
غـدا بهـا حـمّـاي ركبٍ الى خف
لى تاهوا الشـردان قـرع الزنودي
يا صـاحـبي حطّيت كفٍ على كف
وانا احـسب انك مـا تخـون العـهـودي
عـسـاك يا نابي الردايف تحـسف
على عـهـودٍ بقـتـهـا يالجـحـودي

أما المرأة فقد قامت الى مجلس زوجها وخاطبت ابن عمها الضيف قائلة:

قلبي كـمـا طيـرٍ يرفّ بجناحـه
يبي يطيـر وشـابكتـه المحابيل
والا كـمـا بنٍّ يزيد ابتـجـاحـه
عـقب النجـاح مـرجّحٍ بالمعـامـيل
حيّ المراح وحيّ من هو مـراحـه
مـراح من يثني خـلاف الرجـاجـيل
لى طالعـوا نشـرٍ ثقـالٍ لقـاحـه
يجـيك كـسـبـه من خـيـار الزعـاجـيل

وعندها لم يجد الزوج الشريف أنبل من أن يجمع بين ضيفه وابنة عمه فطلقها،

وهكذا تزوج سعد بن قطنان من محبوبته.

ولكن القصة لم تنتهي هنا إذ لم تمر فترة طويلة حتى أصيبت هذه الزوجة بمرض قضى على حياتها، وهذه مرثية لسعد في زوجته منها:

يا عين هلّي صافي الدمع عبّار
تزايدي لو قال ناظرك ما بيش
على الذي ينعش فؤادي الى سار
إلى ضحك لي بالثمان المباهيش
الصاحب اللي قربّت منه الاقدار
عنه ابعدتني مبعدات المطاريش
غرّ البخت منها وعمّ منّ الابصار
وغديت كنّي من هتيل الدراويش
وا زينها وان حضّب البيت خطّار
وكمرن عشقات العيال الفوانيش
تقحص بحشمة واحدٍ يكرم الجار
رجلٍ تحاكوا به ركاب الطراريش (×)

(×) نشرت هذه القصة في العدد (١٠٤) من مجلة المختلف.

غربة العرفجي

روى الشاعر عبيسان الحميداني في كتابه هذه الحكاية على أنها عن شخص من أهل بريدة يدعى «محمد العرفجي» ورث ثروة هائلة من أبيه التاجر فبددها حتى صار فقيراً مع الأيام.

ولنا هنا وقفة فمعروف أن آل عرفج أسرة تميمية من أهل بريدة ، وقد تولى إمارة بريدة منهم الشاعر المعروف محمد العلي العرفج في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي (توفي سنة ١٢٥٨هـ) ، وهذا الشاعر كان له غيبة في العراق فهل يا ترى هو صاحب القصة التي نحن بصددها الآن .. نعتقد ذلك لأسباب أهمها لغة هذه القصيدة وأسلوبها ومعرفتنا بأن الرواة قد يغيرون تفصيلات بعض القصص (وللعلم فإن للشاعر عبدالله بن ربيعة صديق محمد العرفج قصيدة على نفس وزن وقافية القصيدة الملحقة بالقصة وإثنان من أبياتها لابن ربيعة وهما البيت القائل: إن كان مالي من ثمرهن بطاطي وما قبله).

المهم أن الحكاية تقول أن «العرفجي» بعد افتقاره عاد إلى بيته فترة الظهيرة فوجد فيه ضيوفاً . ولما دخل على زوجته أخبرته أن القهوة والرز نفدا من البيت ، فذهب محمد إلى السوق لإحضار ما طلبت زوجته إلا أنه وجد كل الدكاكين قد أغلقت لإداء صلاة الظهر إلا واحداً لرجل يدعى «قرياط».

رفض قرياط أن يعطي محمد العرفجي ما طلب بالدين رغم رجائه وشرحه للظرف ، ولما يئس منه ضاقت الأرض على العرفجي بما رحب ، وخطرت له فكرة مجنونة إذ رأى أمامه قافلة تجارية للعقيلات توشك على الرحيل للشام، فرحل معها دون أن يخبر أحداً من أهل بلده ودون أن يعود إلى بيت لتوديع زوجته.

أما الزوجة فبعد ان تأخر زوجها وطال بها الانتظار خرجت الي جارها «أبو محمد» وطلبت منه ما تحتاج لإكرام الضيوف وتدبرت الأمر حتى خرجوا من البيت شاكرين.

ظلت الزوجة تسأل عن مصير زوجها حتى عرفت أنه ارتحل مع القافلة عله يحصل رزقاً يغنيهم عن الحاجة، فباعت مصوغاتها الذهبية واشترت راحلة وأرسلتها مع رجل لحق بالقافلة وسلمها للعرفجي حفظاً لمكانته بين أفراد القافلة.

ولما وصلت القافلة الى الشام باع «العرفجي» راحلته وتاجر بثمنها حتى ربح

وصار يتاجر في الإبل مع العقيلات متنقلاً بين مصر والسودان لمدة خمسة عشر عاماً متتالية حتى أثرى، وبعدها استقر الحال به في بغداد حيث اشترى قصراً على نهر دجلة قرب صفاة الإبل.

وذات يوم حضر إلى العرفجي رجل من أهل بريدة فقال له: «أما شبعت من الدنيا بعد هذا كله؟.. إن زوجتك تنتظرك منذ خمسة عشر عاماً فإما أن تعود لها أو تطلقها».

وفي اثناء هذه المحاورة بين العرفجي والرجل إذا بإناس شدو الرحال متوجهين الى نجد.. فسأل العرفجي: من هؤلاء؟ قال: إنهم من أهل بلدك ويريدون بريدة.. فقال له: «إذهب وقل لهم أن ينتظروا قليلاً حتى اكتب الى زوجتي رسالة أعلمها فيها أنني قادم بعد تصفية أعمالي»، وكتب قصيدة وجهها إلى جاره أبي محمد منها:

قل: يا ابو محمد هزّتي واختباطي
من حاجةٍ حدّت على بيت «قرباط»
لكن جرحٍ بالحشا ما يخاطي
على عشيرٍ يجدل الراس بمشاط
وعلى عيوني من فراقه غطاطي
ودوا عيوني لي حجيبه الى ماط
يوم اذكره لكن جوفي يماطي
أو كنّ يضرب بسرة القلب مخباط
يا غرستينٍ لي على جال شاطي
مذريّاتٍ عن هوى الصيف وشباط
إن كان مالي من ثمرهن بطاطي
لعل يسطمهن من الهيف سماط
يا سايل مني ترى في انبساطي
في سوق بغدادٍ على زلّ وبساط

وبعد فترة من ارساله القصيدة عاد العرفجي الى بريدة.. واجتمع الشمل بزوجته، ودفع الديون المتراكمة عليه خاصة لـ «قرباط» الذي استدعاه العرفجي وقال له: «سوف أقدم لك هدية كبيرة لأن كل هذه الأموال جاءت من أسبابك». (×)

(×) نشرت هذه القصة في العدد (٥٥) من مجلة المختلف.

كيد النساء

قصة عن الكيد والدهاء والحب أيضاً .. لا نعرف عنها إلا أسماء أبطالها وتفصيلات الحكاية التي رواها منديل الفهيد أما الزمان والمكان ومعلومات النسب فقد ظلت مجهولة . ولكن طبيعة الأشعار الواردة في القصة تجعلنا نعود بها إلى قرون قديمة في بدايات الشعر العامي.

تقول الحكاية: كان «بشر» متزوجاً من امرأتين إحداهما تدعى «حِسْن» (بتسكين السين) ، وكانت والدته تفضل الزوجة الثانية على «حسْن»، ولما كان «بشر» غائباً عن البيت دخلت والدته على «حسْن» فرأتها تداعب ولدها الصغير الجالس في حجرها وتقبله واضعة شماغ والده على رأسه . فاستغلت الأم الفرصة وأخبرت ولدها بشر حال عودته أنها رأت واحداً يداعب «حِسْن» وأقسمت قائلة أنه: «صغير الهامة كبير العَمامة».

ما كان من «بشر» بعد أن سمع هذا الكلام والقسم من أمه إلا أن ذهب بـ «حِسنْ» على مسيرة يومين حتى اقترب من منازل قبيلة معادية لقبيلته فأناخ ذلوله في آخر الليل للمبيت . وحين نامت زوجته تركها وحيدة وركب ذلوله ورجع الى أهله، ولما استيقظت عرفت أنه كان يريد هلاكها فاتجهت الى أقرب المنازل وزعمت أن قوماً أغاروا على قبيلتها وقتلوا أهلها فلم يبق لها أحد، وعندما سمعوا قصتها أكرموها وبقيت عندهم فترة وهي تحرص على أن تبقى متلثمة دائماً حتى عند الأكل، فلم يروا وجهها إطلاقاً طيلة فترة اقامتها لديهم ثم حدث فيما بعد أن شيخ القبيلة «ابن حمرون» خطبها فوافقت شريطة ألا يرى وجهها أبداً.

نعود إلى بشر فنجد والدته قد أصيبت بمرض خطير، وقالت لإبنها أن هذا المرض بسبب ظلمها لـ «حِسْن» وأخبرته بالحقيقة.. عندها ركب بشر ذلوله وذهب يلتمس خبر «حِسْن» حتى عرف مكانها . فحل ضيفاً على زوجها «ابن حمرون» مدة من الزمن كان بشر خلالها كثير البكاء قليل الأكل، فاشتكى «ابن حمرون» حالة الضيف هذه لزوجته «حِسنْ» بقوله:

يا حِسْن عيّا ياكل الزاد ضيفنا

هيّا جميعٍ نشتكي لبكاه

فاجابته حِسْن:

خـيـــر الملا عندي «بشـر» مـــا بكيـتـــه
وباقي الملا لـو مـــات مـــا نـنـعـــاه

وعندما رآها بشر ورأته فعرفته قال:

ياحِـــسْن يا حـــسـيـنة الـدل طالـعي
عليَ ابن حـــمـــرونٍ يهـــوز عـــصـــاه

قالت حسِنْ:

إمنع عنـه يا حـــامـي الخـيـل بـالـقـنا
عـسى جـمـيـع الحـاضـرين فـداه

قال بشر:

يا حـــسن وش تجـزين من جـاك عـــاني
مـن الـغـــرب وخـــلاً والـديـه وراد

قالت حسن:

أجـــــزاه أنـا فـي حـــبـَّــــــةٍ من ذبـلـي
من أشـــافـيٍ مـــا شـــافـــهـن حــذاه

وكان حسْن تريد بذلك أن تغضب زوجهـا «ابن حمـرون» علـه يطلقـهـا، فشـامت نفس «ابن حمرون» عنها وطلقها قائلاً:

من عـــافنا عـــفـناه لو كــــان غـــالي
ومـن جـــذ حـــبـلي مـــا وصلت رشـــاه
فـــروحي منّي لبـــشـــر عطيّـــة
عطيّـــة عنقـــري مـــا يـريد أجـــزاه

وهكذا طلقهـا «ابن حمرون» عندما عرف أمرهمـا السابق، وعاد بها «بشر» الى أهله فرحاً مسروراً. (×)

(×) نشرت هذه القصة في العدد (٥٦) من مجلة المختلف.

حوار مع الذئب

في ظروف الحروب والغزوات القبلية في الماضي كانت بعض النساء يقعن بين نارين عندما تقع الحرب بين قبيلة أهلها وقبيلة زوجها ، وبطلة قصتنا هذه واحدة من أولئك النساء.

وعندما تقع الحرب تسنح الفرصة للحنشل (سارقو الليل) للتكسب من إبل الفريق المعادي، وذات ليلة بينما كانت هذه المرأة نائمة قرب حماتها وزوجها في المرعى يحرس إبله جاء شقيقها متسللاً للسطو على قبيلة أنسبائه، ولكي لا يكتشف أحد أمره أرسل إلى شقيقته صوتاً يشبه العواء لتعرف بمجيئه وتدله على مكان الإبل، وعجزت المرأة في العثور على طريقة لمجاوبة شقيقها بسبب حماتها القريبة فأخذت ترفع صوتها بالغناء لتسمع أخيها دون أن تشعر العجوز بالأمر، فقالت:

يا ذيب ياللي جرّ صوتٍ عوى به

مدري طرب والا من الجوع يا ذيب

البوش عندك يم (خشم اللهابة)

في فيضة السرداح والبل عوازيب

أي أنها أفهمته أن الإبل في الموقع المذكور، وهنا ظنت أم زوجها أن الذي أرسل هذا الصوت هو عشيق لكنتها ولكنها ليست على يقين كاف فألغزت لها بالقول:

حذراك من ذيبٍ يعضّك بنابه

ترى صواب الذيب ما به تطابيب

أي أنها حذرتها من الانخداع للرجال المذؤوبين فمن هانت مرة ستهون دوماً فعرفت المرأة مقصد العجوز وأجابتها بجواب أسكتها:

وحياة جلاّب المطر من سحابه

إني عفيفة ما دخل عرضي العيب

أنا كما عدٍّ قليلٍ شرابه

ما تدهله بالقيظ حرش العقاريب (×)

(×) نشرت هذه القصة في العدد (٦٢) من مجلة المختلف.

شاعر يرثي نفسه

معروف أن التراث العربي القديم يحتوي على قصة شهيرة لشاعر رثى نفسه قبل الموت هو «مالك بن الريب» ، وتفصيلاتها معروفة في بطون كتب التراث أما تراثنا العامي فيحتوي على قصة مشابهة لشاعر آخر رثى نفسه قبل الموت هو الشيخ مسلط الرعوجي العنزي الذي رثى نفسه وهو يموت بطيئاً بين يدي صديقه الشاعر الغزلي الرائع محسن الهزاني في بلدة الحريق.

ومسلط هذا سمي بالرعوجي لشجاعته الفائقة لأنه كان إذا صاح (يرعج) الخيل أي يسقط ما في بطونها ، وطغى لقبه على اسمه بالرغم من أنه من آل هذال شيوخ قبيلة عنزة، وقد كان مسلط شاعراً فذاً يمتاز شعره بالقوة والجزاله والحماسة ، وقد شارك في العديد من معارك قبيلته فأصيب إصابة بليغة في آخرها، فأنزله رفاقه في بلده الحريق لدى صديقه الشاعر محسن الهزاني لكي يعتني به حتى يشفى، وهناك قال الرعوجي قصيدة قبل وفاته منها:

قال الرعوجي مسلطٍ وافي الاذكار
عصر الخميس وحفرتي جددوها
شدّوا وخلّوني على دمنة الدار
يا حيف حتى عباتي خذوها
يا حيف نسيوا هدّتي هي والاذكار
مواقفٍ صعبة عليهم نسوها
عقب العقاب الصيرمي طفيت النار
لو جمّعوا كل الحطب ما اوقدوها
ماني بغابطهم سوى حل الأمطار
لى خايلوا وسميّةٍ وانجعوها (×)

(×) نشرت هذه القصة في العدد (٨٤) من مجلة المختلف.

رد الجميل

راسلنا بهذه القصة القارئ خالد سعد الشمري من الأحساء ، وهي تدل على نبل أبناء البادية وتبادلهم رد الجميل بأصالة ووفاء.

تقول الحكاية أن «صياح المرتعد» وجماعته من ولد سليمان من عنزة خرجوا في غزوة لهم ، ومروا على بيت رجل من شمر يقال له: «مطير الحمزي السويدي»، ولسوء الحظ كان رب البيت غائباً ، فرحّبت بهم زوجته وقدّمت لهم القهوة، ومضت تبحث لهم عن طعام فلم توفّق لذلك لضيق ذات يدها وغياب زوجها.

عند ذاك شعرت المرأة الأصيلة بالخجل من ضيوفها وجعلت تبكي حياءً منهم، ولما بَصر بها صياح سألها عن خبرها فأنبأته، فجعل يهّون عليها الأمر ويعتذر لها عن الإقامة لأنهم على عجل وكان قصده عدم احراجها ومضي هو وجماعته، ولما عاد الحمزي الى بيته وأخبرته زوجته بأمر الضيوف واسم كبيرهم قام إلى ناقة أثيرة لديه ووسمها بوسم لصياح المرتعد وأشهد قومه على ذلك ، ومرت السنوات وأنجبت الناقة وتكاثر ولدها وكان الحمزي يسم كل نتاج للناقة بوسم المرتعد، وبعد مدة طويلة جمعت الأيام صياح المرتعد بالحمزي الذي سلمه الإبل كلها قائلاً:

يالمرتعـــد واجـــبك حقٍ وصـــايب
حقٍ على اللي يفهمون المواجيب
وسمتها بحضور كل القرايب
ذبيحتك يا منقع الجود والطيب
لو ما بغينا ما علينا غصايب
لاشكْ ضيف البيت له حق ومصيب
يفداك منهو ضاري للسبايب
لى ضاف علق بالمعزّب كلاليب
جمالةٍ ياشوق ضافي الذوايب
وذي عادة الطيّب بستر المعازيب

فقبل المرتعد بأخذ ثلث الإبل فقط، ورد البقية للحمزي قائلاً:

الطيب في وجه المشيّب وهايب
وطيب الفتى من عند ربه مواهيب

ثلثٍ لنا وثلثٍ لبيتك حلايب
مقسوم بين الضيف هوَ والمعازيب
ومعزّبتنا يافتى وانت غايب
نشميّةٍ تسوى كثير الرعابيب
من جرّب الدنيا يعرف النوايب
تراه ما يشنى ولا يذكر العيب
واللي يسبّ لشبعة البطن خايب
أصل القرا.. ألبن هوَ والتراحيب (×)

(×) نشرت هذه القصة في العدد (٧٧) من مجلة المختلف.

قوت وفهيد

هذه قصة حب وجدناها في كتاب بعنوان «تاريخ سيناء» لمؤلفه نعوم بك شقير مطبوع في أوائل القرن العشرين الميلادي، ورأينا نشرها لنقرأ جزءاً من التراث الذي حملته القبائل المصرية من بواديها القديمة في نجد سواء كان واقعياً أم أن الخيال صاغه في ليالي السمر.

يقول نعوم بك:

«عند نزولنا في عرب أولاد سعيد سنة ١٩٠٥م طلبت من أحدهم أن يقص علينا حكاية من حكاياتهم ، فقص علينا رواية «قوت وفهيد» قال:

كان في إحدى قبائل نجد فارس مشهور بالشهامة والإقدام يدعى «فهيداً» ، وكان في قبيلة أخرى تجاورها غادة مشهورة بالفصاحة والجمال تدعى «قوتاً» ، فكان كلما التقى فهيد برجل وجرى ذكر النساء يقول له: «لا يصلح لك زوجة غير قوت»، وكذلك كلما التقت قوت بامرأة وجرى ذكر الرجال تقول لها: «لا يصلح لك زوج غير فهيد»، ولم تكن قوت تعرف فهيداً ولا فهيد يعرفها، ورغم ذلك تولد في قلب كل منهما حب للآخر وشوق لرؤيته.

وكان لقوت جارية تعرف مورد فهيد فأخذت جاريتها وأتت بها إليه، فاتفق أن فهيداً لم يرد الماء في ذلك اليوم ، ولكن وردها أخوه وهو طفل صغير فتقدمت إليه قوت وقالت له : آأنت شقيق فهيد الفارس المشهور؟. قال: نعم. فدنت منه وقبلته وطلبت منه إبلاغ التحية لأخيه وعادت إلى قبيلتها.

ذهب الولد وأخبر أخاه بما كان فاشتعل إذ ذاك فهيد حباً لقوت وأخذ يسعى إلى رؤيتها فلبس لبس راع ودخل قبيلة قوت ، وقال: «فقدت ناقة لي وجئت أفتش عليها بين نياقكم »، فقالوا : «هذه إبلنا ففتش على ناقتك بينها»، فدخل فهيد بين الإبل وكانت قوت هناك ، فلما رآها لم يشك أنها هي لفرط جمالها ورشاقة قدها ، فتقدم إليها وحياها بأبيات جميلة فعرفت أنه فهيد فردت عليه التحية شعراً أحسن رد.

وخاف فهيد إذا أطال المكوث أن ينكشف سره، فودعها مرغماً وبعث يخطبها من أبيها بأي مهر شاء ، وكان لقوت ابن عم لها يريد الإقتران بها وكان أبوها راضياً به ، فرفض طلب فهيد ولكنه خاف بطشه فنقض خيامه وسار راحلاً إلى أرض بعيدة ،

فركب فهيد فرسه ولحق بالقوم وأخذ قوت عنوة منهم وهي في هودج على جملها وسار بها قاصداً قومه.

وفي الطريق قالت قوت: «أخاف يا فهيد إذا تزوجتني على الرغم من أهلي أن يعيّر العرب أولادنا بأنهم أولاد «قلاعة» ، فالرأي أن تردني وتسوق «الجاهة» إلى أبي فيزوجك برضاه، وأنا أعدك وعد حب صادق أنني لن أرضى بأحد غيرك قريناً لي». فاقتنع بوجاهة رأيها وردها إلى أهلها.

فلما دخل الظعن رماه عمها «وطفان» برمحه غدراً فقتله ، فحزنت عليه قوت حزناً شديداً ثم أخذت تندبه وترثيه بالأشعار وقد انقطعت عن الطعام والشراب إلى أن ماتت.

ومن قولها فيه:

يا طيـور حـومـة يا طوال الصناقـيـر

أوصـيكم عن فـهـيـد لا تنقـدنه

يـا كم عـوده طوّح الرمـح تـطـويـح

واعطى اللحم لعـشـوشكم تنقلنه

ومن قصيدة أخرى:

يا عـمّي يا وطفـان مـا بي خـلافي

ابكي صـبيٍّ تدفق السـمـن يمناه

يا عـمّي يا وطفـان مـا بي خـفـافي

ابكي صـبيٍّ يذعـر الخـيـل طرياه

يـا ونّـتي ونّـة ثـلاث الـهـرافي

اللي جلد حـيـرانهنّه مـبـوّاه

يا ونّتي ونّة عـجـوزٍ كـبـيـرة (!!)

شـافت ولدها سـبَق الخـيـل تنحـاه (×)

(×) نشرت هذه القصة في العدد (١١٩) من مجلة المختلف.

غيبة مارق

من قصص البادية القديمة ما حدث لمارق بن عروج من شيوخ بني لام القبيلة الطائية يرويها الشاعر منديل الفهيد فيقول:

«ضافه إثنان كان عليهما طلب دم لقبيلة ما ، ولكن الضيف يحميه مضيفه حتى يصل للقبيلة المجاورة، وعندما ذهبا بعد الغداء لحق بهما الغرماء وقتلوهما فخفروا ذمة مارق بهذه الفعلة.

وعلم مارق بذلك فتخفى مترصداً لمن قتل ضيوفه فقتل منهم سبعة رجال بأوقات متفرقة، وعندما صاح عليه الرؤساء بالأمان نزل لهم من الجبل الذي كان يترصد من فوقه ، ورضي بحكم الدية وهو الجلاء عن قومه سنة واحدة عن كل قتيل ، فجلى مارق بن عروج سبع سنوات عاشها في كنف قبيلة أخرى بعد أن أخفى اسمه الحقيقي وسمى نفسه «ريمان»، وظهر بهيئة المسكين الذي لا هيبة له.

وذات مرة قال أحد الأشخاص ساخراً منه:

هنيّ قلبٍ داله مثل ريمان
ما همّه الا الخريطة والدوادي
يدله وياكل جالسٍ بين نسوان
متمركيٍ بين الحطب والهوادي

وهنا ثار مارق غضباً ورأى أن الأمر لم يعد يسمح بالإنتظار والصبر فرد معرفاً بنفسه قائلاً:

عزّ الله انك بين ربعك وطربان
تجيب من بالك لحونٍ جدادي
ما طبّ قلبك مثل ما صاب ريمان
جرحي إلى زادت لياليه زادي
من عقب ماني «مارقٍ» صرت ريمان
انا سميّ الموت سقم المعادي

ومن قصائد مارق التي يوضح فيها ما حدث له في قومه هذه الأبيات:

كلٍّ ينام وناظري سهران
النوم ما والله عليه اشفيت

ذبحت انا سـبـعـة من الشـجـعـان
ذبحـتـهـم بالثـار مـا ذليت
كلّه لعـيـنـا ذبحـة الضـيـفـان
ذبحـوا وتالي سـورهم بالبـيـت

ويذكر الفهيد في موضع آخر من كراساته سبباً آخر لكشف مارق عن شخصيته، وهو أن فتاة قالت له: «ردّ الغنم يا عوج ساق» استخفافاً به، ولما أغار الأعداء على قوم الفتاة لحق مارق بهم وقتل منهم الكثير واسترجع المنهوبات كلها لوحده ، وقال مخاطباً تلك الفتاة التي كانت معجبة بشاب وسيم هرب وقت الغارة:

يا بنت ياللي غـرّها زين عـشّـاق
وراه مـا فكّك ولو كـان به زين؟
تقـول: ردّ الضـان يا اعـيـوج الساق
وانا حليّ مـسـولعـات السـراحين
يامـا ثنيت السـاق من فـوق الاوسـاق
عـنّاس بدو عـقب الامـحـال منحين (×)

(×) نشرت هذه القصة في العدد (١٠٣) من مجلة المختلف.

الزوجة المدخنة

«إبن جلق» شاعر عاش في الزبير خلال الفترة التي كان بها الشاعر المعروف محمد بن لعبون مقيماً في تلك البلدة ، وربطت بين الرجلين صداقة حميمة كما هو واضح من قصيدة ابن لعبون: «ما طرق فرق الورق يا بن جلق».

ويروى أن ابن جلق الذي كان صائغاً غاب فترة عن بلدته ولما عاد وجد زوجته تشرب الدخان!! ، فقال مخاطباً إياها:

لعل روحي يا اتلع الجيد تفداك
أوحشتني في شربك النارجيلة
شرب التتن ما هوب زين لشرواك
نكرٍ وياذي بالثنايا الصقيلة
من عقب ما كنّ اللوالو ثناياك
يكسيه بالصفرة وتاتي كليلة
يا زين ترضى حين ما مزّ من فاك
عقب الشهد يازي مذاقه: سبيلة
أو زاد ترضى نور صافي محيّاك
يكسيه دخّان التتن كالمخيلة !!

فردت عليه الزوجة معتذرة من أن تدخينها كان بسبب غيابه الذي أضناها:

يا زوج ما واللي للاطباق سمّاك
باعث جميع الخلق منشي المخيلة
اليت مير ايقن بربّك ومولاك
الواحد اللي نرتجي مدّ نيله
مالي شفاةٍ بالغلاوين لولاك
أنت الذي يا شوق أوزيتني له
أبا اتسلّى به إلى حين ملقاك
والا التتن ما هوب عندي نفيلة (×)

(×) نشرت هذه القصة في العدد (١٢٣) من مجلة المختلف.

الفصل الثالث:
مثايل

راعي الأجرب

شعر: الإمام تركي بن عبدالله آل سعود

يُعدّ الإمام تركي مؤسس الدولة السعودية الثانية المعروف بالشجاعة والديانة والشهامة، وهو من أسرة مباركة شهد لها التاريخ بالمجد والسؤدد.

قال هذه القصيدة يتوجد فيها على ابن عمه مشاري بن سعود، وأرسلها تركي لمشاري الموجود أسيراً في مصر عند إبراهيم باشا سنة ١٢٢٥هـ، وهي من القصائد المعدودة في الحكمة والحماسة:

طار الكرى عن موق عيني وفرا
وقزيت من نومي طرا لي طواري

وابديت من جاش الحشا ما تدرا
واسهرت من حولي بكثر الهذاري

خطٌ لفاني زاد قلبي بحرا
من شاكيٍ ضيم النيا والعزاري

سر يا قلم واكتب على ما تورا
أزكى سلامٍ لابن عمي «مشاري»

شيخٍ على درب الشجاعة مضرا
من لابةٍ يوم الملاقا ضواري

ياما سهرنا حاكمٍ ما يطرا
واليوم دنيا ضاع فيها افتكاري

أشكي لمن يبكي له الجود طرا
ضرّاب هامات العدا ما يداري

يا حيف يا خطو الشجاع المضرا
في مصر مملوكٍ لحمر العتاري

من الزاد غادٍ له سنام وسرا
من الذل شبعان ومن العز عاري

وش عاد لو تلبس حريرٍ يجرا
ومتوّجٍ تاج الذهب بالزراري

فـ دنيـــاك يا ابن العم هذي مـــغـــرا

ولا خـــيـــر في دنيـــا تورّي النكاري

تسـقـــيك حلو ثم تسـقـــيك مـــرا

ولذاتهـــا بين البـــرايا عـــواري

إكـــفـخ بجنحـــان الســـعـــد لا تدرا

فـالعـــمـــر مـــا ياقـــاه كـــثـــر المداري

مـــا في يد المخلوق نفعٍ وضـــرا

ومـــا قـدر البـاري على العـبـد جـاري

واسـلـم وسـلّـم لـي عـلـى مـن تـورا

واذكـــر لهم حـــالي ومـــا كـــان جـــاري

إن ســـايلوا عني فـــحـــالي تســـرا

قـــبـــقب شـــراع العـــز لو كنت داري

يـوم ان كـلٍّ مـن خـــويـه تبـــرا

حطيت «الاجـرب» لي خـويٍ مـبـاري

نعم الرفـــيق الى سطا ثم جـــرا

يودع مـتاعـــيـر النشـامى حـــبـاري

رمـــــيـت عـنـي بـرقـع الـذل بَـرا

ولا خـــيـــر في من لا يدوس المحـــاري

يبـقى الفـخـر وانا بقـبـري مـعـرا

وافـــعـــال «تركي» مـــثل شـــمس النهـــاري

أحـصنت نجـدٍ عـقـب مـا هي تطرا

مـــصـــيـــونةٍ عن حـــرّ لفح المذاري

ونزلتـــهـــا غـــصـبٍ بخـــيـــرٍ وشـــرا

وجـــمـــعت شـــملٍ بالقـــرايا وقـــاري

والشـرع فـيـهـا قـد مـشى واسـتـمـرا

ويقـــرا بنا درس الضـــحى كل قـــاري

زال الهـــوى والغـيّ عنهـــا وفَـــرا

ويقـضي بهـا القـاضي بليّـا مـصـاري

وان سلت عـــمّن قـــال لي لا تزرا

نجـدٍ غـدت بابٍ بليّـا اسـواري

ومن أمَن الجـاني كـفى مـا تحـرا
وتـازي حـريمه بالقـرايا وقـاري
واجـهـدت في طلب العـلا لين قـرا
وطاب الكرى مع لابسات الخـزاري
ومن غـاص غـبّـات البـحـر جـاب درا
ويحـمـد مـصابيح السرى كل سـاري
وانا احـمـد اللي جـاب لي مـا اتحـرا
واذهب غـبـار الذل عنّي وطاري
والعـمـر مـا يزداد مـثـقـال ذرا
عـمـر الفـتى والرزق في كفّ باري
وصـلاة ربي عـد مـا خـطّ بالرا
على النبي مـاطاف بالبيت عـاري (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٦) من مجلة المختلف.

العبيّة

شعر: شالح بن هدلان

قصيدة لشالح بن هدلان الذي سبق التعريف به في الفصل الأول، وقالها شالح خلال زيارته لبستان صديق له من أهالي «الحوطة» يدعى «فواز»، وكان الأخير قد عرض على شالح خيار نخله ملكاً له إن هو قبل ترك البادية والإقامة بين هذه البساتين، فكان رد شالح هو الرفض القاطع موضحاً أسبابه المقنعة الآتية:

والله يـ لولا حب بنت العـبـيّـة
إنّ اتحـضـرا فـ البلد عند فـواز
شبـهـتـهـا والشيخ يقهر كـميّه
أدمـيـةٍ عـدّت على خـشم مـحـواز
والسـاق ناعـورٍ تعـاقب دليّه
عليه ورد البـدو غـادين اركـاز
والله يـ لولا الرب يـزرا عليّه
لاقـول: «نيرة»، والرمك غـيرها: ابياز
يا زينهـا بالجـوخ والقـرمـزيّة
إلى زبر جـمعٍ ورا جـمعٍ اركـاز
تلحق بمسطورٍ سـريع الهـوية
يضـرب بحـد الرمح مـا هو بهـواز
أردّها لعـيـون جـالي الثنيـة
غـروٍ صـغـيرٍ كلّ مـا جـا الخبـر.. فـاز
لـزمٍ عـلـيـنـا فـكّ راعـي الرديّـة
بشلـفـا وريعٍ من هوت فـيـه مـا ناز
فـعلٍ لبـوي، وفـعل جـدي، وليّه
مـاكـر حـرارٍ مـا شرك فـيـهن البـاز
هل فـرسـةٍ من عـاد يقـعـا صـبـيّـة
لى جـا النذر نرسي، ولا حن بنـزاز (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٠٨) من مجلة المختلف.

طوارق هوانا

شعر: نمر بن عدوان

من القصائد التي لم تنشر من قبل للشاعر نمر بن عدوان، وهي في الشكوى من الحب ولعلها قبل وفاة زوجته وضحا التي اشتهر بمرثياته لها:

سـارت خـشـارق في طوارق هوانا
تحـوف زفـراته لواهب لوامـيع
ليلة ثمانٍ في توالي رمضانا
غـايب قـمـرها والكواكب توابيع
فـي جـنح لـيلٍ راحت الروح وانا
لا قلت روحي، ياخـذ الوجـد توليع
تمنيت روحي ياخـذونه اعـدانا
خلف المخلّى في وجـيـه المفـازيع
يـرد ورا المطروح سـاعـة نخـانا
في وجـه صـبيانٍ سكارى مـداريع
والاّ بغـارات لنا يوم كـانا
والنفس ياخـذها سـبـايب توالـيع
خـذها حـبـيبٍ بالمودة سلانا
لا في غـلاه اخـذ ولا اشـري ولا ابيع
قـد خمَّ قلبي خـمَّـة الخـيـطانا
كـدريَّةٍ هفّت مع ذاوية الريع
قلبي هبـيـل وبالخـلايق شـقـانا
يا شـاري القلب المشـفّى وانا ابيع
قلبٍ بقلب، وزود منّا ثمـانا
وضحٍ عليـهن مـثل غـتـر المصانيع
يا لايمي يبـلاك رافع سـمـانا
بسبعٍ بسبع الله سبع التسابيع (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٠٤) من مجلة المختلف.

ماني وانا بندر

شعر: بندر بن سرور

يعد بندر بن سرور (١٩٤١ -١٩٨٥م) واحداً من الشعراء المميزين في هذا القرن نبطياً وقد ترك تراثاً شفهياً يمتاز بالجودة وقوة الاسلوب، وهاتان القصيدتان من أشهر قصائده راحت كثير من أبياتهما مضرباً للمثل، وقد كتب بندر أولاهما في بداية حياته ثم نسج على نفس وزنها وقافيتها القصيدة الثانية مما جعل الكثيرين يظنونها قصيدة واحدة:

(١)

يالله يا جالي الأمور المهمّة
تجلي وهج قلبٍ برى حال راعيه
البرّ دجته والبحر رحت يمّه
وادرج سبب حظ على الله مساعيه
يوم انّ ولد اللاش رزقه على امّه
رزقي على اللي ميّت القشع يحييه
ماني وانا بندر ببيّاع دمّه
خسران يا بيّاع دمّه وشاريه
اللي يبيع لابسات الأزمّة
ثوريبا بيض العماهيج تغنيه
خطو البخيل اللي يكبّر معمّه
يقرا الكتاب وواجب الله يخليه
إمّا هرج لك في رفيقه بنمّة
والا عطى وامّه تضيّع هقاويه

• • •

(٢)

ياملّ قلبٍ كلّ ما مات همّه
دارت دواليب الدهر لين تحييه
أحدٍ ينام وحط راسه بكمّه
واحدٍ تخمّ النوم عينه وتخطيه

واحـــد يحـــاول بالردى بنت عـــمّـــه

واحد يحاول ستـــر عـــذرا عـــوانيـــه

أنشـــدك باللي كلّ شيٍّ تتـــمّـــه

تقـــرا الكتـــاب وكل فـــرضٍ تصلّيـــه

ويش القليب اللي عـــميقٍ مـــجـــمّـــه

مـــا سرّ غـــرســـه ماه عطشى ســـوانيـــه

سمّ الســـبب يا عـــارفٍ عنه ســـمّـــه

سمّ السبب يا عارفه قبل اسمّيـــه (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٠٢) من مجلة المختلف.

عرضة نجدية

شعر: عبدالرحمن بن صفيان

تظل هذه العرضة نصاً مدهش الرؤى قادراً على تلخيص التاريخ الطويل لتوحيد الجزيرة العربية على يد الملك عبدالعزيز آل سعود في أبيات قليلة:

نحـــمـــد الله جت على مـــا تمنى

من وليّ العـــرش جـــزل الوهايب

خـــبـّـــر اللي طامعٍ في وطنـا

دونهـــا نثني الى جت طلايب

واجـــد اللي قـــبلكم قـــد تمنّى

حـــربنا لي راح عـــايف وتايب

يا هبـــيـــل الراي وين انت وانا

تحـــسب ان الحـــرب نهب القـــرايب

لي مـــشى البـــيـــرق فـ زيزومـــه انا

حن هل العـــادات واهل الحـــرايب

كـــان مـــا نجـــهل على اللي جـــهلنا

مـــا سكنّا الدار يوم الجـــلايب

ديرة الإســـلام حـــامـــينهـــا

قـــاصـــرينٍ دونهـــا كلّ شـــارب (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٠) من مجلة المختلف.

الشيخة

شعر: مقحم النجدي

هناك أكثر من قصيدة سميت بـ «الشيخة» في التراث النبطي، وقد تكون هذه أكثرها شهرة لما تحتويه من حكم ومعاني بليغة:

يا الله يا المطلوب يا والي الاقدار

إنت الذي مدات جودك لطيفة

يا الله يا المعبود عاون هل الكار

تحلّ شطّاتٍ عليهم كليفة

اللي مجالسهم بها بنّ وبهار

ونجرٍ يصوّت للهجافا رجيفه

مكارمٍ للضيف اصيلات وبكار

ومفطّحاتٍ في صحونٍ نظيفة

يا مزنةٍ غرا من الوسم مبدار

اللي جذبنا من بعيدٍ رفيفه

تومر علي كلّ المفالي بالامطار

تصبح بها خدّان قومي مريفة

غب الحيا فاحت بها ريح الازهار

تخالف النوّار مثل القطيفة

ترعى بها قطعاننا سرّ وجهار

ترعى زماليق الفياض النظيفة

قطعاننا ما يرتعن دمنة الدار

في ظل مروين الغلب والرهيفة

ترعى بضف الغوش بقصاف الاعمار

تقطف زهر مرباعها مع مصيفه

في ضفة الله ثم «جبرٍ وجبّار»

خيّالةٍ يوم الملاقا عنيفة

ترعى بها وضحا من الذود معطار

غبوقة الخطار عجلٍ عطيفه

يبني عليـهـا بنيـة اللبن لجـدار

عـقب الضـعف راحت ردوم منيـفـة

مـا هي حكايا مـسـردٍ عـقب مـا نار

اللي نكس واطراف رمـحـه نظيـفـة

هذي حكايا مـجـرّبينٍ بالاقـدار

حـريبنا لو هو بعـيـدٍ نخـيـفـه

ألين مـن المـاهـود واقـطـع مـن الـنـار

وحـريبنا يرجع فـشـيلٍ مـعـيـفـه

إن سـوهجـوا عنهـا قليلين الابصـار

من دونهـا تروي الحـدود الرهيـفـة

الصـبـر مـفـتـاح الفـرج عند الاذكار

ومن لا صبـر تصبح حـواله كـسـيـفـة

خطو الولد مـثـل البليـهـي الى ثار

زودٍ على حـمله نقل حـمل اليـفـه

وخطو الولد يبـهـش على مـوتة النار

مع العـرب يشـبـه لخطو الهـديفـة

والى بخـصـتـه مـا سـوى ربع دينار

صـفـرٍ على عـودٍ تضـبّـه كـتـيـفـه

وخطو الولد يامـال قـصـاف الاعـمـار

لا نافعٍ نفـسـه ولا منه خـيـفـة

وخطـو الـولـد مـثـل النداوي الـى طار

صـيده سـمـانٍ مـا يصـيـد الضـعـيفـة

حنّا كـمـا المشـخص عن الصـرف مـابار

بالوزن يرجح والمصـاري خـفـيـفـة

حـنـا نـراقـي زلّـة الجـار لـو بـار

نضـحك حـجـاجـه بالعلوم اللطيـفـة

نرفى خـمـاله رفـيـة العش بالغـار

ونودع له النفس القـويّة ضـعـيـفـة

ولا نبـدي الخـافي إلى صـار مـا صـار

يفلج قـصـيـر البـيت لو بان حـيـفـه

احـــدٍ على جـــاره بخــتـــــري ونوار
واحـدٍ على جـاره صـفـاةٍ مـحـيـفـة
الجـــار لابدّه مـــقـــفّي عن الجـــار
وكلٌ بجـيـــرانه يعـدّ الوصـيـفـة
نكرم ســـبـــال الضـيف حقٌ وتعـبـار
لى من ولد العـفـن شحّ برغـيـفـه
لابدّها تـرجـع تـواريخ واذكــــار
وتبـقي لدسـمين الشـوارب وظيـفـة
يــالـلــه يـــالــلـي يمّـة الحـجّ زوّار
ياللي عـبـيـده كلّ يومٍ تضـيـفـه
عـسـاك تفـرجـهـا على كلّ مـحـتـار
بهمٌ وهوجـاسٍ تزايد نكيـفـه
وصلاة ربّي اعـداد مـا اخـضـرّ الاشجار
على نبيٌ له شـريعـة شـريفـة (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٢) من مجلة المختلف.

طرب وهواجيس

شعر: تركي بن حميد

قصيدة طبقت شهرتها الآفاق حتى عدت منارة من منارات شعر الحكمة في تراثنا النبطي ، وشاعرها غني عن التعريف فهو واحد من أهم شعراء القصيدة النبطية على امتداد تاريخها، وهو الشيخ تركي بن صنهات بن حميد العتيبي المتوفي سنة ١٢٨٠هـ.

نومك طرب وانا بنومي هواجيس
ما سهرك بالليل كثر الهمومي
أسهر إلى نامت عيون الهداريس
وبالليل اراعي ساهرات النجومي
قالوا جهلت، وقلت جهلٍ بلا قيس
الجاهل اللي ما يعرف اليمومي
أشوف عدلات الليالي مقابيس
ولا احدٍ من الدنيا عظامه سلومي
تضحك وتخفي لك خفيّ الهناديس
تفطر لها يومٍ ويومٍ تصومي
إعمل وتلقا، وافهم العلم بالقيس
دنياك لو زانت تراها نقومي
والعز فوق معسكرات السواديس
إلى قصدت اللي بالاشيا رحومي
قبٌ تنازى بالنشاما كراديس
والطير في روجاتهنه يحومي
إلى توافق مشْور السوّ وابليس
تبرْ منه وعزْربّي يدومي
بالليل اصالي حاميات المحاميس
والصبح الاوي كل قبّاً قحومي
أربع سنين ودمع عيني أماريس
العين تسهر كنّ فيها هزومي

والى ركبت معالجات المضاريس

يبرد على قلبي لهيب السمومي

صوابنا بالميل غمقٍ الى قيس

وطريحنا في متبره ما يقومي

إن جن بنا مثل النعام الأماريس

لى خفّ عجلٍ مع رفاق الحزومي

إستلحق اللي يطلبون النواميس

اللي من الأقصين وادنى اللحومي

لا خير في كثر الحكا والتماليس

هرجٍ بلا فعل يجي به وهومي

لومي على اللي ينقلون العبابيس

واهل الفرنج وكل رامي لحومي

إن جن بالميدان مثل الدواويس

وطار الغطا عن قانيات الرقومي

عرجٍ باهلهن كنهنّ القرانيس

على الطريح مصوبراتٍ كظومي

إلى سمك عجّ الرمك بالملابيس

المسعد اللي حظ ريعه يقومي

حتى يزين لنا المثل والتوانيس

والكيف طاب لمن يفك القحومي

من لا يدوس من قبل ما ديس

عليه داسوه العيال القرومي

ومن لا يقلط شذرة السيف والكيس

يبدي عليه من الليالي ثلومي

والقصر ما يصلح على غير تأسيس

ومن لا تعلم ما تسرّ العلومي

ومن لا خذا الدنيا بميزٍ وتقييس

مثل الذي يصبح بليلٍ يعومي

كلّ القلم من كتبنا للقراطيس

وركابنا من كثر الأقران تومي

يالزير.. يالزحار

شعر: خضير الصعيليك

واحدة من أروع قصائد المدح في تراثنا النبطي لغة وبلاغة، ولاغرو فهي في الثناء على «أبي خوذة» الشيخ عبدالكريم بن صفوق الجربا المعروف بكرمه البالغ:

يا شيخ انا جيتك على الفطر الشيب
قزان من دار المحبين دباب
دبا عليّ ودبّ مني بتقريب
قلّ المواشي يا ذرا كلّ من هاب
من دارنا جينا لدارك مغاريب
يموم نجمٍ لا تغير ولا غاب
متخيرك يا منقع الجود والطيب
لا خيب الله للاجاويد طلاب
سلام من قلبٍ محبٍّ بلا ريب
له يستتاب الشاب ويشبّ من شاب
يالجوهر الناريز، يالعطر، يالطيب
يالصعل، يالصهال، ياحصان الاطلاب
يالزير، يا الزحّار، يالنمر، يالذيب
يالليث، يالليوث، يالشبل، يالداب
يالضاري الضرغام، عطب المضاريب
يالفرز، يامفراص ضده والاجناب
يالنادر الهليع، عقاب المراقيب
يا ناقلٍ جيليه بعيدين واقراب
نطّاح طابور العساكر الى هيب
ستر العذاري لى غشى الزمل ضبضاب
عيبك الى من قالوا الناس بك عيب:
بالسيف لارقاب المناعير قصّاب
وعيبك الى من قالوا الناس بك عيب:
للسمن فوق مفطح الحيل صباب

وذبح الغنم والكوم حرش العراقيب
وعطا المهار وبذل مال بلا حساب

وبك شارة كبّ الفراد المحانيب
وبذل الطعام وللتنافيل كسّاب

نمراً تجره للعدا والأجانيب
تفجا بها غرات ضدك بالاسباب

ومن عقب ذا بالعون ما بك عذاريب
أحلى من السكر على كبد شراب

جيناك فوق الهجن شيب المحاقيب
لمشاهدك يا شوق وضّاح الانياب

الحرّ يضرب بالكفوف المعاطيب
والتبع قناصه من الصيد ما جاب

وانت الذي تافي بكلّ المواجيب
كنك «هديب الشام» بالحمل عتّاب

تثني لابو صلفيق ما به تكاذيب
شيخ الصخا معطي طويلات الارقاب

ياما عطيت اللي يجونك طلاليب
كم واحدٍ جا لك من الوقت منصاب

وفرّجت همّه في كبار المواهيب
من عيلمٍ يزمي كما يزمي «الزاب»

عزّ الله انك طيّب وتفعل الطيب
والطيب يجني منك يا زاكي الانساب

ولا هو كثير يا مهديّ الاصاعيب
افعالكم يعدّه اللي بالاصلاب (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٥) من مجلة المختلف.

الحبيب الجنوبي

شعر: حمد المغلوث

كتب حمد المغلوث (سبقت ترجمته في الفصل الأول) هذه القصيدة مخاطباً الشيخ علي الخليفة الصباح ، وقد تغنى بها على الربابة الفنان عبدالله الفضالة:

باح العزا من الحبيب الجنوبي
يا علي كنّ العقل بالكفّ مجذوب
يا علي تذكار اريش العين دوبي
زوله يزوّل لي وانا عنه محجوب
أبكي على فرقاه والعي واهوبي
والدمع من عيني على الخد مسكوب
من حرّ نار الولف مطعّزت ثوبي
وطوّحت بالونة على كل تبنوب
عقب الستر كلّ الخلايق دروا بي
والسدّ ثار من الحشا ثورة الطوب
يا علي لي نسنس نسيم الهبوبي
تود من الشرقي برى حالي النوب
سلاّل سل الحال من كثر لوبي
لا هم لا فرقا ولاني بمطبوب
إلاّ بلاي فراق من سدّ نوبي
عن كلّ معشوقٍ من البيض رعبوب
يا علي يافرز الوغا يا مُحَبوبي
وش انت شايف يا حجا كل مكروب؟
عيّى يطيب لي الكرى مع شروبي
كن الحشا يصلى على حرّ لاهوب
ليت الركايب يا علي ما مشوا بي
من ديرة المحبوب والرزق مكتوب
ياليت ربّي ما سعى في ركوبي
ليت السنع معتاق والدرب مقضوب

واليـــوم يا غـــافـــر عظيم الذنوبي

اسـالك يا المطلوب يا خـيـــر مطلوب

تجمع بشملي مع حـبـيب عـجـوبي

مـحـبـوب مـا غـيـره من الناس مـحـبـوب

اللي كـمــا بدرٍ قـرب للغـيـوبي

او شـمـعـدانٍ في دجى الليل مـشـبـوب

اصـفـر عـفـر، والكفّ منه مـخـضـوبي

ومـجـمّله ربي ولا فـيـه عـذروب

إلا الوفـا مـا هو مكورٍ كـذوبي

ومـغـفلٍ مـا يعطي العلم مـقلوب

عـزّ الله انه ثقّل الحـمل صـوبي

بالحب وادعـاني شـقيٌ ومـتـعـوب

هـو ريف روحي يا علي لو حكوا بي

مـصـدود عن عذل العـواذل ومـحـجـوب

مـا اطيع انا العـذّال لو برّقـوا بي

ولا اكـفّ عـن وصلـه ولا اسلـى ولا اتـوب

مـا اسمع ولا اوحي عن حـبـيـبي ولو بي

صـبـرٍ فلا حـاريت زادٍ ومـشـروب

مـا اطيق انا الفـرقـا رقاقٍ جنوبي

وقلبي ضـعـيف ودايم الدوم مـتـعـوب

يوم الليـالي عن حـبـيـبي رمـوا بي

غـديت مكتـوف الجناحين مـصـيـوب

مـثل الفـقـيـر اللي غـريبٍ عـزوبي

مـحـتـاجٍ مـالـه حـدٍ يقـضي النوب

أو شـبـه حـيـدٍ للسراة مـغـصـوبي

حـمله ثقـيل وصـار بالخفّ شـاذوب

والاّ كـمـا طفلٍ يتـيـمٍ يحـوبي

من قلّة الوالي ورا البـاب مـذبوب

هذي سـواتي عـقب فـرقـا الجنوبي

اللي هجـرتي مـا لفى منه مكتـوب

هو يحسب انّ البيض عقبه غدوا بي
وانا بصوب وعن هوى البيض في صوب
وين اسلى اللي لى ذكرته يذوبي
عقلي، وهو متغطرفٍ يسحب الثوب
غروٍ من البيض العذارى محسوبي
ترف الحشا ومعزّلٍ تقل مسيوب
كنّ الردايف لا اقتفاها الهبوبي
صيوان حكّامٍ بالاطناب مضروب
وعيونه الخرسات سودٍ سطوا بي
ونهود مثل التين والعنق مسلوب
ياعلي وين اسلى الهوى وين اتوبي
وين اقدر التجليد والعقل منهوب
ياعلى خلّوني حزينٍ الوبي
لوب الحمام اللي على راس تبنوب
غير الوصل ما شي يبرّد لهوبي
وصلّوا على المختار ما افترّ دالوب (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٩) من مجلة المختلف.

حيّ اللى شراها لي

شعر: فراج بن ريفه القرقاح

قصيدة من نوادر الشعر النبطي بجودة معانيها وقوة أبياتها لشاعر رغم قلة القصائد التي بحوزتنا له إلا أنه يعد بحق من رموز الشعر النبطي على مر العصور وقد توفي في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وهذه الأبيات الجميلة دليلنا على ذلك:

قال بن ريفه: بدا في المرقب العالي
باعلى المراقيب تومي به هبايبها
ما يدهله كون صافي الريش والوالي
والا الولع يوم يفنك في عجايبها
هيّضني الرجم وانا من أولٍ سالي
لهم على القلب ديرانٍ شطيت بها
يا مرقبٍ جاك من الامطار همّالي
نصوب مزنٍ من المنشى يهلّ بها
لهم علينا شدوق الشفن لى سالي
وعطفة طريبٍ الى زافت جوانبها
لمّا غدا الفيض كنّه زرع عمالي
سيله من القدم للبطنان ناهيها
كم مرةٍ قد نزلنا عشبه المالي
ببيوتنا اللي وزا المجرم يلوذ بها
نبني بيوتٍ بعرّافٍ وجهّالي
وأن جا النذر من حفيفٍ ما نزهبها
عسى هل الشين ما يبقى لهم تالي
واهل السلوك الردي يا رب تذهبها
واللي جليلٍ وللشطّات حمّالي
ارفع نواصيه يا ربّي وقطّبها
أنا من الخبرة اللي شورهم عالي
وامّا هل البخل بامر الله نجنّبها

يا راكبٍ من على اللي مـشـيـهـا ارمـالي

مـامـونةٍ يـرفع الهـلان غـاربـهـا

تزها السـفـايف وتزها الخـرج وحـبـالي

ومـجـرّبٍ لى سـرى في الليل صـالـبـهـا

حيّ الطويلة وحيّ اللي شـراهـالي

من واحـدٍ جـابـهـا في السـوق جـالـبـهـا

شـريتـهـا في الدهر يوم ارخص الغـالي

بمية وخـمـسين مـا يمهل بغـايبـهـا

حـديدهـا.. واذكـر الله كنه ريـالي

وكن الحـيـايا تطوّى في مـقـاضـبـهـا

بنتٍ وغـرهـا زيادٍ عند دلاّلي

والاّ طمـوحٍ هواها من يلاعـبـهـا

واضـرب بهـا الوعل لى منّه تهـيـا لي

ابو حنيـة كـبـيـر الراس شـايبـهـا

لى ثار بارودها الي العـود مـتـالي

منهـا الريايا مـقطعـةٍ نشـايبـهـا

واطمـر بهـا عند ربعي وامنع التـالي

لى هاب ولد الردي مـا عـاد يزهبـهـا

عط الطويلة عـريب الجـدّ والخـالي

ولد الردي لا تخلّونه يزولبـهـا

والى لفـونا من المقناص زعّـالي

احـدٍ مـدح بندقـه واحـدٍ يعـذربهـا

بشّرتهم بالعـشـا من عـقـب مـقـيـالي

والقـايدة من مـردّ الكوع ضـاربهـا

واسرح بهـا في السـحـر مـا نيب كسّـالي

وكم سـرحـةٍ فـرقت منهـا رنايبـهـا

يا الله وانا طالبك عطني هوى بالي

حـمـراً من الجيش طفّـاحٍ جنايبـهـا

لى روّح الجـيـش حـاديه اشـهب اللالي

لى هي تورّد وسـيعٍ صـدر راكـبـهـا

الشيخ من يعطي الفقارى المفاليس
يبدل الساعة بعزٍّ يقومي
والحرَ لى دبّت عليه النواميس
يشهر وعن دار المذلة يشومي
والى اكترب من بعض الاشيا نسانيس
إعزم ولابدَ الفرج بالعزومي
باب الفرج لبسك نظيف الملابيس
ينجيك بايام الكرب والزحومي
أوجس بقلبي مثل دقّ النحاحيس
الله يلوم اللي لحالي يلومي
يجلي صدا قلبي ضبيح المهاريس
لى قام شرّاب القهاوي يعومي
ودلال فوق النار دايم مجاليس
إكرامهن حقٌ علينا لزومي
من صنعة الصبّة وخمس التخاميس
بريّةٍ يعمل بها كل يومي
وبهارهن هيلٍ بليا حواسيس
كيف يعدّى للنشاما القرومي
عدّه لحمّاي العياد المراويس
والا الحصان اللي بقينه وهومي
وصلاة ربي عدّ رمل الطعاميس
على شفيع الخلق يوم اللمومي (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٣) من مجلة المختلف.

اللي على كــــورها واللي بالحـــبـــالي
واحـــد على عـــيــزها واللي بغـــاربهـــا
لى روّحت مع تخـــاتيخ الخــلا الخـــالي
كن الذيابه تنهّش من جنايبــــــهــــــا
فـــاســـتــغــفــر الله اللي فـــوقنا عـــالي
حطيت في حـــفـــرة رزوا نصـــايبـــهـــا (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٠١) من مجلة المختلف.

سراج البيت

شعر: سليمان بن شريم

كم نحن في هذا الزمن بحاجة لنصيحة ترشدنا للخلق القويم، وهذه نصيحة من شاعر عرف بكرم السجايا توجه بها لولده وللأجيال المتلاحقة، فلنستمع لما يقول:

يا ملّ عينٍ في محاجيرها شوك
والقلب به عن لذة النوم دكّاك
لى دكّ في قلبي من الهمّ داكوك
جاويت طربان الحمايم والادياك
عزّي لحالك يا «عزيز» وانا ابوك
كان الزمان اللي وطاني توطاك
امشي وكنّي يا عزيز بتابوك
في حبس جبّارٍ تحت حكم الاتراك
على عشيرٍ دونه الباب مصكوك
ما غير امرّه واتعداه مناك
وقعدت انا في تالي الوقت مملوك
دورة زمانٍ بين جاك وتعداك
إفهم وصاتي يا عزيز وانا ابوك
دامك صغير وغاية العلم يقراك
تراه ما ينفعك عمّك ولا اخوك
لى صار ما تقضي لزومك بيمناك
وربعك إلى بان الخلل فيك عافوك
اقرب قريبٍ لك من الناس يشناك
وان كثر مالك صدّقوا لك وطاعوك
وان قلّ ما بيديك شانت سجاياك
لو تطلب الما عندهم كان ما اسقوك
إبعد مزارك عن وطنهم ومرباك
وان طاب حظك صدّقوا لك وزاروك
وان بار كلُّ ما يبي غير فرقاك

والى اعترض لك من صروف الدنيا صوك
كلٍّ تبرّى منك ما هوب وياك
وهرّاجة المجلس إلى جيت ورّوك
منازلٍ تطرب نظيرك بدنياك
واللي يجي من رفقته ريب وشكوك
إحذر عنه بالحال ليّاك ليّاك
والى جفوك اهل الوطن واستخفّوك
إشلع غريسك ثمّ هدّم ركاياك
وعطهم مجازاهم الى منهم جوك
واغلق ضميرك لا تعلّم بقصياك
تراك لو تمشي على الرجل صعلوك
أحسن من اللي تلتجي له وياطاك
خدمتك شيخٍ كنّك العبد «مبروك»
يامرك فيما يشتهي ثمّ ينهاك
وترى الملوك اليا صفوا لك وحبّوك
أصغر خدمهم ينتقم لك وينفاك
والى جفوك اهل الوظيفة وعافوك
خفّت موازينك وكلٍّ تهقواك
إلى قضوا منك اللوازم وخلّوك
تفرّقوا وانت احتمل كلّ ما جاك
كنّك سراج البيت للنور شبّوك
والى قضى الوارد حدا الريع طفّاك
والاّ كما ليمونة الحمض مصّوك
والى قضى منها الطعم طوّحوا ذاك
واعرف تراك مبرقعٍ منه مشبوك
وحذرك في حبل الندامة ولا ارقاك
إن طبت ما حبّوك وان جرت زاروك
وتقضي حياتك ناقلٍ ذاك برداك
واصحى لخلاّن الرخا لو تغالوك
إعرف ترى اطيبهم إلى احتجت يجفاك

كنك خـــوي :مـــقـــيط، دهووك واغـــووك

حـــقك عطاك رشـــاك واقـــفى وخـــلاك

واحـــذر عن العـــيلة ترى الحق مـــدروك

مـــثل العـــمل يدركك مـــا منه فكَاك

وان كـــان عـــدواتك على الضـــيق حـدّوك

فـــاخـــصم طلابتـــهم بعـــجـــفـــاك واقـــداك

وان كـــانهم في واضح الحقّ مـــاشـــوك

ناظر مطاليع الفـــرح قـــبل مـــبـــداك

وان طاوعـــوا لابليس ثمّ اســـتـــهـــانوك

فـــاصـــبـــر على البلوى ودفنك رزاياك

وزرهـــم تـــراك الـيـــــــا تـــوانيت زاروك

إن مـــا بديت بصـــاحب الســـوّ يبـــداك

إن كـــانهم مـــا طاوعـــوا لك وعـــافـــوك

إضـــرب على الكايد ليـــا عـــمـــيت ارياك

لو هذّبوا لك بالمصـــايب وضـــدّوك

مل ســـذبحـــونك قـــبل تدني مـنـاياك

واحلم عن الجـــاهل ترى الحلم مـــبـــروك

وقم للضـــعـــيف اللي من الضـــيم ينخـــاك

وادمح خطا جـــيـــران بيـــتك إلى اذوك

ترى القـــصـــير وحرمـــة الجار بحـــمـــاك

عطهم جـــمـــيع حـــقّـــهم لو تناســـوك

في كلّ مـــا يصلح بدينك ودنيـــــاك

وقم للرجـــال الى عنوا لك وضـــافـــوك

أغلى كـــرامـــتـــهم: حـــجـــاجك وبشـــراك

واعـــرف ترى مـــالك من الضـــيف مشـــروك

لولاه يطلب حـــاجـــتـــه فـــيـــه مـــا جـــاك (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٠٣) من مجلة المختلف.

يا كليب.. شبّ النار

شعر: دغيم الظلماوي

أرسل لنا القارئ فنر صالح الظلماوي من عرعر النص الكامل لقصيدة «ياكليب» المعروفة في وصف القهوة للشاعر القديم دغيم الظلماوي.

يا كليب شبّ النار.. يا كليب شبّه
عليك شبّه، والحطب لك يجابي
قلّط لها يا كليب من جزل خبّه
وشبّه الي منه غفا كل هابي
حنّا علينا جيب ماها وحبّه
وعليك تقليط الدلال العذابي
إغدق ليا شبّيتها ثم قبّه
تدعي لها ربع سراةٍ غيابي
لو هم بعيدٍ شلوف ضوه ينبّه
ولو هم قريبينٍ بنبح الكلابي
بنسريّة يا كليب ياشين غبّه
ليا نسنست لكنّها سمّ دابي
متلطمّين وناطحين مهبّه
متكتّفين وسوقهم بالعقابي
خطو الولد يا حيف ما ينحسب به
معيرةٍ على غضير الشبابي
وش عاد لو يلبس زبونٍ وجبّة
يصير منهم من حساب الزهابي
الوالمة ياكليب عجّل بصبّه
والرزق عند اللي ينشّي السحابي
صبّه لقرمٍ صرفته ما حسب به
يوم البخيل مكنهب الوجه هابي
وثنه لصدورٍ ليا جاه نبّه
يرخص بعمره والدخن له ضبابي

وعـــده عن اللي مـــا يداري المسبـــــة

اللي يـدوَر بـالقـــصـيـــر الغـــيـــابي

إحــرص على جـمـــره من احـراق حــبــه

لَمَا تـشــــوف الـعـــــرق بـالحب ذابـي

ودقـــــه بنجـــــر تالي الليل نـبــــه

يشـــــادي لذيب يا عــــوى براس نابي

ودق البـــهـــــار وبهـــره ثم صـبـــــه

تصبغ على الفنجـال مـثل الخـضـابي

ومن يوجـعــه راسـه ترى الهـيل طبـه

وليـــا تقــهـــوا غـــاية الكيف طابي

تذبح لهم كــبش عـــريض الملبَّـــــه

ومـن مـــذبح السكين حسّ الركـــابي

كم كـــبش مـــصـــلاح لراســـه تجيـَّــه

ولو زودوا فـــيـــه الـثـمـن مـــا نهـــابي

مع الشــــتـــال مـــزيّن طبخ حـــبـــه

والعــــــذر مع هذا وزيـن الجـــــوابي

ونبـــدى لهم يا كليب هرج المحـبــــــه

يا جنب الهـيّن عـــريض العـــلابي

ويهـــرج أحلى من شـــخــاليل «جـبّـه»

واحلى من الســمن الجـديد العـرابي

يا رب ناخـــذ تالي العـمـــر عـبــــه

من قـــبل مـــا ينسف علينا الـتـرابي

الصبـــر زين وراعي الصــبـــر غـبـــه

يرقى بروس مــشـــمـرخـات الهـضــابي

ومـن لا صـــبـــر يا كليب في حكم ربه

هذاك يـوم البـــعـث مـــالـه ثـوابي (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٧) من مجلة المختلف.

ذبحة الشيخ

شعر: عواد بن شبيبة

الرثاء من أصدق أنواع الشعر، فالموت ليس مجالاً لتزييف العواطف حيث تخرج المعاني ندية بدموع الحزن الصافية .. و«عواد بن شبيبة» شاعر قديم وصلتنا له قصيدة نظمها في رثاء ممدوح بن سطام آل شعلان من شيوخ «الرولة» يقول فيها:

ياعين كفّي دمعتك يا قميحة
ما عاد لك من باقي السهر مصلوح
برقٍ يلوح وشاق عيني لميحه
بخشوم غرٍّ بالسما بين له.. ضوح
عسى الحيا يسقي جناب السطيحة
يسقي شغايا وادي فيه «ممدوح»
شيخ الشيوخ اللي لربعه منيحة
ما هو من اللي شيخته بس للروح
مجرّب كلُّ سمع في مديحه
اللي لجمعات الطوابير ذابوح
مضاربه باهل السبايا مبيحه
من غالطه بالطيب غادي ومفضوح
عزّي لمن مثلي همومه مشيحه
وقلبه على سردال الابطال مجروح
القلب عيّا لا يطيع النصيحه
جاويت قمريَّ الحمايم على النوح
ليتي حضرت الشيخ.. وانطح نطيحه
أو ليتني مع ذبحة الشيخ.. مذبوح (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٤٨) من مجلة المختلف.

البارحة يوم الخلايق

شعر: محمد بن مسلم

أختلف في هذه القصيدة بين نسبتها إلى نمر بن عدوان وهو الأشهر لدى العامة ، وبين محمد بن مسلم شاعر الأحساء وهو ما ورد لدى بعض الكتاب المهمين كعبدالله الحاتم وابن يحيى ، وقد بحث الزميل بدر الحمد في كتابه «قالت الصحراء» في هذا الموضوع ورجح نسبتها إلى ابن مسلم بدلالات قوية تتسم بالمنطقية، وأيا كان صاحب هذه القصيدة فإنها مرثية حزينة تتناقلها الأجيال وتتفطر لها أفئدة سامعيها:

البارحة يوم الخلايق نياما
بيّحت من كثر البكا كل مكنون

قمت اتوجد وانثر الما على ما
من موق عيني دمعها قبل مخزون

لي ونّةٍ من سمعها ما يناما
كنّي صويبٍ بين الاضلاع مطعون

والا فهي ونّة كسير السلاما
خلوه ربعه للمعادين مديون

في ساعةٍ قلّ الرجا والمحاما
فيها، وربعه شافهم يوم يقفون

والا فـ ونّة راعبيّ الحماما
غادٍ ذكرها والقوانيص يرمون

تسمع لها بين الجرايد حطاما
من نوحها تدعى المواليف يبكون

والا خلوجٍ ساعفت للهياما
على حوارٍ ضايع في ضحى الكون

وحوارها الراعي نحر له شماما
وامّه تطالع يوم ذكوّه بعيون

يروم ارزمت والخلج حوله حياما
ترزّموا معها وقاموا يحنّون

والأ رضيعٍ جرّعوه الفطاما

أمّه غدت قبل اربعينه يتمون

على عشيرٍ شرب كاس الحياما

صرفٍ بتقديرٍ من الله ماذون

جاه القضا من بعد شهر الصياما

صافي الجبين بثاني العيد مدفون

كسوه من عرض الخرق ثوب خاما

وقاموا عليه من الترايب يهلّون

راحوا بها حروة صلات اليماما

عند الدفن قاموا لها الله يدعون

برضاه والجنة وحسن الختاما

ودموع عيني فوق خدّي يهلون

حطوّه في قبرٍ عساه الهياما

في مهمهٍ من غرب الأموات مسكون

يا حفرةٍ يسقي ثراك الغماما

مزنٍ من الرحمة عليها يصبون

جعل البختري والنفل والخزاما

ينبت على قبرٍ غدا فيه مدفون

مرحوم ياللي ما مشى بالملاما

جيران بيته راح ما منه يشكون

يا وسع عذري وان هجرت المناما

ورافقت من عقب العقل كلّ مجنون

من طيب خيم اللي ذكرته ولاما

ومحاسنٍ ما عنهن الناس يدرون

أخذت أنا وياه سبعة أعواما

مع مثلهن في كيفةٍ مالها لون

والله كنّه يا عرب نصف عاما

يا عونة الله صرف الأيام وش لون؟

واكبر همومي من غويشٍ يتاما

إن شفتهم قدّام وجهي يبكون

إن قلت لا تبكون، قـــالوا عـــلامـــا
نبكي ويبكي مـــثلنا كل مـــحـــزون
قلت السـبب تبكون؟ قـــالوا يتـامـــا
قلت اليـــتـيم اياي وأنتم تـسـجـون
مع العــيـــال وكلّ جــرحٍ يلامـــا
إلا جــروحٍ بالحـــشـــا مـــا يطيـبـون
جـرحي عـمـيقٍ مـثل كـسـر السلاما
الـى مكن عنه الأطبـــا يعـــجـزون
قـمت اشـتكي حـــالي لربعٍ عـدامـــا
جــوني على فـــرقـــا خليلي يعـزون
قـــالوا تجـــوز وانس لامـــا بلامـــا
ترى العـــذاري عن بعـــضــهم يسـدون
قلت: انهـــا لـي وافـــقت بالولامـــا
يا ناس مـــابي غـــيـرها.. لا تشـيـرون
مـــا ظنتي تلقـــون مـــثله حـــرامـــا
ايضـــاً ولا فـــيـــهن على السـدّ مـامـون
اخـــاف انا من غـــاديات الذمـــامـــا
اللي على ضـيم الدهر مـــا يتـــاقـــون
او خـــبلةٍ مـــا عـــقلهـــا بالتـــمـــامـــا
أو نذلـةٍ ممهـــــونةٍ بنت ممهـــــون
أخـــاف انا اقع لي بعـــقـــرب هدامـــا
تضـحـك وهي تلدغ على الكبـد بالهـون
تـوذي عـــيـــالي بالنـزر والكلامـــا
وانـا تجـــرّعني من المرّ بصـــحـــون
والله يا لولا ذالغـــويش اليـــتـــامى
خـوفي من اسـبـابٍ عليـهم يضـيـعـون
لاقـول كل البـيض عـقـبـه حـرامـا
واصبـر كـمـا يصـبـر على الحبس مسجون
ولا ذقت عـــقـــبـــه لا طعـــامٍ ولا مـــا
ولا مـنـامٍ والخـــلايق ينـامـــون

علیـــــــه منّي كلّ يوم ســـــــلامـــــــا
عـــدةَ حـــجـيـج البـيـت واللي يطوفـــون
وصلّوا على ســيّـــد جـــمــيـع الأنامـــا
على النبي ياللي حـــضـــرتوا تصلون (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٥٦) من مجلة المختلف.

زين المعاني

شعر: مرشد البذال

قصيدة للشاعر الكويتي المعروف مرشد بن سعد البذال المتوفى سنة ١٩٩٠م ، وقد جمع فيه صنوفاً من الحكمة في قالب من جزالة الألفاظ وجودة السبك.

قـال الذي زين المعـاني قطفـهـا
أمـثـال مـبـداهـن عن الشك مـفـرود
أمـثـال عنهن قـاصـر العـرف يفـهـا
من حـيث درب العـرف طلعـات وصـعـود
لو كل من قـال المثـايل عـسـفـهـا
مـا صـار نقصٍ بـالمعـاني ولا زود
والبندق العـوجـا تجنّب هدفـهـا
لى صـار منظرها عن القطر مـصـدود
وغـاية جـمـيع الخلق مـحـدٍ عـرفـهـا
رضـا جـمـيع الخلق مـا هو بموجـود
لاشك تدّي كل نفسٍ تصـفـهـا
ترى كـلام العـدل يظهـر له شـهـود
من رابع العـاقل لنفسـه صـرفـهـا
عن تيـهـةٍ يشـقى بهـا مـا بهـا فـود
أسمح عن اللي تيـهـتـه مـاعـرفـهـا
يمكن يرد اليـا لقى الدرب مـسـدود
لومي على اللي تيـهـتـه قـبل شـفـهـا
ومن العـيـا كنّه عن الرشـد مطرود
نفسـه على شين المماشي حـذفـهـا
أصـبح ذمـيمٍ لوه من نسل مـحـمـود
لا يفـتـخـر بافـعـال ناسٍ وصـفـهـا
له الفـخـر كـانه وقف مـاقف العـود
مـاكل اجـاويدٍ تبـعـهـا خلفـهـا
لابد مـا يخلف حـمـد سيرة حـمـود

كم واحـدٍ يمّة جـدوده نسـفـهـا
علـى الشـمـال ورد مـع دربه ورود
ضـرب دروبٍ مـا نشـد عن كلفـهـا
وكـدّر سـمـاه وصـار بالجـهل مـزيود
نفسـه خطا غـيـره لعب في شـرفـهـا
أصـبـح بخـيـتٍ لابسٍ ثوب مـقـرود
كم واحـدٍ ربعـه يعـدّل عـجـفـهـا
من نشـوته صـاروا مـشـاكـيل وفـهـود
عنهم مـهـمـات الأفـاعي كـتـفـهـا
مـا حـد يجـيـهم بطش والحق مـريود
لومـى علـى راع ممـاشٍ حـرفـهـا
عن درب ابوه ودرب جـدّه هل الجـود
اقـول له دنيـا بلا مـدح عـفـهـا
ترى تلايا الجـسـم للقـاع والدود
انتم بشـر ناس تقـدّم سلفـهـا
مـرحـانهـا تسـقي خـلايا من الرود
هذي مـبـانيـهـا وهذي غـرفـهـا
بقى العـمـار وباني القـصـر مـفـقـود
وغـيـره بيـوتٍ للفـداوي رفـفـهـا
مـثل الجـبـال السـمـر والوانهـا سـود
مـحلى حـلاها عـقب سـيـرة صلفـهـا
في خـايعٍ نبـتـه لهـا ارقاب عـاصـود
كم فـيـضـةٍ زين المبـاني كنفـهـا
بيـوتهـا للخـيـل عن مـرتع الذود
قبٌّ مطاليب المقـفّي نحـفـهـا
ياما نضح منهـا العـرق نضـحـة الجـود
لى منّ كـسّـاب الزعـيـمـة خطفـهـا
صـاح الصـيـاح وجـاويه حسّ بارود
كلٌّ ركـبـهـا مـا نشـد عن كلفـهـا
جنّك علـى الداعي مـع الحـزم جلعـود

كم أبلجٍ عنه الجـبـانة كـشـفـهـا

خلى بجـيش القـوم حـاوي ومـردود

وكم أبلجٍ نفـسـه حـيـاها قـصـفـهـا

أصـبـح فـؤاد امّـه من الحـزن ملهـود

هذي سلوم اللي تقـافت صـفـفـهـا

يوم الهـوا عـدلٍ لركّـابة القـود

واليـوم ترحم حـالهـا من ضـعـفـهـا

مـا كنّهم شـيـفـوا بمرياع وعـدود

مـضـمـا البكار اللي تنفض شعـفـهـا

لـو تـاصـلـه عـيّـنت بـه ريق وهنود

قل لي عـلام الوقت هذا صـدفـهـا

واقـول لك هذا آخـر الوقت مـشـهـود

مـحـدٍ تصـاريف الزمـان اكـتـشـفـهـا

تغـيّـرت سلم على الخلق مـقـدود

دنيـاك بالقـفـلات يضـرب صلفـهـا

لمحـة بصـر مـا له سنا برق ورعـود

غـدارةٍ لو اضـحـكتك بطرفـهـا

تراك عـقب الضـحك ببكاك مـاعـود

إن أقـبلت قـامت تمشّط زلفـهـا

هنوف عـرسٍ طيـبـهـا المسك والعـود

وان ادبرت شـفـت الكدر من حـرفـهـا

تمسي تسـيـد، وتصـبح الصـبح مـسيـود (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (١١١) من مجلة المختلف.

تقاسيم الرجال وتواصيف النساء

شعر: راكان بن أميم

قصيدة تكتنز بالحكمة والنظرة الثاقبة للأمور ، وهي من فرائد هذا الشعر في تراثنا العامي لشاعر قديم لا نملك الكثير من المعلومات عنه:

أفكرت إلى نور الديار ارجـالهـا
هم نورها ، وثغورها ، وجمالها
هم سترها إلى لفوا اهل النضا
لى جنّ من فجٍّ تسوج احبالها
يثنى عليها لاجل خطو الخيّر
ويكسونها بالذمّ لاجل انذالها
إن كان هم فيها كسوها بالثنا
والاّ كسوها بالملام ارذالها
أدخل على الله من ملامة معسر
لى عاد ماله حيلةٍ يحتالها
ما يستحق الذم كود «امتلك»
تقصر يده والمرجلة ما نالها
بالناس من حط الصخا له قسمة
خذا السمين وكبّ عنه اهزالها
وبهم من خذا الراي وقفى رايح
ياما يسدّد من دروب اخمالها
وبالناس من حط الشجاعة مغنم
نعمٍ بمن يصبر على غربالها
وبالناس من حط النميمة مقسم
خذا الرذالة كلّها بحثالها
أما الشجاعة: قسمتينٍ شاعن
عليا وسفلى ، واخبرك باحوالها
القسمة العليا: شجاعٍ على العدى
يرخص ذبيل الروح عند اقتالها

والقسمة السفلى: شجاعٍ على الدنا
شلفا قصيرة في نحر نقالها
هذا فلا تجزع عليه اليا ذهب
نفسه على الرب الكريم زوالها
هذي تواصيف الرجال ابديتها
وامّا الديار اخبرك انا باحوالها
قس الديار على الوقار براحة
مستبطنٍ في جودها وخمالها
قيّس بفهمك لا تقيس بغيرك
ولا يغرّك كلمةٍ من قالها
إن كان حكّام الديار فهودها
واسودها ، واكبارها عقالها
فلا تبدّلها بمنزل غيرها
العزّ تهيا له وهو يهيا لها
وان كان حكّام الديار قرودها
ونجوسها ، واخساسها عقالها
اقول بدّلها بمنزل غيرها
ولا تسبّع في يدي نزّالها
دع ذا وقافيها ثلاثة خصايل
خصايلٍ يمدح بها فعّالها
الأوّلة: فكّة ذويد الصاحب
من الحفيف وصايرٍ عقّالها
والثانية: توجيهته في كلّ زلّة
طمرتها واقفى بها من جالها
والثالثة: عزٌ لجارٍ نازل
ولو عياله مكثرين خمالها
هذي تقاسيم الرجال افهم لها
واما الحريم انا اخبرك باشكالها
منهن: دالهة الفواد مطيعة
وجهٍ سميحٍ دلّها ودلالها

ومنهن: عــذرا عن الدنس مــحــمــيّــة
عند المحــاضــر يقلطون رجــالهــا
ومنهن: مــصــبــاح البــيــوت عــفــيــفــة
زينٍ على عــقــلٍ وصــار حــلالهــا
ومنهن: عــفــرا زينةٍ مــشــهــورة
مــاقت ونادى زينهــا لخــمــالهــا
ومنهن: مكملة العــبــاة برجلهــا
تعــدي ومــرٍ بالحكي يعــدا لهــا
ومنهن: فــاقــعــة النظر لغــويّة
مــخلوقــةٍ من «لا» وخلقــة لالهــا
ومنهن: عــوبا شــيــنةٍ ملويّة
قطه بشــوف اقــفــايهــا واقــبــالهــا
ومنهن: دويــبــقــة فــويرة منزل
تخشّ عند الناس قــوت عــيــالهــا
إخــتــر على مــا لاق لك يالســامــع
ومن هو برك للحــمل شــال اثقــالهــا
والخــتــم صلوا للنبي ياللي حــضــر
عــدّ النبــات وعــدّ وبل خــيــالهــا (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٢٣) من مجلة المختلف.

الدار

شعر: فهد بورسلي

قصيدة للشاعر الكويتي فهد بن راشد بورسلي المتوفي سنة ١٩٦٠م ، وفيها يتوجه بالعتاب إلى الوطن الذي يظل القلب الحنون على أبنائه مهما قست الظروف.

الدار جارت ما عليها شافه
والحر فيها شايفٍ ما عافه

بالك تكاثر صدها وان صدت
عاداتها عقب القبول نكافة

دارٍ لغير عيالها مشكورة
والا ابنها تلعن أبو أسلافه

دارٍ يعيش بها الغريب متعم
وتعيش فيها (أم أحمد العكافة)

دارٍ أوصفها عجوز شمطا
همازةٍ مناعةٍ حلافة

تغذي عيال الناس وتداويهم
وعيالها لعيونهم خطافة

آسف على الطيب تردى حاله
والا الردي ما من عليه حسافة

مثل الحمامة فرخها بالبيضة
وعند طيرانه تنكره وتعافه

ما دامنا شتى بفلكٍ واحد
ذاب الشراع وضاعت الغرافة

هذا جزانا.. زين سوت فينا
خل الغرق ما يوهل النزافة

نصبر غصب او طيب.. هذي قسمة
لو نلحس التمرة ورا الخصافة

أنا اعرفها زين ما استنكرها
اللي يوصفها تضيع اوصافه

هـذي «عــــذاري» الجـــار مـــا ينكرهـا
تسـقـي البـعـــيـد ولا تـرشَ الحــافــة
حنَا تقـــاطعنـا وشلنـا نفـــوسنـا
والـزود خـــلأنـا عـلـى مــــيـهـــافـه
والحــسـد والـبـغـضـا وقلّ الرحــمــة
مـــا واحــدٍ منَا ســعـى بـانـصـــافــه
نجـنـي الـثـمـــــر من كلّ عـلـمٍ وافي
ولا نجـنـي الـثـمـرة من الـصـفـصـافـة
مـن داخـل الـداخـل وبار بـجـنـســـه
كلٌ على اكـتـافـه يشـيـل احـتـافـه (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٧٦) من مجلة المختلف.

يا عين

شعر: عبدالله بن سبيل

هو الشاعر عبدالله بن حمود بن بن سعد بن سبيّل الباهلي، ولد في «نفي» وتولى إمارتها أيام الملك عبدالعزيز حتى وفاته سنة ١٣٥٢هـ ، ويعد واحداً من أشهر شعراء النبط وأكثرهم حضوراً في الذاكرة الشعبية.

وفي هذه القصيدة يتوجد ابن سبيل على العشائر البدوية التي كانت تجاور «نفي» حين رحيلها عنهم أيام الربيع للبحث عن المراعي المعشبة، وهي من أورع قصائده.

يا عين وين احبابك اللي تودّين
اللي إلى طاب الوطن ربّعوا به
أهل البيوت اللي على الجو طوفين
عدْ خلا ما كنْهم وقّفوا به
منزالهم تذري عليه المعاطين
تذري عليه من الذواري هبوبه
عهدي بهم باقي من السبع ثنتين
قبل الشتا والقيظ زلّ امحسوبه
قلّت جهامتهم من الجوّ قسمين
الزمل حدّر والظعن سنّدوا به
يبغون مصفارٍ من النير ويمين
الله لا يجزي طروشٍ حكوا به
قالوا من الوسمي نباته الى الحين
ومن تالي الكنّة تملّت دعوبه
شيّالة الكايد على العسر واللين
والى وطاهم موجبٍ رحّبوا به
زاد الشتا معهم بليّا مواعين
وان شافوا الضيف المطرّف عدوا به
والى تريّض يذبحون الخرافين
ومن زاد بيت الله تفرّش عصوبه

والى عطوا يعطون روس البــعــارين

وان فـات منهم شيّ مـا حـسَـبوا به

يربون مـالٍ فـاخـتـتـه الحــوارين

يشــدي تراطين العــجم يوم جــو به

والى تعلَوا فــوق مــثل الشـيــاهين

صـاروا على بعض القبــايل عـقـوبة

لى تلهــا الراكب غــدا الحــبل ثنوين

مــثل المعــشّــر راسـهــا عند ثوبه

عــقب النكايف كنَهنّ الســراحين

مــا قـيل يسـعل قـينهـا وانظروا به

وان قـــيل عند اقطيّــهن يا هل الدين

فــالمرمس اللي من قــديمٍ دعــوا به

ردَوا عليــهم ردةٍ تعــجب العين

كلٍّ يبـا النومـاس قـدم امـحــبوبه

هـذا طـريـح وذا شـنـيـع الأكـــاوين

واللي تعـدّته الســهــوم ارجلوا به

ولحـــدودهم بمطرّق الحــد حــامين

وقبٌ تبــدأ في برايـر كـــســوبه

كم عــزلوا ذيدان بدوٍ عـــزيـزين

لو مـــالهم سـبَـارهم وارثعــوا به

ولحـقـوا بعــيـدين المساريح عجلين

وقـالوا لرعـيـان الأخــيـد: ابشروا به

وتوقـفــوا مــثل المظاهـيـر مـرزين

بالماقف اللي بايعــوا واشــتـروا به (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩١) من مجلة المختلف.

من حاير

شعر: عبدالله بن ربيعة

من قصائد ابن ربيعة في الشكوى من فراق أسرته المقيمة في الكويت ، و«عبدالله بن محمد الربيعة» شاعر معروف من شعراء الطبقةالأولى في التاريخ النبطي ، وهو من أسرة آل وطبان أبنا ء عم آل سعود ، وقد توفي في بلدة الزبير سنة ١٢٧٣هـ ، وكان من المعاصرين لابن لعبون وبينهما جرت بعض الرديات، ويقوم الزميل إبراهيم الخالدي حالياً بتحقيق ديوان ابن ربيعة تمهيداً لنشره:

من حايرٍ ياوي عدوّه لحاله
بين الجلا والعسر والكبر وعيال

متسمّتٍ يوري الجلد والجمالة
ومسمّرٍ بين التماني و الآمال

عن هاجسه والزود قصرت حباله
بايع حياته من قسا الوقت بخلال

هذي ثلاث سنين ما انساح باله
مهما شبا جرف الرجا طاح بالجال

يطنا و مهما شاف لجّة عياله
ذبّ الطنا من هامة الراس بنعال

يتلي الظعن حافي ولا له زمالة
وا شيب عينينه إلى سرّب الـلال

يا مبلغٍ ريف المقاوي رسالة
مضمونها: بانخاك يا حامي التال

يا ولد من كلٍّ قصر عن فعاله
ما مات من خلف لنا شبل الاشبال

ما انت بـ صغير السن بك قول ذا له
أويّ والله يا هل الخيل خيّال

يذكر فريد ذابه الدهر، ماله
عونٍ سوى الله ثمّ رجواك خيال

رجوى الحوالة كلّفتنا جمالة
العام من شوال لي دور شوال

بين الكويت وبين نازح شماله
حفيت ركابي بين الاقفا والاقبال
يالخال شوفات القطيعة جرى له
تقطع رحمك بشور من لا لهم تال
جالي شمال وجيت أرجى نواله
خالك لقى بطوالة الخيل خيال
حاشاك يا من ريف عيني نواله
تبيعني في راي حاسد وعذال
كان النزيل بساحتك له نزالة
إلى شبا سلم صعد عالي العال
بين الرحم بين اللحم و الثنا له
متوسّطٍ ما لك على الخال مدخال
لاين بشهلولٍ عن الضيم جاله
ريف وذرى من للثقيلات حمّال
عندي إلى كلٌ ترهّى بماله
ذخيرتي «فيصل» إلى كمّل المال
واسلم ودم وختامها بالجمالة
بس الثنا يبقى وما شفت زوال (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٧٦) من مجلة المختلف.

الله يسقي داركم

شعر: راكان بن حثلين

هو الشيخ راكان بن فلاح بن مانع آل حثلين شيخ قبيلة العجمان المشهور (سبقت ترجمته في الفصل الأول)، وهذه إحدى قصائده التي قالها في منفاه بتركيا:

يالله يا علاّم كاين وما كان
يا واحدٍ كلّ امته يرتجونه
تفرج لمن هو بين الاتراك منهان
من غبن قاصر دارهم لي مهونة
ودّي بشوف ديار مروين الاسنان
أهل الشهامة والوفا والمعونة
أفعالهم ما هيب زورٍ وبهتان
فعلٍ شهيرٍ والعرب يذكرونه
الله يسقي داركم يا «عجيّان»
وبلٍ من المنشا تكاشف مزونه
أسود عريضٍ ريّضٍ له تحنحان
كنّ الهنادي سلّله في ركونه
من حومة النقيان لي حدّ صوّان
تسبل هماليه ويسودّ لونه
ويسقي من العرفا ليا جوّ سوقان
والصلب حيث ان لابتي يدهلونه
ديرة بني عمٍّ على الخيل فرسان
والضيف لي جا دارهم يكرمونه
حامينها بقديميٍ صنع نجران
شلاّعٍ ما يبرنّ الاطباب كونه
وحدبٍ تقصّ الراس من حدّ الامتان
يقضي بها الديّان باقي ديونه
بايمان القوم لي احتمى الهوش فرسان
والضدّ لو هو نازحٍ ياصلونه

جـــلابـةٍ للـروح لـى ثـار دخَـــان
والـروح لـوّه غـــالي يـرخـــصـــونـه

كم شـــيـخ قـــوم طـوّحـــوا بـه بـالايمان
خـلـوه مـن المـيـــدان يـطـرخ زبـونـه

ومـن زان حـنـًا لـه عـلـى الـزيـن خـــلاّن
يـامـن وحـنّا بـالـعــهـــد مـا نـخــونـه

ولـيـــا نـوانـا بـالـقـــوامـــات خــمـــران
يـبطي سـهـيـرٍ مـا تـغـمّض عـيـونـه

وصـــلاة ربّي عـــدّ هـتّـــاف الامـــزان
لمحـمّـد اللي منهجـه يـتـبـعـونـه (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٧٧) من مجلة المختلف.

باب المودّة

شعر: محمد العرفج

تعد هذه القصيدة من عيون شعر الغزل في تراثنا النبطي ، وهي تمتاز بسهولة ألفاظها وعذوبة أحاسيسها، وشاعرها تولى حكم بريدة عدة مرات آخرها كان سنة ١٢٤٣هـ كما عيّن أميراً على الجوف ، وله مراسلات شعرية مع شعراء من أمثال ابن ربيعة والقاضي ، وقد قتل أمام بيته سنة ١٢٥٧هـ:

يا مَلّ قلبٍ بيّح الولف سدّه
وان جيت اسلّي خاطري ما تهيّا
شاب الهوى وانحلّ جسمي وهدّه
بيّنتني لعداي واشمتّ فيّا
يا قلب ياللي شيّب الراس حدّه
بالك تكون لمن جفاك ارقبيّا
يا قلب من قاضى جميلك بصدّه
لا تقبله لو كان حسن التزيّا
عن ذاك باب الوصل يا قلب سدّه
شم للعلا واشمخ لنجم الثريا
الصاحب اللي هجّ باب المودّة
لك ما صفا لحذاك يا قلب عيّا
سلطان حور الدور انا ان قلت خدّه
بدرٍ تجلّى.. ما زرى احدٍ عليّا
ضافي الجعد. غض النهد. يوم اشدّه
غصنٍ تدلّى وانهصر في يديّا
ما لي فدا له لو لي اموال جدّه
حيثه لي الجا من حدا والديّه
وان غاب عنّي يزاد حالي بودّه
الاعي الورقا ونومي شويّا
وافي حشاه انسان شدّ الأشدّة
وسلاّني عن رفقة أخو كلّ حيّا

لالا وربّ البـــيت مـــا ريت قـــدّه

والزين من عـذب الثـمـان اشـرفـيّـا

إن نقض مـــجـدوله وكـــدّه وردّه

واقـبل يغطرف لي بهـون وغـيّـا

شدّيت وسطه والتـوى عند حـدّه

وارويت من سكْر نباته ضـمـيّـا

وادعـيت خـدّه مـا ينول المخـدة

ومن السكر بي ما عن الله كـمـيّـا

لولا نهـيـده شـدّ ثوبه وقـدّه

ومـحـيـزم بالوسط زاويه زيّا

مع مـبـسمٍ ولعـيـستين بخـدّه

واذبيلتين كـان انا اقـول: ذيّا

عـفـرٍ غـريب الدلّ مـجـمـول بدّه

غـروٍ على زمّـة شـبـابه ظبـيّـا

أرجي من اللي ترجي الناس مـدّه

مـحـيي النمـا بالما رجا كلّ حـيّـا

يجـعل صـفـاة قلوبنا مـجـرهدة

يا واحـدٍ ترجي بلطفك خـفـيّـا (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٠٠) من مجلة المختلف.

القلوب الهبايل

شعر: عليا الهلالية

بينما كان أبو زيد الهلالي يقاتل البربر في المغرب العربي.. وصلت لزوجته عليا «إخباريَّة ما» أثارت غيرتها (!!) فأرسلت اليه هذه القصيدة تعاتبه:

يا ركب ياللي من عـقـيـلٍ تقللوا
على ضـمّـرٍ شـروى الحنايا نحـايل
ابا اوصيكم وصاةٍ مـا تثـقّل ركـابكم
خـفـيـفـة على راعي الثنا والجمـايل
واليـا لفـيـتـوا لاهلكم عـقب غـربة
متـغـبّطين في بطون الحـلايل
فـقـولوا لبـو زيد ان بغـاني بغـيـتـه
وان دوّر البـدلا لقـيـنا البـدايل
كم من رجـوس الحـجل تبلى بعـاقـه
وكم عـاقـةٍ تبلى بوافي الخـصـايل
انجـبـت أخـضـر مـا يزرّز ثيـابه
هبـيل يلعب بالقلوب الهـبـايل
والله لولا البـحـر بيني وبينه
جـيـتـه على وضحى من الهـجن حـايل
ابا زيد غـرّات الصـبـا لا تغـرّك
ترى الهـجن خـيـرٍ بالسـرى والقـوايل
بالشـتـا دورٍ من الهـجن سـمـرغـيـة
وبالقـيظ دورٍ من كـبـار الشـمـايل
غـزاليّـة المقدم جـمـاليّـة القـفـا
عليكم بهـا ياراكـبـين الرحـايل
أبا زيد لو انّ النسـا تـركب النضـا
جـيـتك على وجنا من الهـجن حـايل
لكن صـريخ الكور حـدري وفـوقـهـا
صـريخ القطا في مـحـكمـات الحـبـايل

أبازيد.. تنســـاني وتنسى جــمـــايلي
الله واكـــبـــر يا نكور الجـــمـــايل

نســيت يوم ان عـــرقـــات الارطى بيننا
يوم ان جـــعــدي فــوق مــتنيك مـايل

أبـا زيـد.. تـنـمـى يـوم تـرشـح لـذبَـلـي
كــمــا يرشح العطشـــان باقي البــلايل

قـــولوا لابا زيدٍ.. ترى الـوادي امــتــلا
وكـل وادي من عـــــلاويـه ســـــايـل

يبـيـعـون مـا باعـوا ويشـرون مـا شـروا
ولا غبن الا بـالـنـضـــا والحـــلايـل (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٤٨) من مجلة المختلف.

ست كلمات

شعر : بخوت المرية

شاعرة مازال تاريخ الشعر النبطي يحفظ كلماتها العذبة، وهذه إحدى قصائدها التي حصلت عليها «المختلف» ونشرتها لأول مرة:

إسـمحـوا لي يا مـحـمّـد على ست اكلمـات
ذا كـلامٍ فـاضيٍ واسـتـحي لا طوّله

يا مـحـمـد مـا الأناثي بكفـو مـعـامـلات
قـولهـن لا هوب يصـمـل ولا ينردّ له

راكب اللي في سمـا الجـو تمشي بحـركـات
صـوتهـا من سـرعـهـا من وراها تنقله

روّحت وقت الضحـي منِ مـحلّ الطايرات
وخطرت راع الهـجن مـارحٍ في منزله

وخطرت ركّـابة الدوج من دون ادمـوات
ومـرّت الصلب الحـمـر والفـريّق باسـفله

داربٍ سـوّاقـهـا مـا يحسّب للممـات
وغلقت خمس الدقـايق على الطالب هله

وهذه أيضاً إحدى قصائد بخوت تخاطب فيها جماعتها، وتصف حالها وكيف تقضي العيد وهي بعيدة عنهم بعد زواجها:

يا جـمـاعـة وان نويتـوا علي أنكم راحلين
غـمـغـموني عن مظاهيـركم لا شـوفـهـا

كنّ في صـدري سنا ضـوّ ريع نازلين
ولّعـوها بالخـلا والهـبـوب تلوفـهـا

ولّ عـودٍ لاش رحـمـة، ولا قلبٍ يلين
علّ ذودك في نحـر قـوم وانت تشـوفـهـا

عـيّدوا بي بالخـلا، والفـريق مـعـيّدين
وكلّ عـذراً انقشت بالخـضـاب كـفـوفـهـا

مـا يقـرّب دارهم كـود صنع الذاهبين
كـود حـمـراً عـزمـهـا من صـفـاة بلوفـهـا

كن حنين الويل يشـبـه لخـفـَات القطين
لوّ نوله بالقـدم مع طمـان جـروفـهـا (×)

(×) نشرت القصيدة الأولى في العدد (٨٥) من مجلة المختلف بينما نشرت القصيدة الثانية في العدد(٥٦) من المجلة.

ظليت أخايل

شعر: عديمه الخراصية

من قصائد الحب النسائية الجميلة في تراثنا النبطي هذا النص:

عـــديت بالطايل وظليت أخـــايل
ولجَــيت مــايل لين فـيّ مــعي مــال
وجــدى عليـــهم وجــد راعي شــوايل
خلّي خـــلاف الجـــيش والدم وشّـــال
من كف شـــفــمـــوم على وسق حـايل
لعـيـون من قــرنه على مــحــزمــه مال
الله على حـــرٍ سـبـــوق الشـــلايل
حـــرٍ يقطّع راكـبــه زامي الجـــال
الحق عـــشـــيـــرٍ حط فيَ الغـــلايل
والا انّ باقي الحيَ مــا حــسّوا البـــال (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٨١) من مجلة المختلف.

الحب الأقشر

شعر: صالحة العبسانية

كانت للشاعرة صالحة العبسانية أخ شاب يدعى غازي لاحظت عليه أمارات العشق، وكانت كثيراً ما تنهاه وتحذره أن يقلد السفهاء وتحثه على مكارم الأخلاق، وفي يوم من الأيام سمعته ينشد هذه الأبيات:

يا مـرحـبـا باللي على بيـتـنا مـر
ورد الـسـلام ولا مـعـي منه حـيلة
يا مـرحـبـا عـدة حـصـا كـشب واكـثـر
وعـدة جـراد طاير من مـقـيله
يا حلو زوله يوم لبس المشـجـر
ياطا بمصـبـوب القـدم في شليله

فردت عليه أخته «صالحة» بهذه النصيحة:

أنهـاك يا غـازي عن الحب الاقـشـر
أنهـاك عن درب الهـوى وتغـدي له
راعي الهـوى يامـال جـوع المجـدر
ترى الهـوى مـا هو خطاة الخليلة
ترى الهـوى حـسك وبر حلوة الدر
لى بركت حـيـرانهن بالسليلة
وترى الهـوى عـزم الركـايب الى مـر
عن بيت خـمع مـا ينشط مـقـيله
خل الشـحم والسـمن للربع يكـثـر
مع منسف دافي عليـهم تشـيله
من حـينا والا فـضين المتـجـر
عطهم ثمنهم نقـد والا بحـيلة
مـا هيب بنت اللي نعـوله لهن كـر
اللي على مـتـنه تديفق صـمـيله (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٨٥) من مجلة المختلف.

الفصل الخامس:
رحالة

(ترتيب الشخصيات حسب زمن الرحلة الأقدم فالأحدث)

رحلة ناصر خسرو إلى الجزيرة العربية

ناصر خسرو القبادياني شاعر ومفكر فارسي عاش قبل ألف عام تقريباً في الفترة (٣٩٤هـ - ٤٨١هـ)، وينتسب إلى أسرة فارسية عريقة وعاش شبابه مرفهاً في بلاط السلطان الغزنوي، وعمل في دواوين البلاط ثم جاءته لحظة تحول فيها فزهد عما كان فيه من ترف وقرر أن يحج إلى بيت الله الحرام ويغير حياته بالمرة.

رحلة الحج هذه كانت مفتاح الرحلة التي صارت بين أيدينا بعد أن نشرتها جامعة الملك سعود بالرياض بترجمة د.أحمد البدلي، واستمرت سبع سنوات وفيها تصوير لواقع الدولة الإسلامية المفككة وقتئذ بين السلاجقة والعباسيين في بغداد والفاطميين في مصر والإمارات الصغيرة في الشام وجزيرة العرب، وكتب ناصر خسرو عن كل ذلك من واقع ثقافته وأهوائه التي كانت تميل للفاطميين مذهبياً.

في بداية رحلته عبر ناصر خسرو بلاد فارس وشمالي العراق ليصل إلى بلاد الشام، وكان أهم ما حدث له فيها التقاؤه سنة ٤٣٨هـ بالشاعر أبي العلاء المعري الذي كان رئيس مدينة المعرة فقال عنه: «هو غني جداً وله عبيد وعمال كثيرون يأتمرون بأمره وكل سكان المدينة في خدمته ورهن إشارته. وقد اختار طريق الزهد فكان يلبس الملابس الصوفية الخشنة وهو رهين منزله».

ومن المعرة ينتقل ناصر خسرو إلى بقية بلاد الشام فيمر بحماة وطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وصور وعكا وطبريا وحيفا حتى وصل إلى بيت المقدس فأكثر من وصفها وذكر فضائلها ومشاهدها، وبعد ذلك حج حجته الأولى التي ذكرها باختصار ثم ذهب إلى مصر حيث دولة الفاطميين، فأسرف في الوصف حتى استطاع تقديم وثيقة تاريخية عن مصر في تلك الفترة.

وخلال وجوده في مصر حج ناصر خسرو عدة مرات، وما يهمنا هنا هو وصفه لجزيرة العرب التي مر بها في نهاية حجته الرابعة عائداً إلى بلاده الفارسية.

يصف الطائف في زمنه فيقول: «أنها أكبر من القرية ودون المدينة ولها سور محكم وسويقة صغيرة وجامع متوسط الحجم، ومياه الطائف غزيرة وتكثر في المدينة أشجار الرمان والتين».

ومن الطائف خرج خسرو في طريق جبلية فمر بحصن المطار ثم موضع يسمى الثريا فيه نخل كثير وشيء من الزراعة، ومن الثريا توجه الركب إلى الجزع ثم حصن

بني نسير، وهناك التقى رحالتنا بشيخ قبيلة قام بحمايتهم يدعى أبي غانم عبس بن البصير وهو شيخ قبيلة تسمى «بني سواد» ، وظل الركب يتنقّل من حماية أعراب إلى آخرين للتمكن من المرور بأراضي القبائل المختلفة حتى وصلوا إلى الأفلاج.

قبل ذلك كان الرحالة قد استغرب من أكل مرافقيه البدو للحم الضب وشرب ألبان الجمال فيقول: «أما أنا فلم أستطع أكل الضباب ولا شرب ألبان الإبل، فكل طعامنا لعدة أيام في هذه البادية هو شجرة مصيفة تنبت في الصحراء، لها حب يشبه حب القمح وتسمى حب القلت».

رسم ناصر خسرو صورة محزنة عن الأفلاج في زمنه فقد بدت كأطلال خربتها العصبيات القبلية، والزراعة لديهم ليست كثيرة وسكانها في غاية الفقر إلا أنه امتدح تمرها التي لم ير ما يدانيه حتى في البصرة، ووصف نوعاً ضخماً من التمر يسمى «ميدون» تزن التمرة الواحدة عشرة دراهم، وأهل الأفلاج يزعمون أن هذا النوع لو خزن عشرين عاماً فإنه لا يفسد او يتغير لونه أو طعمه.

من الأفلاج توجه ناصر خسرو إلى اليمامة (من ضواحي الرياض حالياً) فقال: أن لها سور عظيم حصين تبدو عليه آثار القدم، وخارج السور مدينة وسوق فيه كل أنواع الصناعات وللمدينة مسجد عظيم، والمياه الوفيرة في اليمامة وتكثر أشجار النخيل حتى يباع الألف منّ من التمر بدينار واحد.

بعد اليمامة انطلق شرقاً إلى الأحساء التي قال أنها مدينة ذات أربعة أسوار عظيمة كل واحد يحيط بالآخر في شبه دائرة كاملة، وعدد جيشها أكثر من عشرين ألف جندي، ورأى في الأحساء مطاحن للدقيق تتولى طحن غلال السكان دون ثمن.

وكانت زيارة ناصر خسرو للأحساء أبان حكم القرامطة فيها، ولذلك نجده يعيب معتقداتهم، ويقول أنه يوجد في الأحساء لحوم كل الحيوانات كالقطط والكلاب والحمير والبقر والغنم ، وكل نوع من اللحم يشترطون على بائعه أن يضع رأس الحيوان إلى جانبه حتى يعرف الشاري نوعه، وهم يسمنون الكلاب مثلما يعلفون الغنم حتى تصبح عاجزة عن المشي من كثرة الشحم واللحم ثم يذبحونها ويأكلونها.

بعد الأحساء توجه ناصر خسرو بحراً إلى مدينة البحرين (المنامة حالياً) فقال: «أنها مدينة عامرة كبيرة وبها نخل كثير ولؤلؤ»، ثم توجه إلى القطيف ثم البصرة حتى عاد إلى بلاده سنة ٤٤٣هـ. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٥) من مجلة المختلف.

تقرير كنيب هاوزن عن الكويت

في عام ١٧٥٤م وبينما كانت الكويت في بدايات تأسيسها كتب رئيس المقيمية الهولندية في جزيرة خارج «تتبع إيران حالياً» السيد فون كنيب هاوزن تقريراً لدولته يصف فيه سواحل الخليج العربي وسكانه في ذلك الوقت.

وتقرير كنيب هاوزن الذي لم يطبع حتى الآن وترجمته عايدة خوري يقدم معلومات نادرة عن طبيعة الخليج العربي في ذلك الوقت ، ويتحدث بتفصيل عن الإمارات العربية التي كانت تقوم على الساحل الإيراني من الخليج وخاصة الهولة، ولكن ما يهمنا هو ما يحتويه من معلومات عن الساحل العربي، فيتحدث عن جزيرة فيلكا الصغيرة ومنها يصل إلى شواطئ القرين التي يقيم بها قبيلة «العتوب».

ومعروف أن القرين هي الكويت الحالية ، والعتوب هم آل صباح وآل خليفة والجلاهمة وغيرهم، ويتحدث التقرير عن سكان القرين قائلاً:

«يعتمد هؤلاء على شيخ الصحراء، حيث يدفعون له ضريبة صغيرة يومياً ، وفي حوزتهم ثلاثمائة مركب إلا أن معظمها صغير يستخدمونها للغوص وصيد اللؤلؤ فقط إلا في موسم صيد السمك الكبير حيث يستخدمونها لذلك أيضاً، ويعتبر الغوص وصيد اللؤلؤ المصدر الوحيد لدخلهم، وهم يعدون أربعة آلاف رجل قوي، وجميعهم تقريباً لديهم سيوف ودروع، ولكن قلما لديهم بنادق يدوية فهم لا يعرفون كيف يستخدمونها».

ثم يتحدث كنيب هاوزن عن خلافات أهل القرين مع الهولة، ويعطينا معلومة لا تقدر بثمن عن طبيعة الحكم في تلك الفترة عندما يؤكد أن القرين يحكمها «عدد من الشيوخ الذين يعيشون معاً متحدين أهمهم مبارك بن صباح ولكنه ما يزال حديث السن وفقيراً، وهناك شخص يدعى محمد بن خليفة وهو غني ويمتلك عدة مراكب كما أنه يحظى باحترام كبير من قبل شعب قبائله».

وهذه المعلومة حول مبارك بن صباح لم ترد في تواريخ الكويت وتفيد بأن مبارك بن صباح الأول أخو الشيخ عبدالله الأول بن صباح هو الذي حكم الكويت بعد أبيه وقبل عبدالله الأول، ولم يذكر سابقاً في التواريخ الكويتية أن مباركاً حكم الكويت!!

وعن ملامح الكويت يقول كنيب هاوزن أنه: «فوق القرين نجد حصناً مدمراً قد بناه البرتغاليون قبل وصولنا» وهذه معلومة مهمة أخرى حول «الكوت» الذي سميت

به الكويت، وهو يذكر أنه رآه مدمراً سنة ١٧٥٤م، ويضيف أن البرتغال هم من بنوه بخلاف الشائع من أن بناته هم بنو خالد، ولعل الأمر اختلط على كنيب هاوزن أو أنه يكشف النقاب عن مسألة تتوجب التيقن لإثباتها.

بعد الكويت يتوجه كنيب هاوزن إلى القطيف، ويذكر أن المسافة بينهما تخلو من أي أثر للبناء، وفي القطيف يعود للحديث عن صيد اللؤلؤ وبعض التعاملات التجارية مع نجد والأحساء ويصف سكان القطيف بالمسالمة إذ يعمل نصفهم بالغوص والبقية بالزراعة.

بين القطيف وصور في عمان يتحدث كنيب هاوزن بشيء من الإيجاز عن صحار والشارقة وشيخ القواسم «رحمة» وقبيلة «الزعابي»، ومن هناك ينطلق إلى مسقط التي يصفها بأنها معروفة جيداً لدى الأوربيين ويخبر عن تجارة أهلها وامتلاك إمامها لحصن ممباسا البرتغالي في ساحل أفريقيا.

هذه بعض الملامح من تقرير الهولندي كنيب هاوزن عن منطقة الخليج سنة ١٧٥٤هـ والذي ظل محفوظاً بالأرشيف الهولندي طوال هذه المدة ولم يطلع عليه إلا القليلون، ولاشك أن المعلومات القليلة التي يحتويها ستساهم في فهم أكبر لماضي الخليج العربي. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٠) من مجلة المختلف.

رحلة رينود إلى الأحساء والدرعية

كان الدكتور الألماني سيتزن مقيماً في حلب في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي عندما رغب في التعرف عن أحوال الجزيرة العربية وإمكانية قيامه برحلة إلى قلبها مدينة «الدرعية» في نجد، فكان أن أرسل له صديقه الإنجليزي المستر رينود الذي عايش الجزيرة العربية لفترات متقطعة حيث رافق المقيم الإنجليزي في البصرة خلال إقامته في الكويت (القرين) لمدة ثلاث سنوات هذه الرسالة التعريفية المؤرخة في ٢ إبريل ١٨٠٥م (الموافق ليوم الثلاثاء الثاني من محرم سنة ١٢٢٠هـ)، وقد نشرت في حينها بمجلة «أخبار شهرية» الألمانية في عددها الصادر في شهر سبتمبر سنة ١٨٠٥م أي بعد أشهر قليلة من كتابتها.

وفيما يلي نص ترجمة المؤرخ أحمد أبو حاكمة لتلك الرسالة الموجهة من المستر رينود الإنجليزي لصديقه الدكتور سيتزن (بتصرف قليل):

●●●

«بكثير من السرور أقدم إليكم بعض الأخبار عن أجزاء من جزيرة العرب الصحراوية التي زرتها وأقمت فيها بعض الوقت خلال مدة عشر سنوات إلا أنني أخشى مع الأسف أن لا ترضيكم أخباري كل الرضا لأن انصرافي إلى أعمال من نوع آخر لم تسمح لي بتكريس وقتي وانتباهي بصورة خاصة إلى الموضوعات الأدبية والجغرافية.

وبالنسبة إلى مشروعكم في زيارة هذا الجزء المعروف قليلاً من الكرة الأرضية ألاحظ قبل كل شيء أن الصعوبات والأخطار للوصول إلى (الدرعية) لا يمكن التغلب عليها دون مساعدة وحماية المستر «مانيستي» المقيم الإنجليزي في البصرة، ولذلك فإنني أنصحكم إذا كنتم مصممين على زيارة تلك الأماكن الموحشة أن تذهبوا أولاً إلى البصرة وأن تعتمدوا كلياً على توجيهات المقيم هناك، فإنه سوف يزودكم برسائل توصية إلى شيوخ الأماكن التي تقودكم الرحلة إليها كما أنه في الوقت نفسه سوف يدبر مرافقاً موثوقاً يرشدكم في تلك الأرجاء غير المأمونة التي ليس فيها طرق.

كانت طريق رحلتي في تلك الأرجاء كما يلي:

لقد سافرت في زورق مكشوف يخص عرب (بني عتبة) إلى جزيرة البحرين ثم وصلت من هنالك إلى القطيف، وهي بلدة صغيرة تبعد ما يقارب ٢٠٠ ميلاً عن

القرين (الكويت حالياً)، وتنتج البحرين كمية قليلة من التمور الممتازة ، ولكن الجزيرة تسترعي الإهتمام قبل كل شيء، بسبب صيد اللؤلؤ الذي يملكه عرب بني عتبة، والصناعة الوحيدة في البحرين تقتصر على نسيج رفيع من وبر الإبل الأسود يستعمل للثياب التي تطرز بالذهب عند الكتفين (يقصد البشوت).

أما المدينة نفسها فإنها متواضعة مبنية كلها بالطين، ويوجد فيها بكميات كبيرة نوع من السمك المسطح الممتاز يطلق عليه بالعربية إسم (الزبيدي)، وهذا النوع من الأسماك غير معروف بالمرة في أوربا، ولم أصادف مثله في أي مكان سوى بومباي.

إن القطيف مدينة بحرية وقد بنيت أيضاً بشكل متواضع مثل البحرين والقرين ، وهناك قناة صالحة للملاحة بين البحرين والقطيف ولكن لا يمر منها سوى السفن التي تعمل في الخليج العربي، وكذلك فإن جميع السفن الأوربية لا تقف إلا على الشاطئ الشرقي من الخليج (الجانب الإيراني) لأن البحارة الأوربيين لا يعرفون إلا القليل عن الشواطئ الغربية، والسفن العربية التي تسمى بلغة البلاد جدايات (كذا ولعله يريد الجلابيت) عبارة عن زوارق لها صاري واحد وحمولتها من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ طن.

يستخدم في صيد اللؤلؤ في البحرين والزبارة والقطيف والقرين نحو ٧٠٠ زورق تنصرف كلها إلى هذا العمل، وهذه التجارة وحدها تقدم ربحاً سنوياً يبلغ مليوناً ونصف المليون من القروش، وعدد سكان هذه الأمكنة يقدر بستين ألف نسمة معظمهم من المسلمين الذين يراعون شعائر الدين.

ليس في القطيف سوى عدد قليل من المساجد، والأراضي المحيطة عبارة عن صحراء تتكون في الغالب من رمال فقط، وقد سافرت من القطيف إلى الأحساء التي تقع في صحراء رملية وتبعد عن المكان الأول ما يقارب رحلة سبعة أيام، وإن الأحساء مدينة صغيرة ولكنها غنية بأبقارها الممتازة ، وكذلك الخيل في هذه المدينة تمتاز بالجمال والسرعة الفائقة إلا أنها لا يكاد يزيد ارتفاعها على ١٤-١٥ قبضة (كل قبضة تساوي ٤ إنشات).

كانت الأحساء قبلاً تحت سيطرة (بني خالد) والمدينة نفسها ليست أكبر من القطيف، وكل أعمالها الصناعية تقتصر على نوع من نسيج وبر الإبل، وكثيراً ما تتعرض الأحساء إلى نقص مياه الشرب إذ ليس هناك من نهر بالقرب منها، ولأن السكان مضطرون إلى تأمين هذه الحاجة من بعض الآبار فقط التي تحتوي على ماء مستنقعي.

أما الرحلة من الأحساء إلى الدرعية فهي ثمانية أيام أخرى، والطريق كلها عبارة عن صحراء رملية لا تنبت فيها إلا بعض الأعشاب أحياناً .

والدرعية مدينة صغيرة ولكنها جميلة البناء على طراز عربي كما أن موقعها يجعل الإقامة فيها صحية تماماً، وتحيط بالمدينة عدة تلال مزروعة وهناك نهر صغير يروي المنطقة كلها (لعله رأي سيل الوادي في موسم الأمطار فحسبه نهراً) ، ويمكن أن نجد هنا بعض الفواكه مثل العنب والتين وغير ذلك إلا أن هذه الفواكه جميعها حسبما علمت تلتهم من السكان قبل أن تنضج، والمسلمون القاطنون في هذه النواحي بسطاء جداً لكنهم من جهة ثانية كرماء تجاه الضيوف، ويوجد هنا عدد كبير من الأغنام أكثرها بلون أسود وتتصف بطول صوفها وآذانها ولها لحم ممتاز أما الخيل المحلية فإنها رخيصة جداً وهي من أجمل الأنواع في جزيرة العرب.

حينما كنت في الدرعية كان اسم شيخها عبدالعزيز بن سعود (أستشهد سنة ١٨٠٣م - ١٢١٨هـ) وهو والد االشيخ الحالي (أي الإمام سعود الكبير)، وكان والده سعود (يعني الإمام محمد بن سعود) هو الذي أسس الدولة الجديدة واقتصر عبدالعزيز على توسيعها، وكان عبدالعزيز يبلغ الستين من العمر تقريباً ، وهو رجل طويل نحيف ويعتبر مثقفاً جداً، وكانت أسرته تتألف حسب المعلومات التي وصلتني من ٨٠ نسمة.

وكانت جنوده إذ ذاك مائة ألف رجل، ولكن بما أن (الظفير وعنزة وبني خالد) وغيرها من القبائل العربية أصبحت الآن تحت سيطرته فاعتقد أنني لا أخطئ إذا حددت عدد جنوده أو بالأحرى عدد الرعايا الذي يجب عليهم حمل السلاح امتثالاً لأوامره بما لا يقل عن ٢٠٠ ألف.

وليس في الدرعية يهود أو أمة أخرى غير المسلمين ، وقد أقمت في الدرعية مدة أسبوع تقريباً ثم بعد إقامة قصيرة في القطيف عدت إلى القرين».

●●●

وإلى هنا تنتهي رسالة رينود أما الدكتور سيتزن ومحاولاته للقيام برحلة إلى الجزيرة العربية فتلك حكاية أخرى لها وقت آخر. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٩) من مجلة المختلف.

الليدي ستانهوب.. آخر ملكات تدمر!

تشكل الليدي إيستر ستانهوب ضلعاً من أضلاع مثلث نسائي مر بالبادية الشامية وترك أثراً بالغاً من بعده.. بدأ ذلك المثلث بها وانتهى بالليدي آن بلنت مروراً بالليدي جين دغبي التي خلص بها الأمر زوجة لأحد شيوخ القبائل العربية هو الشيخ مجول المصرب العنزي.

والليدي إيستر لويس ستانهوب (١٧٧٦-١٨٣٩م) نبيلة إنكليزية من أسرة لوردات ذات شخصية ساحرة وذكاء حاد أهّلها لتكون أمينة أسرار خالها السير وليم بيت رئيس وزراء بريطانيا ومهندس سياستها في عصر نابليون الذي أفقدها موته سنة ١٨٠٦م كل طموحاتها السياسية، فغادرت موطنها يحدوها أمل مستحيل بأن تكون «ملكة المشرق ومخلصته»، وحتى عندما لم تحقق هذا الهدف أصرت الكتب الغربية على تلقيبها بملكة تدمر وساحرة الصحراء!

قصة وصولها إلى بادية تدمر طويلة مرت خلالها بجبل طارق ومالطة وجزر اليونان والقسطنطينية ومصر وعانت الأهوال بعد غرق سفينتها قرب قبرص، وفي بلاد الشام زارت القدس وعكا ودير القمر ودمشق فكانت أول أجنبية تدخلها سافرة الوجه على صهوة جواد، واتصلت بالباب العالي ومحمد علي باشا وكبار ولاة العثمانيين والأمراء العرب وزعماء البدو خاصة الشيخ مهنا الفاضل شيخ الحسنة من قبيلة عنزة وولده ناصر.

وعن مهنا الفاضل تقول ستانهوب: «كان الأمير في الخامسة والخمسين أو الستين من عمره، وكانت عينه الثاقبة تقوم مقام أذنه الثقيلة السمع، وكانت لحيته مشعثة وكذلك حاجباه وقد بدلت التجعدات والأدران سحنة وجهه، وكان يرتدي سترة من الساتان الدمشقي» كما أنها تذكر قبيلته «الحسنة» بإعجاب خاصة وأنهم أحاطوا بها وحموها في رحلاتها الطويلة في الصحراء.

كما التقت ستانهوب التي كانت تهوى ارتداء ملابس الرجال بالجاسوس الفرنسي لاسكاريس الذي خلّد فتاه فتح الله الحلبي رحلته في مخطوط مثير للجدل تم نشره مؤخراً عن دار طلاس السورية، وأبدت إعجابها به رغم الصراع الذي كان يدور وقتئذ بين فرنسا وبلدها بريطانيا.

وتختلف ستانهوب عن غيرها من الرحالة الأجانب الذين زاروا المنطقة بكونها لم

تأت للكتابة أو للبحث عن الخيل العربية الأصيلة أو للتجسس لصالح بلدها، وبالتالي فهي لم تترك كتباً كغيرها ولم يكن المجد الأدبي أحد همومها فقد كانت تعمل لصالح أطماعها في الزعامة، وكل همها أن تصبح «زنوبيا» أخرى، وكل ما لدينا من كتابات عنها مستقاة عن الكتاب الذين زاروها خلال إقامتها في الشرق ومن بينهم الشاعر الفرنسي الشهير لامارتين.

ولم تكن ستانهوب على غرابة شخصيتها تخفي حبها لمن أقامت بينهم، فهاهي سنة ١٨٣٧م حينما اندلعت ثورة الدروز ضد إبراهيم باشا المصري بتشجيع منها وهي التي أصابها الهرم وخارت قواها وأنهكها السل باعت آخر ما تملك من حلي ومجوهرات كي تشتري السلاح للثائرين وتعتني بالجرحى.

ويذكر التاريخ قولة لمحمد علي باشا حاكم مصر: «لقد سببت لنا هذه الإنكليزية من الإزعاج أكثر من جميع المتمردين في سورية وفلسطين» ، وهذه شهادة لها قيمتها خاصة وأنها جاءت من شخصية جبارة في تاريخنا الحديث.

وكانت هذه الثورة آخر أعمال ستانهوب المشهورة حيث عاشت بعدها في عزلة وفقر وهي التي بدأت حياتها تتنعم في الحرير.

وفي عصر يوم مشمس من عام سنة ١٨٣٩م ماتت إيستر ستانهوب ورأى خدمها أنهم يحسنون صنعاً حين يلفون جسدها بعلم انكلترا لتدفن في حديقة منزلها بلبنان ، وينتهي جسدها في البلاد التي حلمت أن تكون ملكتها المتوجة، وكان ذلك مجرد حلم رومانسي عرفت منذ البداية أن السعي لتحقيقه ضرب من المستحيل.

هكذا ذهبت ملكة تدمر الأخيرة (!!) التي لم تكن في أكثر الكتابات حيادية أكثر من مغامرة طائشة لم تحقق من أهدافها غير وهم كبير صنعته وحاولت تحقيقه دون جدوى! (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٣) من مجلة المختلف.

رحلة تاميزيه إلى عسير

تعتبر رحلة الفرنسي موريس تاميزيه إلى منطقتي الحجاز وعسير سنة ١٨٣٤م من أوائل الرحلات التي قام بها أوربيون إلى هذه المنطقة، وقد استفاد تاميزيه من الميزات التي وفرتها له صفته كمرافق للحملة المصرية على الجزيرة العربية.

هو شاب فرنسي لم يكن يوم وصوله للجزيرة العربية يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، و كان يعمل كاتباً للبعثة الطبية المرافقة لحملة محمد علي باشا مما مكنه أن يدون يومياته وانطباعته عن المنطقة ليسجلها في كتاب طبعه بعد عودته إلى باريس سنة ١٨٤٠م، وقد ترجم د. محمد آل زلفة الجزء المختص بمنطقة عسير إلى اللغة العربية قبل سنوات قليلة.

يبدأ تاميزيه كتابه بتوضيح الخلفية التاريخية لحملة محمد علي باشا على منطقة عسير مستفيداً من علاقته الوثيقة بواحد من الشخصيات المعروفة وهو «دوسري أبو نقطة» الذي يتكرر اسمه ونص الحوارات الثنائية بينه وبين المؤلف في ثيات الكتاب كثيراً.

بعد ذلك يقدم تاميزيه وصفاً لمنطقة أبي عريش فيذكر السيول والأدغال في المنطقة، ومنوهاً بأهم الأشجار كشجرة الأراك والطرفا والبلسم التي يستفاد من بذوره في معالجة الجروح، والطيور في المنطقة والحيوانات كالغزلان والأبقار والجمال والأغنام والقطط المتوحشة والعقارب.

يصف أبا عريش فيقول: «يبدو شكل القرية غريباً عندما ينظر إليها من طرف واحد وهي داخل السور، ولكن عندما ينظر إليها بشكل عام فإنها تأخذ شكل مثلث طويل جداً. أما السور فمبني من الطوب أو الآجر المحروق ، وله أبراج في الأركان مثل تلك التي شاهدناها في الطائف، والقلعة المسماة «دار النصر» عالية جدا وذات منظر جذاب ولها فناء واسع في الوسط، والمدينة محمية بواسطة مدافع قديمة، ولقدمها فإنها غير صالحة للإستعمال».

بعد ذلك يعود تاميزيه إلى تقديم يومياته ابتداء من ٢٧ يونيو ١٨٣٤م منذ خروجهم من الطائف إلى وادي ليّه إلى وادي بسل فيصف نساء المنطقة فيقول: «تثبت النساء فوق رؤوس أنوفهن نجوماً صغيرة مصنوعة من الفضة بها قطعة من العملة مقدار قطرها ١٥ سم، وفي الوسط تشع لؤلؤة من لون مختلف».

بعد ذلك تصل الحملة إلى «قيا» حيث يلتقي تاميزيه بقبيلة بلحارث وكان قد التقى قبل ذلك ببعض فروع قبيلة عتيبة الحجاز قرب وادي بسل، وهنا تحدث عن مساكن بني هلال قبل تغريبتهم المشهورة والتي كانت قيا إحداها.

يتحدث تاميزيه عن النمل في قيا فيذكر أنه له لسعات مؤلمة جداً، وهو يهاجم الأشجار ويغطيها بإفراز أخضر يتحول للأبيض، والعقارب التي يتراوح طولها بين أربع وست بوصات ولسعاتها شديدة الخطورة حيث لسعت أحد جمال الحملة قبل غروب الشمس فمات أثناء الليل.

وعندما سأل تاميزيه عن علاج هذه اللسعات أجابه أحد البدو بأنهم: «يضعون على الجزء الملدوغ أمعاء الخروف الصغير وهي ساخنة، ويربطون العضو المصاب بضاغطة حتى لا يسري السم في الجسم».

أكملت الحملة مسيرتها جنوباً فمرت بوديان وآبار وقبائل مثل عتيبة وبني عمر وبني حسن وقريش وبني بشير وعدوان وبني قثم حتى خيموا في سهل فرزان، وبعد ذلك في العقيق.

في منتصف يوليو غادرت الحملة العقيق حتى استراحت في «توراق» وهو واد مكتظ الأشجار كثير العشب، وفيه جدول ماء جار مليء بالأسماك الكبيرة، وبعد ذلك وصلت الحملة إلى رنية فيقول تاميزيه: «يتكون وادي رنية من عدة قرى صغيرة ذات منازل متناثرة هنا وهناك، ولكن أكبر مجمع سكني في الوادي هو قرية رنية نفسها حيث أنها محاطة بسور مبني من اللبن وله أربعة أبراج، والبيوت مبنية من اللبن ومسقوفة بأخشاب من جذوع النخل».

وصل تاميزيه إلى بيشة فقال أنها تشبه «مصر» إذ أن: «بيشة من الأودية الجميلة المغطاة بأعداد ضخمة من أشجار النخيل، ونيل بيشة هو المجرى المائي الذي تتجمع فيه مياه أمطار جبال الحجاز وعسير حيث يقطع الوادي الإقليم مبتدئاً من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي».

وقدر تاميزيه سكان بيشة بخمسة وأربعين ألفاً، وعدّد أهم قراها التي تقرب من ستين قرية واصفاً تلك القرى وسكانها بشكل مستفيض نظراً للفترة التي أقامت فيها الحملة في بيشة ذاكراً المباحثات والأحداث السياسية التي جرت في تلك الفترة بين محمد علي باشا وزعماء المنطقة.

سارت الحملة في ٨ أغسطس إلى منطقة الحيفة ثم جبال ملاح فوادي الخضراء ثم وادي شهران، وتستمر الرحلة وتاميزيه لا يترك مكاناً إلا وصفه مبهوراً بجماليات

المكان ولا يهمل أيضاً تدوين بعض الأمور التي تصل إلى مسمعه من شؤون الحملة العسكرية السياسية التي كان السكان متضايقون منها للغاية لدرجة أن تاميزيه نفسه يعترف بأضرار الحملة على السكان ومورد رزقهم فيقول: «بالأمس كان وادي شهران جميلاً جداً ومنعشاً جداً، وحقوله ما زالت خضراء قبل أن تلتهمها جمال وخيول الجيش!!!».

في أواخر أغسطس وصلت الحملة إلى خميس مشيط، وانهمك تاميزيه في وصف الأحداث المهمة التي تعرضت لها الحملة هناك إذ بدأ الجنود يضعفون كل يوم، وجمال الركوب والتحميل تموت بالعشرات واصفاً انخفاض درجة الحرارة والأجواء الماطرة والرعدية.

وهناك يلتقي تاميزيه بـ «مشيط» شيخ خميس مشيط فيقول عنه: «يتمتع مشيط بمكانة معتبرة من قبل رجال الجبال، ويمكن أن يكون مستحيلاً أن تجد رجلاً يفوقه حسناً وحذاقة. رأسه مرفوع وأنفه مستقيم. يبدو مثل رجل في أحسن أيام عمره مع أنه ينيف على الستين سنة وثمة ملامح من الحيوية مازالت تبدو عليه، وله سحنة قلما تجدها عند العرب. عيناه ذات لون رمادي فاتح بل هما قريبتان من اللون الأزرق الفاتح وبشرته مشربة ببقع مختلفة الألوان، وله ذقن مستقيم مدبب ينم عن طول ألفة الرجل للشمس، وحسن سيرته تحتل مكاناً عميقاً تتغمر بها عاطفة كل عربي».

بعد ذلك تبدأ رحلة تاميزيه في الوصول إلى نهايتها فيتحدث عن «مناظر» وهو موقع تحيط به الجبال من الجهة الغربية، وتنتهي هناك رحلة شاب فرنسي ألقت به الأيام في عسير مرافقاً لحملة مصرية. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٢١) من مجلة المختلف.

رحلة والين إلى الجوف

لكثرة ما تعاقب على هذه المنطقة من الرحّالة فقد رآها كل منهم بمنظاره الخاص، فها هو «جورج والين» يكتب عن (مدينة الجوف) بعد أن مرّ بها سنة ١٢٦١هـ (١٨٤٥م) كما مر بها غيره من الرحالة الغربيين الذين أقاموا مغامراتهم وربما أساطيرهم وبطولاتهم على صحاري الجزيرة العربية، والذين مازال ينظر لهم بمنظارين مختلفين فأما أن يكونوا مغامرين باحثين أو جواسيس.

والين يتحدث عن الجوف قائلاً: «يعتقد سكان الجوف أن مدينتهم في وسط الدنيا ولذا يطلقون عليها اسم «جوف الدنيا»، والواقع أن المسافات التي تفصلها عبر الصحراء المحيطة عن أقرب الأراضي المزروعة تكاد تتماثل في كافة الإتجاهات، فيمكن الوصول من الجوف الى دمشق في سوريا والى النجف في العراق، والى المدينة في الحجاز، الى الكرك في فلسطين في حوالي سبعة أيام لكل اتجاه.

ويضيف: «الكتّاب العرب لا يذكرون مدينة الجوف باسمها هذا مطلقاً ويبدو أن هذا الإسم مرجعه شكل الوادي الواقعة فيه البلدة والذي وُصف بأنه فجوة غائصة في سلسلة الجبال المحيطة بها، والى الشمال الشرقي من الجوف بلدة أخرى اسمها «سكاكا»، وفيها حصن يعرف بزعبل، وفيها أيضاً أربعة أحياء أو أسواق هي: «العمران والسحيان والحرقان والفياد».

ويكمل والين: «إلى الشمال الشرقي من الجوف محلة صغيرة تدعى «قصر الطوير» تسكنها حوالي عشر عائلات، وبين المحلتين موضع ثالث يقال له «قارة» تقطنه ما يقرب من عشرين عائلة أصلها من الدغمي من عنزة وفيها حصن قديم يعرف بالمشرفة. وقيل لي أن القرى الثلاث تقع في أرض منبسطة ذات تربة قاسية فيها مياه وآبار عميقة مما جعلني أعتقد أن الصحراء في هذه المنطقة تحاكي الصحراء المتدة الى الشمال الغربي ولمسافة يوم تقريباً في ميزات أرضها الجبلية تنبثق من جال الجوف تعترضها سلاسل».

«ولايزال الأهالي يذكرون اسم الجوف القديم «دومة الجندل»، والجوف لم يعرف عند جغرافيي العرب إلا بهذا الإسم القديم. ويقول أبناء المنطقة أن هذا الإسم يعني «كومة من الحجارة الكبيرة»، وإذا صدق قولهم جاز اعتبار هذا الاسم أنه قد يرمز الى الجبل الكلسي الذي يرتفع فوق منبسط الوادي في شكل الكومة»، ويؤكد والين:

«أن بعض السكان يقولون أن كلمة جندل تعني الصخور التي يتألف منها الجبل المذكور غير أن المؤلفين العرب لا يتفقون على أصل الكلمة فالبعض يرجعونها الى دوماء بن اسماعيل بن ابراهيم، وكما اختلف في لفظها فمنهم من يضم الدال ومنهم من يفتحها. وسكان الجوف يزعمون أن بلدتهم الأصلية تعود الى زمان الحكيم النبي سليمان بن داود ﷺ الذي كان أول من مدّن بلادهم وأقام القرى وحفر الآبار، ويروى هنا أن البلدة في ذلك الزمان كانت أكبر حجماً وفيها بساتين الفاكهة والنخيل ما يغطي مساحة أكبر من الوادي، وفيها آبار وعيون كثيرة»

ويشير والين في نهاية رحلته إلى أنه كان يحيط بدومة الجندل كلها سور واحد وهنالك حتى الآن آثار له، ففي قعر الوادي بقايا السور الذي بناه «الأكيدر» ليحيط بلدته به، وكثيراً ما يكشف عن أوان منوعة مطمورة في الأرض منها هواوين حجرية تشبه الهواوين التي تستعمل في جميع بلاد نجد لطحن البن المحمص والتي اشتهر بصنعها سكان الجوف وتباع في نجد، وقد يبلغ ثمن الواحد منها جنيها. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٧٧) من مجلة المختلف.

رحلة بيرتون إلى الحجاز

كان البريطاني ريتشارد بيرتون قد حقق نجاحات مهمة عبر اكتشافه لبحيرة تنجانيقا بأفريقيا وترجمته لكتاب «ألف ليلة وليلة» لقراء الإنكليزية عندما وجه أنظاره إلى الجزيرة العربية راغباً بتحقيق مجد خاص به عن طريق عبورها كاملة من الغرب إلى الشرق.

عزم بيرتون المولود سنة ١٨٢١م على تحقيق هدفه فقدم طلباً بما يريد إلى «الجمعية الجغرافية الملكية»، ولكنها رفضت طلبه وأبت تمويل رحلته، وكذلك رفضت شركة الهند الشرقية التي كان موظفاً فيها منحه إجازة لأكثر من سنة فقدم استقالته وقرر السفر بجهوده الذاتية إلى الجزيرة العربية.

تنكر بيرتون في هيئة أمير فارسي أثناء سفره من بريطانيا إلى مصر حيث تعمق في دراسة الدين الإسلامي واللغة العربية وسمى نفسه «ميرزا عبدالله» مدعياً أنه أفغاني المولد عاش فترة طويلة بعيدة عن موطنه.

وكان ريتشارد بيرتون في عامه الثاني والثلاثين عندما وصل إلى ميناء ينبع سنة ١٢٦٩هـ (١٨٥٣م) كحاج مسلم مع إحدى قوافل الحجاج المصرية ، ومن فوره توجه إلى المدينة المنورة التي مكث فيها شهراً كاملاً غادرها بعد ذلك إلى مكة المكرمة وأدى فريضة الحج.

ولما أراد تحقيق حلمه بعبور الصحراء شرقاً أدرك بيرتون ضيق الوقت ومخاطر الطريق فغادر مكة عائداً إلى مصر، وألف عن رحلته هذه كتاباً أسماه «قصة رحلة شخصية للحج إلى مكة والمدينة» كما نشر فيما بعد كتاباً آخر بعنوان «مناجم الذهب في مدين والمدن المدينية الأخرى» عن زيارته اللاحقة لإقليم مدين شمالي الحجاز، وهي الزيارة التي قام بها بتكليف من الخديوي إسماعيل الذي كان قد سمع بمعادن الذهب الموجودة في ذلك الإقليم وأرسل بيرتون للتحقق من ذلك، ولكن العينات التي جلبها بيرتون والتقرير الذي رفعه أوضحا عدم الجدوى الإقتصادية، وبذلك صرف الخديوي نظره عن استنزاف ثروات الجزيرة العربية، وهي خدمة جليلة من بيرتون نشكرها عليه ربما لم يكن يقصدها!!

قدم بيرتون في كتابه عن الحج معلومات طريفة ودقيقة عما يمكن تسميته ثقافة الحجازيين في القرن التاسع عشر الميلادي، ففي كتابه تطرق إلى كل من «الأزياء

والزينة والسلاح، والطعام والشراب، والعادات والتقاليد، والطب الشعبي، والغناء والرقص والموسيقى»، وقد ترجمها إلى اللغة العربية الباحث الدكتور أحمد نصر في كتابه «التراث الشعبي في أدب الرحلات».

عن الملابس التي يرتديها أبناء العشائر يقول بيرتون: «يربط الرجل حول خصره وتحت الثوب حزاماً جلدياً طويلاً مدهوناً يسند ظهره ثم يربط فوق الثوب وحول الخصر أيضاً قيطان أو قطعة شاش خشن يسند خنجراً، وعلى الكتف يتدلى حزام عريض فيه جيوب لبارود البندقية».

ويضيف: «البندقية ذات الماسورتين نادرة عند العرب، ويسمونها هنا «بندقية أم روحين» ويسمى غطاؤها الجلدي قشاطاً، وأسلحة البدو الرئيسة هي البندقية ذات الفتيل، والبندقية ذات الزناد، والمسدس، والرمح، والسيف، والخنجر ويسمى جنبية، وقد اختفى المقلاع والقوس منذ زمن طويل».

ويكمل حديثه عن السلاح فيقول: «تستورد البنادق من مصر وسوريا وتركيا لأن البدوي لا يستطيع صنعها لكنه يمكنه إصلاحها، وقد دخلت المسدسات إلى الحجاز مؤخراً وهي ليست شائعة عند البدو، وهم يميلون لهذا السلاح لأن مصدره استنبول وقد يبلغ سعر اثنين منه في الصحراء ثلاثين دولاراً أي عشرة أضعاف سعرهما في إنكلترا».

ويصف بيرتون وجبة الغداء التي تناولها أثناء السفر إلى الحج فيقول: «كانت قائمة الطعام مكونة من أرز مسلوق وكمية من السمن الذي يحبه الشرقيون، وبعض الكعك وخبز وحفنة من العجوة، وقد بدأنا بمشروب يسمونه الإقط (!!) وشربناه أيضاً أثناء الأكل، وأنهينا الوجبة بكوب ضخم من الشاي».

أما الأكل في مكة فهو أكثر ترفاً وتنوعاً، ويصف بيرتون وليمة دعاه إليها رجل من أهل مكة يدعى «علي بن ياسين الزمزمي» قائلاً: «أحضروا الطعام في صينية من النحاس الأحمر محيطها نحو ستة أقدام مزخرفة بأشكال وكتابات عربية، وكان الغداء يتكون من عدة أنواع من الطبيخ.. طبيخ السبانخ والبامية والخضروات الغنية، وبعد أن أزيحت هذه الأصناف غمسنا أيدينا في البرياني والقيمة وهي أوصال اللحم، وورق العنب المحشي باللحم المفروم المخلوط مع البهارات والملفوف في شكل مثلثات صغيرة، والكباب والسلطة المكونة من الخس، وأطباق البطيخ المقطع في شكل مربعات صغيرة. أما الحلو فكان مكوناً من الكنافة المحلاة بالعسل ومسحوق السكر، وأنواع من التفاح المطهو والمهلبية وحلو آخر يعرف باسم (راحة الحلقوم)

يجلب من إستنبول، والفواكه وألذ أنواع التمر مذاقاً، وختم الغداء بحلو من الأرز بالسمن تناولناه بملاعق خشبية».

وبعد هذا الوصف المفصل للطعام يتحدث بيرتون عن التمور الموجودة في المدينة وأنواعها ثم عادات الزواج والمهور الذي يكون أربعمائة دولار في المتوسط وذلك بين أهالي المدينة المنورة ينخفض إلى الثلاثين فقط بين أبناء البادية، وتحدث عن الختان والطب الشعبي وأهم الأمراض المعروفة في الحجاز وقتئذ.

ويبدو أن بيرتون حضر حفلاً للسامري أو العرضة خلال عودته من منى إلى مكة إذ يقول: «إسترعى انتباهنا تصفيق بالأكف وغناء بصوت عال، ووجدنا جمهوراً من البدو يحيطون بمجموعة مشغولة بالرقص وشارك المتفرجون في الغناء وهو إلقاء ملحون مطوّل يؤدى على مقام موسيقي قصير وفي صوت واحد.. بدأ المقطع كالآتي: لا يا لا لي لا يا لا لي، ولم يستطع أحد أن يعرف معنى هذا المقطع»!!!

وواضح أن بيرتون لم يفهم أن ما سمعه هو مجرد «ملالاة» لإقامة اللحن قبل البدء بالقصيدة!!

وقبل أن نترك بيرتون نشير إلى أن الباحثة رنا قباني في كتابها «أساطير أوربا عن الشرق» قد أوضحت أنه قد أساء للشرق العربي كثيراً في ترجمته الماجنة لألف ليلة وليلة وهوامشه المسيئة في تلك الترجمة كما أنه اهتم بإظهار صور أباحية لا توجد إلا في خياله في كتابات أخرى مثل ترجمتيه لكتابي «الروض المعطر» و«كاما سوترا»، وكانت لديه نظرة احتقار لكافة الشعوب غير الأوربية.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن ريتشارد بيرتون قد توفي سنة ١٨٩٠م بعد حياة بدأت بحب غامر للسفر واكتشاف المجهول وسبر أغوار الشرق، وانتهت بكتابات رخيصة لكسب المادة!! (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٢٣) من مجلة المختلف.

رحلة بيلي إلى الكويت والرياض

في عام ١٨٦٥م قام العقيد لويس بيلي المقيم السياسي البريطاني في بوشهر (عاش في الفترة ١٨٢٥ - ١٨٩٥م) برحلة نحو مدينة الرياض لمقابلة الإمام فيصل بن تركي آل سعود بدأها من الكويت التي وصلها في يناير من تلك السنة برفقة بعض المختصين الذين منعهم بيلي من الكتابة عن الرحلة لينسب فضلها إليه!!

هدف الرحلة المعلن كان: «إزالة سوء الفهم الناتج من القوانين الخاصة بتجارة الرقيق، وتأكيد حسن النوايا للإمام فيصل» كما ذكر بيلي في رحلته التي صدرت مؤخراً ترجمتها العربية عن مؤسسة الأيام البحرينية بقلم د. عيسى أمين مزودة بالملاحق المخطوطة والخرائط التي وضعها بيلي ورفاقه عن تفاصيل رحلتهم.

في الكويت يحل بيلي في ضيافة يوسف البدر أحد الكرماء المذكورين في تاريخ الكويت فيقول عنه: « لقد كنت طوال هذه الفترة أتلقى من كرم الضيافة صوراً لا يمكن أن تعادلها ضيافة أي نبيل إنجليزي»، ويصف أهل الكويت عموماً فيقول: «الغريب فيها لا يجد الفنادق بل يجد بهواً كبيراً يقدم فيه الطعام مجاناً للغرباء».

وعن الكويت أيضاً يقول: « تعتبر الكويت إحدى الموانئ النامية على الخليج ويملك سكانها سفناً كبيرة تنقل التجارة من وإلى الهند ودول الخليج ويعرف بحارتها بالمقدرة الملاحية الفائقة».

ويضيف عن تجارة الكويت: «تستورد الكويت الأرز من شوشتر والبصرة وساحل الملبار، والذرة من الساحل الفارسي، والتمور من البصرة، وخشب بناء السفن من سواحل جنوب الهند، ويتبادل تجار الكويت مع بدو البادية الأصواف والخيول مقابل القهوة والأرز».

وفي ١٨ فبراير ١٨٦٥م انطلق بيلي ورفاقه من الكويت ومعهم بعض الأدلاء والمرافقين من العرب، ويمر بمواقع مثل وارة ثم وبرة وثاج والصمان، وعندما وصل للرياض قدم انطباعه الأولي فكتب: «في الرياض تم بناء المنازل بالطوب المجفف وقام أهلها بالمحافظة على التنسيق العمراني وزرعوا بعض المزارع حولها وهذا ما تعنيه كلمة رياض «حدائق خضراء»، وبصورة عامة تبدو المدينة وكأنها قد نالت اهتمام سكانها بها».

وعن الإمام فيصل بن تركي آل سعود الذي زاره بيلي في أواخر أيامه (توفي في

أغسطس من نفس السنة) يقول: «نهض الإمام بصعوبة لاستقبالنا ومد يده مصافحاً وطلب مني الجلوس بقربه على السجادة. لقد كان الإمام أعمى ولكن طبيعي البنية والملامح يتسم وجهه بالهدوء والصلابة في نفس الوقت، صبور وواثق من نفسه».

ويضيف واصفاً الإمام: «كان يبدو وكأن عمره أكثر من سبعين عاماً، ومرتدياً ملابس بسيطة ولكن بذوق حسن ويغطي رأسه بعمامة من الكشمير الأخضر، حسن التعبير موزون الكلمات، مرهوب الجانب حسن المعشر».

وبعد أن تلقى بيلي هدية من الإمام عبارة عن فرسين عربيين توجه إلى الأحساء تمهيداً لعودته إلى بوشهر، وعن الهفوف كتب: «تبدو المدينة أكبر من الرياض وأكثر زرعاً، وتشتهر إلى جانب موانئها «العقير والقطيف» بصناعة العباءات والأسلحة أما باقي الأسلحة فتأتي من دمشق ونجران والبصرة، وتوجد بها بعض القلاع». (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٠) من مجلة المختلف.

رحلة لوشر إلى الكويت

«تظهر الكويت كمدينة عربية فائقة النظافة».. جملة لكاتب أمريكي لم يكتبها هذه الأيام، ولكنه سطرها بالتحديد سنة ١٨٦٨م عندما زارها في رحلته التي شملت الخليج ابتداء من مسقط.

جاء «لوشر» إلى الكويت على متن سفينة تجارية إنكليزية قادمة من الهند تحمل بضاعة للتاجر المشهور «يوسف الإبراهيم»، وقضى في صيف الكويت أياماً التقى خلالها بحاكم الكويت الخامس الشيخ عبدالله الثاني بن صباح.

يصف «لوشر» الشيخ عبدالله الذي زارهم في السفينة قبل الرسو بقوله: «كان الشيخ الحاكم طويلاً مفتول العضلات لطيف قد أطال لحيته البيضاء. يناهز الثمانين وتبدو على وجهه ملامح الذكاء، وكان غاية في الأدب في كلامه وعاداته الشرقية، وكان يلبس ملابس عربية من الحرير الفاخر، وقد ارتدى العباءة ذات اللون الأرجواني موشاة بفزارة بالذهب ويداه تشعان بالألماس، وفي وشاحه الحريري الأبيض الذي لفه حول وسطه كان قد غمس خنجراً صغيراً ذا مقبض من الذهب الصلد وقد طعم باللؤلؤ والفيروز والياقوت».

بعد رسو السفينة يدعو الشيخ عبدالله الثاني «لوشر» ورفاقه إلى قصره المربع المبني بالطابوق فيصف الأخير الحديقة الصغيرة الموجودة بداخله، وقاعة الإستقبال بسقفها المزين بالنقوش الصغيرة الزرقاء، والسجادة الفارسية الثمينة والأرائك العريضة.

عن جو الكويت كتب لوشر: «جو الكويت حار لدرجة مخيفة ، وتظهر المدينة محاطة من الشمال والجنوب والغرب بصحراء مقفرة لذلك يعتبر جيران الكويت اثنان هما القفر والحرارة»!!

بعد ذلك ينطلق الرحالة الأمريكي في وصف طبيعة البيئة في الكويت، وانعدام الخضرة فيها عدا بعض الواحات البعيدة بحوالي ثلاثين ميلاً، ولعله يعني «الجهراء والفنطاس» كما تحدث عن سفن «البغلة» التي ينقل بها الكويتيون ما يحتاجونه من مؤن من البلاد المجاورة، وهو يقول: «جل الرجال من سكان الكويت يمارسون التجارة أو الملاحة، وهم يتاجرون مع البصرة والساحل الفارسي أو مع عشائر بدو الصحراء باللؤلؤ والعود والأسلحة النارية والذخيرة والملابس والسروج والزل .. إلخ».

أما نساء الكويت فيقول عنهن لوشر: «نساء الكويت مشهورات بصناعتهن ومهارتهن في جميع الأعمال اليدوية كالحياكة والغزل والنسيج، ومثل ذلك حسن مظهرهن فهن يعتبرن بجانب التركيات والإيرانيات، ولهذه الغاية يعتبرن أشد نساء الخليج ملاحة».

يتحدث لوشر عن مأدبة أقامها لهم الشيخ عبدالله الثاني فيصف حليباً حامضاً يدعى «اللبن»!!، ويقول أن المائدة وضع عليها طقم أوربي لأدوات الطعام جلب من بومبي أما الطعام فيقول أنه قدم بطريقة فاخرة فقد: «جلب لنا الخدم كثيراً من الصحون المختلفة، وتحتوي على لحم الماعز المسلوق ولحم الغنم المحمر، ولحم جمل محمر أيضاً ودجاج. وثلاثة أنواع مختلفة من السمك ، وصحناً كبيراً يحتوي على الرز المطبق وعليه الزبد وحشو البصل واللوز والكشمش والدجاج المقلي ، ويعتبر هذا النوع الصحن الشعبي للبلاد العربية. وإلى جانب هذه الصحون فيض من الخضروات والمرق وفواكه تعتبر غريبة».

عن الليل يصف لوشر النوم فوق السطح، ومن هناك بدأ يطل على الكويت من ارتفاع بقبيل المغيب فيكتب: «لقد كان المنظر بهيجاً حقاً فهنا أحد المؤمنين ما يزال منشغلاً في صلاته، وهناك زوج من الصغار يتبادلان أحاديث ود ناعمة، وإلى البعيد أم ترعى أطفالها، وهنالك فتيات عربيات يغنين بصوت عذب أغانيهن الشعبية الحزينة ، وهنالك في الأفق الأبعد خارجاً في الصحراء عدة مسافرين منفردين راجلين أو على ظهور الخيل أو الجمال على شكل أشباح مظلمة حيث تتباين تبايناً غريباً مع الأفق الذهبي في المنطقة الخلفية».

وفي النهاية يسافر لوشر وصحبه بعد أن ودعهم الشيخ عبدالله الثاني.

وللعلم فإن الشيخ عبدالله الثاني هو الأخ الأكبر لحاكم الكويت السابع الشيخ مبارك الصباح الذي حكم الكويت بعد زيارة لوشر بثلاثين عاماً، وللشيخ عبدالله الثاني ذرية معروفة من آل صباح من بينهم الشيخين الكبيرين عبدالله الجابر العبدالله أول وزراء المعارف في تاريخ الكويت والشيخ عبدالله الخليفة العبدالله. ومن ذريته في الوقت الحالي على صعيد الشعر نعرف الشاعر الشاب دعيج الخليفة الذي يعد الشيخ عبدالله الثاني الذي زاره لوشر الجد الثالث له. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٩) من مجلة المختلف.

رحلة رفعت باشا إلى الحجاز

يكتسب كتاب «مرآة الحرمين» المطبوع في القاهرة سنة ١٩٢٥م أهميته من عدة نقاط أولها: التفصيل المثير لأربع من رحلات الحج من مصر بما فيه من معلومات دينية وجغرافية وتاريخية ، وثانيها: أن مؤلف الكتاب إبراهيم رفعت باشا لم يكن مجرد رحالة عادي بل هو أمير الحج المصري لسنوات ١٩٠٣ و ١٩٠٤ و ١٩٠٨ وقائد حرس المحمل المصري لسنة ١٩٠١م وبالتالي فإن منصبه هذا مكّنه من الإلتقاء بالعديد من الشخصيات وأن يكون طرفاً مهماً في الأحداث.

أما ثالث الأسباب وأكثرها أهمية، فهو احتواء الكتاب على حوالي ٥٠٠ صورة قام المؤلف بالتقاطها وزين كتابه بها ، وهي صور تعطي القارئ فكرة كاملة عن الحج والحجاز في أوائل هذا القرن ، وينفرد بها هذا الكتاب.

لن نأتي لذكر أحداث الرحلات فقد بلغت في الكتاب بجزئيه أكثر من ألف صفحة ، ولكن سنتطرق لبعض مشاهدات رفعت باشا خلال رحلاته الأربع:

عن جدة كتب سنة ١٩٠٣م:

« جدة بلدة كبيرة وهي ميناء مكة العظيمة يحيط بها سور ذو خمسة أضلاع يقطعها راكب الحصان بالسير المعتاد في ٤٥ دقيقة ، وارتفاع السور ٤ أمتار وبه تسعة أبواب ، وشوارعها مختلفة السعة وحاراتها ضيقة وغير منتظمة ، وبجدة مجار لتصريف مياه المطر إلى البحر».

وعن غسل الكعبة المشرفة في تلك السنة كتب رفعت باشا:

« أخذنا جميعاً في غسل أرض الكعبة من الداخل بماء زمزم، وكان ذلك بمقشات صغيرة صنعت من خوص النخيل ثم وزعت علينا خرق بيضاء مبللة بماء الورد والروائح العطرية وأخذنا نمسح بها جدر الكعبة ، وقد اشتد الزحام أمام بابها لأخذ مياه الغسل».

وعن عادات المكيين بعد موسم الحج يقول:

«بعد انقضاء الموسم يقيمون الأفراح ويزوجون الأولاد، ويتروضون في جهة الطائف والزاهر والأماكن التي بها بساتين ، وفي شهر رجب يقصدون المدينة للزيارة وفي ذلك ينفقون ما جمعوا في الموسم إلا قليل».

أما الطائف فيصفها بقوله:

«بلدة الطائف يحيط بها سور من الطوب اللبن ، وداخله ٤٠٠ منزل و ٢٠٠ حانوت وستة جوامع أشهرها جامع عبدالله بن عباس (رضي الله عنه)، وبها أيضاً سبعة مساجد ودائرة للحكومة ومنزل للمدير ومستشفى للجند ومسلخان وحمام وقلعة لحبس المجرمين وعدد سكانها ٢٠٠٠ نفس، وبيوتها في أكثر الأشهر خالية من السكان إلا القليل ولا تعمر إلا في الصيف حيث يؤمها المكيّون فراراً من حرّ مكة وقيظها».

هذه مقتطفات من بحر موسوعة مصورة تركها لنا رفعت باشا منذ ما يقارب القرن. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٩٩) من مجلة المختلف.

لورنس.. جاسوس أم بطل؟!

ولد «توماس لورنس» في ويلز ببريطانيا سنة ١٨٨٨م لأبوين هما توماس روبرت تشابمان وسارة مادن ، وقد تعلم الكثير من طباع والده المولع بالمغامرات والصيد والترحال وقيادة الدراجة النارية بسرعة جنونية والإطلاع على كتب الرحالة، وزاد تعلق لورنس ببلاد الشرق لتأثيرات كتابات داوتي الرحالة الشهير التي أولع بقراءتها صغيراً لذلك نجده يقبل على دراسة علم الآثار ليسهل عليه الوصول الى بلاد الشرق.

وبعد أن تخرج لورنس سنة ١٩٠٩م توجه إلى بلاد الشام لدراسة القلاع والحصون الصليبية ثم سافر في بعثة آثارية للتنقيب عن آثار الحيثيين في (جرابلس) ، وأخذ من هناك يتجول بين مضارب البدو فبدأ ينشر مقالاته عن مكتشفاته بينما كانت الحرب العالمية على وشك الوقوع، ومن مصر أوفدت القيادة الانجليزية علماء الآثار للتجوال بحجة التنقيب وذلك لرسم الخرائط وتحديد الطرق ومصادر المياه والمضائق وكان لورنس بين من اختارتهم القيادة لتلك المهمة.

ولما انتهت المهمة التجسسية الأولى في حياته عاد لورنس الى (جرابلس) ليعمل تحت أمرة مدربه الباحث هوجاريت ، وكان في تلك الفترة دائم الإدعاء بأنه على معرفة واتصال بجماعة التحرر العربي والإندماج في مجالسهم السرية في سوريا ومن هنا جُند لورنس للأعمال التجسسية مرة أخرى.

وعندما نشبت الحرب العالمية سنة ١٩١٤م تم استدعاء لورنس للعمل في مكتب للمخابرات بمصر ، وكانت مهمته تتلخص في جمع المعلومات عن البلاد العربية وقوة القبائل والإهتمام بالناقمين على العثمانيين ودفعهم للثورة وقطع خطوط تموين العثمانيين، وحينما حوصر الجيش الانجليزي في العمارة بالعراق أرسلت المخابرات الانجليزية لورنس سراً للمتابعة مع الأمير فيصل بن الحسين وتسجيل طلباته للإمداد بالسلاح والمال ، ومن هناك تم اعتمد لورنس كضابط ارتباط بين الجيش البريطاني والجيش العربي في الحجاز.

وعندما أهداه الأمير فيصل الملابس العربية كان لورنس يزهو بها ولا يخلعها أبداً فيسير بها في الشوارع موهماً البدو بأنه من أقرب المقربين للأشراف، وطمع

بأن يقبل الناس يده مثلما يقبلون أيدي أشراف مكة، وكانت رسائله وقتذاك تطفح بذكر شيوخ القبائل الذين التفوا حول الأمير فيصل من أمثال النوري الشعلان وعودة بوتايه وغيرهما.

ورغم ادعاءات لورنس وبعض الصحفيين الذين نفخوا فيه في تلك الأيام والفيلم السينمائي الشهير الذي مثّل عنه بأنه كان بطل الحرب ضد الأتراك إلا أن الحقائق تشير إلى طبيعة عمله الجاسوسية ومحدودية الدور الذي قام به للدرجة التي دعت قائداً بريطانياً كبيراً للقول: «يعتبر لورنس بلا شك أحد الدجالين الكبار في الحرب»!!

ولما انتهت الحرب رافق لورنس الأمير فيصل بن الحسين إلى مؤتمر باريس سنة ١٩١٩م، ومن هناك انتقل إلى لندن حيث عيّن مستشاراً في وزارة المستعمرات حتى سنة ١٩٢٢م، واختفى بعد ذلك ليمارس دوراً غريباً في الهند التي دخلها متنكراً تحت مسمى «روس» الجندي في سلاح الجو البريطاني، وقد تم تسريحه من الجيش بعد ذلك ليظل على أوهام بطولاته حتى لقي مصرعه في حادث تصادم دراجة كان يركبها سنة ١٩٣٥م. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٧٩) من مجلة المختلف.

رحلة شكسبير عبر الجزيرة العربية

لعل أول سيارة تصل إلى أرض الجزيرة العربية كانت تلك التي قادها الكابتن وليم شكسبير سنة ١٩٠٨م حينما كان مساعداً للمقيم السياسي البريطاني في الكويت، وقد تنقل شكسبير فيما بعد بين الكويت ونجد عدة مرات قبل أن يلتقي أخيراً بجلالة الملك عبدالعزيز في الكويت، وفي نهاية اللقاء سأل شكسبير الملك عبدالعزيز إن كان بإمكانه الرحيل إلى الرياض فرحب العاهل به، ولم يصدق شكسبير أذنيه أنه سيكون «أول أوروبي يدخل للرياض منذ نصف قرن من وصول لويس بيلي إليها».

لم يحقق وليم شكسبير الذي كان قد عيّن معتمداً سياسياً في الكويت منذ سنة ١٩٠٩م حلمه بالسفر إلى الرياض إلا بعد أربع سنوات إذ بدأ رحلته في يناير ١٩١٤م، ومعه جمّاله الخاص عبدالعزيز بن حسني وسبعة جمالين آخرين وخادمان ومجموعة كبرى من البنادق وناقته المفضلة «ذهيبة» وخيمة للإستحمام! ورافقت النصف الأول من الرحلة أمطار يومية وصقيع كان يجمد المياه في القرب خلال الليل، وحين بلغوا الدهناء بدأت الجماعة تذوق معنى الصحراء، ولاحظ شكسبير أن الكثبان كانت تغير ألوانها من الوردي في الصباح إلى البرتقالي عند الظهر إلى القرمزي في الغسق، وخلف كل تلك الكثبان كانت تقع الزلفى التي ما إن وصلها شكسبير حتى دعاه عبدالله بن سليمان إلى تناول القهوة، وفي منتصف مارس بلغ الرياض حيث استقبله فيها الملك عبدالعزيز.

لم يكن شكسبير - كما أسلفنا - أول إنجليزي يصل إلى الرياض فقد سبقه إلى هناك سادلير وبلغريف وبيلي وليتشمان لكنه كان أول من وصف المدينة بتفصيل شديد كما كان أول من التقط لها صوراً سينمائية، وقد غادر الرياض في ١٢ مارس ١٩١٤م، فاتجه غرباً على الطريق الرئيسي إلى بريدة وسط أمطار غزيرة، فأضاع طريقه غير مرة لكنه وصل عنيزة في ٢٦ مارس ثم بريدة.

في بريدة فوجئ شكسبير حين التقى فيها رجلاً يدعى عبدالله اليخفة كان يتحدث الإنجليزية بلكنة أمريكية، وأخبره عبدالله أنه كان قد سافر مختبئاً على ظهر إحدى السفن المتجهة إلى نيويورك حيث عمل سائق تاكسي طوال ست سنوات قبل أن يعود إلى بلاده، ومن بريدة اتبع شكسبير طريقاً شبه دائرية حول حافة جبل

شمر الشرقية إلى الجوف فيما تحولت الأمطار الثقيلة إلى رياح باردة وبعد أيام قليلة التقى رجلاً متقدماً في السن اعتقد أن القافلة تضم مسّاحين يرسمون طريقاً بين الكويت والسويس: هذا الرجل أيضاً كان يتحدث الإنجليزية بلكنة أمريكية يدعى «محمد الرواف»، وكان الرواف قد عمل سائساً للجمال في معرض بشيكاغو قبل ذلك بخمسة عشر عاماً.

وصل شكسبير وفريقه إلى الجوف في ٢٦ ابريل ١٩١٤م فدعاه الشيخ سطام بن نواف الشعلان إلى وليمة كبيرة، ومن هناك سار مسافة خمسة أيام إلى أن تعرض لهجوم، فتوقف حتى الظهر ثم اخترق صف المهاجمين في قيظ «الحرارة المقلاة» وسارت الجماعة طوال الليل إلى أن وصلت إلى مضرب الشيخ عودة أبو تايه من شيوخ الحويطات المعروف بشدة بأسه، والذي روي أنه ذات مرة أكل قلب أحد أعدائه، وبعد ذلك بثلاث سنوات كان أبو تايه يعبر الصحراء مع لورنس الذي قال عنه: «حين يموت هذا الرجل تكون العصور الوسطى في الصحراء قد انتهت».

الأيام التالية كانت مليئة بالحر القاتل خلال النهار والبرد القارس خلال الليل، وكذلك اشتد على القافلة الخوف من المهاجمين فلم تكن تجرؤ على إضرام النار في الليل، وبدأ طعام القافلة ينقطع فراحت تعيش على التمور والحليب كما بدأت الجمال تنهار والرجال يصابون بالتعب حين كتب شكسبير في مذكراته: «إنني أريد أن أنام إلى الأبد، إنه أسوأ يوم في حياتي»، ولكنه رغم ذلك وصل في ١٧ مايو إلى سيناء فاستحم وتناول الآيس كريم في مخفر للشرطة، فقد كان شكسبير يملك وقتها أسباباً مقنعة للاحتفال، فقد أكمل لتوه عبور ١٨٠٠ ميل ثلثاها في أرض لم تستكشف من قبل!

أما نهاية شكسبير فقد كانت غريبة بعض الشيء إذ أنه توجه في أكتوبر ١٩١٥م لمفاوضة الملك عبدالعزيز قرب الزلفي، وذلك بعد إعلان بريطانيا الحرب على تركيا، وعندما وقع القتال في معركة «جراب» الشهيرة أصر شكسبير على حضورها، ولما كان ملبسه مميزاً فقد سهل توجيه الرصاص عليه من القناصة في الجانب المعادي، فلقي مصرعه بثلاث رصاصات أصابته، ووقد رثاه الملك عبدالعزيز بقوله: «إنه أعظم أوروبي عرفته في حياتي كلها». (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٦٢) من مجلة المختلف.

يابانيون في الصحراء

نقل الشيخ حافظ وهبه سفير جلالة الملك عبدالعزيز «يرحمهما الله» في بريطانيا دعوة جلالته للحكومة اليابانية لزيارة الرياض تقديراً لما قدمته من مساعدة في إنشاء مسجد طوكيو سنة ١٩٣٨م.

وتلبية لهذه الدعوة شهدت الجزيرة العربية سنة ١٩٣٩م أول حضور رسمي من الشرق الأقصى كان على رأسه الوزير الياباني في سفارة اليابان بالقاهرة، وكان من ضمن الوفد السيد «ايجيروا ناكانو» الذي نشر تفاصيل رحلته في مجلة يابانية ثم جمعها في كتاب صدر سنة ١٩٤١م ترجمته مؤخراً دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.

يقول «ناكانو»: وصلنا مدينة جدة في العشرين من مارس ١٩٣٩م وعند نقطة تقع على بعد ميل من الميناء تركنا السفينة التي أقلتنا وركبنا يختاً صغيراً نظراً لوجود شعب مرجانية كثيرة تكونت في البحر الأحمر منذ زمن طويل».

سألت الرجل الذي يقود اليخت: «لماذا لا تزيلون هذه الشعب؟» فقال: «إنها الرغبة في الحفاظ على البلاد من خطر السفن العادية التي لا يمكنها أن تمر من فوق هذه الشعاب لأن العمق لا يتجاوز رُبع المتر تقريباً».

إقتربنا من مبنى الجمرك وأنزلنا امتعتنا بهدوء ووقفت متعجباً وأنا أرى لأول مرة الشخصية العربية البدوية، وكان في استقبالنا قائم مقام مدينة جدة ورئيس الشرطة واستعرضنا حرس الشرف ورحب بنا الجنود.

كانت مدينة جدة هادئة بعد انتهاء موسم الحج، ولفت انتباهي تلك البيوت العالية التي شيدت من الحجارة والخشب كما شعرت بارتفاع نسبة الرطوبة.

كان عدد السكان في مدينة جدة في ذلك الوقت ٢٥ ألف نسمة، وشعرت بأن المكان قد تعرض لتقلبات الزمان، وتغير كل شيء وسط هذه المنطقة الصحراوية والتي كانت من أكثر مناطق العالم تقدماً وازدحاماً بالسكان في العصر الجليدي الرابع!!

قبل انطلاقنا الى مدينة الرياض أهدانا الشيخ عبدالله السليمان - (وزير المالية) بعض الملابس العربية، وكنت في غاية السعادة وأنا ارتدي الفترة والمشلح والعقال العربي.

ومن مدينة جدة انطلقنا محفوفين بكرم الضيافة الملكية إلى الرياض حيث سنقضي أياماً عدة وسط صحراء يحيط بها السكون من كل جهة ودرجة الحرارة العالية.

إنطلقت بنا السيارة وهي تسير بسرعة ٧٠ ميلاً باتجاه الشرق، وكنا نضطر للوقوف أحياناً لتوقف السيارة بفعل «التغاريز» وسط الكثبان الرملية. فنضطر للنزول وحمل السيارة بمساعدة المرشد ورئيس الحرس وبعض المساعدين الذين ترجلوا من سيارتهم. لقد كانوا رجالاً اشداء يحملون بنادقهم لحمايتنا ويتمتعون بالشجاعة ولا يهابون المخاطر.

بعد مضي خمسة أيام شعرت بأننا اقتربنا من مدينة الرياض وما آن ظهرت لنا واحة خضراء حتى صاح السائق: (الرياض.. الرياض).

رأيت من بعيد منظر قلعة بان سورها ونوافذها وشعرت بالارتياح.. قلعة كبيرة ذات طراز من البناء العربي الأصيل. خيّم علينا الصمت ونحن نسير بمحاذاة سور القصر «قصر البديعة» وهو قصر مشيّد من الطين.

نزلنا من السيارة فوجدنا عند البوابة ثمانية رجال من الحرس مع بنادقهم الطويلة. قال قائدهم: «أضرب» فبدأوا في اطلاق أعيرة نارية تحية لنا.

نزلت في غرفة مع الوزير تطل على وادي حنيفة حيث نشاهد من خلفها اشجار النخيل الجميلة.

يتكون «قصر البديعة» من طابقين وهو مشيد علي طريقة المعمار العربي شكل مربع مثل جامع الأزهر وقصر الحمراء في غرناطة باسبانيا.

قضينا ليلة مريحة بعد عناء الرحلة، ويوم غد سيكون لقاؤنا مع الملك عبدالعزيز آل سعود.

وفي الصباح تحركنا باتجاه القصر، والسائق الذي جاء بنا من جدة لبس حلة جديدة فكان رائع الهندام، وحين دخلنا من بوابة قصر «الشمسية» وجدنا على بوابة القصر مائة من رجال الحرس، وكانت زخارف القصر رائعة وجميلة جداً.

دخلنا في غرفة الضيافة واتجهنا الى رجل يجلس على كرسي ضخم ذي مساند كان يرتدي مشلحاً ويبدو طويل القامة، وادركت منذ الوهلة الأولى أن الذي يجلس على الكرسي الضخم هو الملك.

إتجهنا نحوه فوقف من على كرسيه، وسلم علينا سلاماً حاراً حيث سلم عليه

الوزير ثم زميلنا المهندس ثم أنا، وقال لنا: (مرحبا .. أهلا وسهلاً. وصلتم بأمان الله)، وكان مظهره يدعو للاحترام الشديد فهو ملك بحق وصدق. تحدث وأطمأن علينا وتمنى لنا إقامة طيبة ثم راح يتحدث عن الأوضاع السياسية في العالم، فكان ملماً ومدركاً لما يحدث شرقاً وغرباً، وركز في حديثه معنا الى أن هذه البلاد تطبق الشريعة الإسلامية المستمدة من كتاب الله «القرآن الكريم».

يمضي «ناكانو» في القول: قالوا لنا أن سكان مدينة الرياض عشرون ألف نسمة، فسألت نفسي متعجباً أين يسكن هؤلاء إذ لم ار أناساً كثيرين هنا، ولكنني عندما مضيت في الطريق المؤدي الى وسط المدينة شاهدت المباني المشيدة بالطين المستوحاة من البيئة الصحراوية.

رغبت في زيارة السوق فذهبت مع مرافقنا عبدالسلام، وهناك شاهدت علب طعام كتب عليها «صنع في اليابان»، و«دكاكين» تبيع الملابس ودقيق القمح والارز، و«دكاكين» بنيت من الطين وغطي سقفها بالنخيل تبيع الحرير والقماش.

وبينما أنا في قمة الاستمتاع حان وقت الصلاة فلم أعد أرى احداً حيث أن الكل توجهوا للصلاة في المسجد.

وفي اليوم التالي خرجت للنزهة ولكن بعيداً عن السوق، فذهبت الى جبل في طرف الرياض يدعى «أبو مخروق» يتكون من الحجر الجيري يصل ارتفاعه الى خمسين متراً وشكله مثل شكل «النسر» وفتحته كأنها عينه.

تسلقت الجبل وأصبحت الفتحة أمامي أكبر وأوسع كان قطرها حوالي سبعة أو ثمانية أمتار شكلتها عوامل التعرية وربما العواصف الشديدة، وعبر هذه الفتحة تناهى الى سمعي صوت غريب فشعرت بنوع من الخوف قال لي مرافقي عبدالسلام: «إنزل»، فنزلت وأنا لا اعرف هل توهمت شيئاً أم أنه سحر المكان.

وفي السابع من أبريل سنة ١٩٣٩م كان يجب على الوفد أن يتوجه إلى جدة بعد انتهاء الزيارة الرسمية التي قام بها، ومن ثم غادرنا الى اليابان حيث كانت نهاية الرحلة. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٩٨) من مجلة المختلف.

آل ديكسون .. تاريخ على سيف الكويت

على ساحل البحر في العاصمة الكويتية ما يزال « بيت أم سعود » يقف شاهداً على قصة إثنين من الأجانب قدما إلى الكويت فأحباها وبادلهما الكويتيون الحب .

تبدأ القصة عندما جاء هارولد ديكسون وزوجته السيدة فيوليت إلى الكويت ليتولى مهام منصبه كسابع معتمد بريطاني في الكويت في ٢٢ مايو ١٩٢٩م، وكان ديكسون قد ولد في ٤ فبراير ١٨٨١م في بيروت التي كان والده قنصلاً فيها، والتحق بالجيش البريطاني سنة ١٩٠٢م ، وعين ضابطاً سياسياً في بعض مناطق جنوب العراق عقب احتلاله سنة ١٩١٦م، وبعد ذلك صار معتمداً في البحرين سنة ١٩٢٠م .

في الكويت بدأ ديكسون وزوجته الشابة حياة جديدة، وبدءا في الإندماج مع حياة الكويتيين من الحضر والبدو، وللصحراء علاقة وثيقة مع ديكسون الذي وإن حرم من دم بدوي في عروقه فإنه لم يحرم من «حليب عربي» حيث أرضعته إحدى نساء السبعة من عنزة مما جعله أخاً لأبنائها، وهي العلاقة التي كان ديكسون كثيراً ما يفتخر بها في كتبه.

وعندما انتهت مهمة ديكسون كمعتمد بريطاني في الكويت في ٤ فبراير ١٩٣٦م لم يغادرها بل ظل في منزله مقرباً إلى حكامها كما عمل مستشاراً بشركة نفط الكويت حتى توفي بها سنة ١٩٥٥م تاركاً مؤلفين في غاية الأهمية هما «عرب الصحراء» و«الكويت وجاراتها» ضمّنهما الكثير من القصص والحوادث التي عايشها بنفسه وكان شاهد العيان الوحيد على كثير منها كما يلحظ قارئ كتبه إهتماماً ملحوظاً بالقبائل وأنسابها وتواريخها، وهو في هذا المجال مصدر موثوق يروي عن أصحاب الإختصاص بدقة وموضوعية.

أما السيدة ديكسون فقد استمرت في منزلها المطل على البحر، ورفضت أن تنتقل منه إلى بيت أحدث حتى هرمت وغادرت الكويت قبيل الغزو في أبريل ١٩٩٠م لتعالج إلى جانب أبنائها «سعود وزهرة» في لندن حتى توفيت قبيل تحرير الكويت سنة ١٩٩١م، وقد تركت أيضاً كتابين هما «أزهار الكويت والبحرين» و«أربعون عاماً في الكويت» سجلت في الأخير مذكراتها كما شاركت زوجها في كتابة بعض مواضيع كتبه خاصة في يتعلق بالنساء والنباتات والحيوانات البرية .

يشتهر السيد والسيدة ديكسون عند الكويتيين بإسم «أبي وأم سعود»، ولذلك قصة إذ كان هارولد ديكسون في مؤتمر العقير سنة ١٩٢٠م مع الملك عبدالعزيز عندما جاءه خبر ولادة ابنه الأول فطلب منه الملك عبدالعزيز أن يسميه سعوداً ففعل كما أن له بنتاً تحمل اسماً عربياً آخر هو «زهرة» التي ولدت في الكويت وعاشت فيها إلى أن تزوجت وغادرت إلى بريطانيا ، ولها كتاب مترجم إلى العربية بعنوان «الكويت كانت منزلي».

ذهب آل ديكسون عن بيتهم الأزرق الجميل في الكويت والذي كان يعتبر من أملاك الدولة من الأساس وحولت ملكيته بعد التحرير إلى المتحف الوطني الذي قام بترميم البيت سنة ١٩٩٢م في خطة شاملة على يد أقدم بنائي الكويت التقليديين محمد البحوه الذي كان يومها يبلغ الخامسة والسبعين تمهيداً لتحويله إلي متحف للفلكلور.

ويومئذ التقينا بالبحوه وهو يشرف على عماله لترميم غرف المنزل الـ ٣٢ وأحواشه واسطبلاته فحدثنا عن ديكسون فقال: «إنه كان يتقن العربية كأحد أبنائها ، و كان يركب الخيل مع زوجته التي يظنها من يراها لأول مرة ويسمع لهجتها البدوية بأنها من نساء البدو». ويذكر البحوه أنه بنى ذات يوم منزلاً لديكسون في منطقة خيطان بخمسة آلاف روبية، وهو ما كان يعد مبلغاً خيالياً في تلك الأيام.

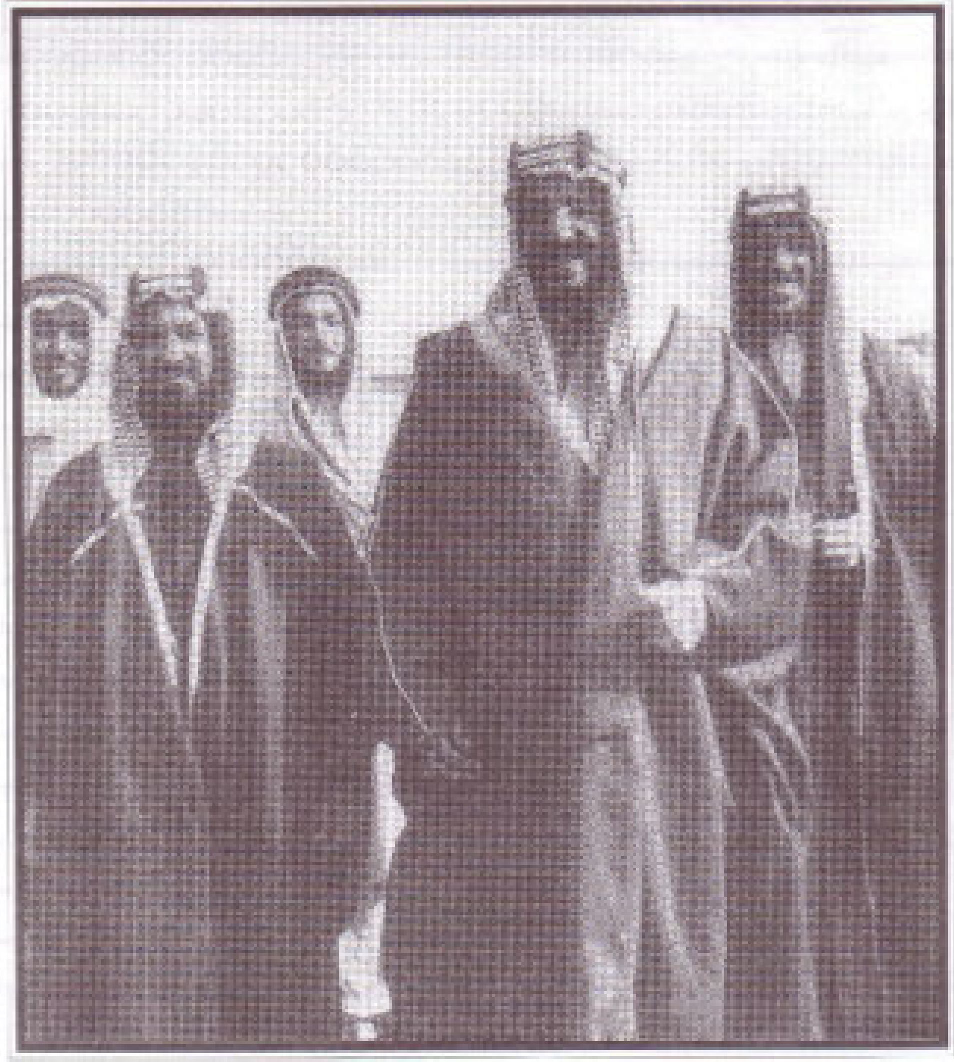
وهذا البيت أسس سنة ١٩١٠م علي يد البناء راشد البحوه وسليمان بن إبراهيم البحوه، والأخير هو والد الرجل المذكور آنفاً، وبني البيت أصلاً ليكون منزلاً لشملان بن علي الرومي أكبر تجار الكويت وقتئذ ثم اشتراه حاكم الكويت العاشر الشيخ أحمد الجابر الصباح ليكون مقراً للمعتمدية البريطانية إلى أن انتقلت المعتمدية إلى موقع جديد، وسكن آل ديكسون في البيت الذي ما زال على ساحل البحر جميلاً يعبق بالذكريات وشاهداً على تاريخ مضى. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٩١) من مجلة المختلف.

الفصل السادس:
عدسة الماضي

(الصور الفوتوغرافية المنشورة في ملف وسم من مراجع مختلفة)





■ الملك عبدالعزيز وصورة جماعية مع عدد من أولاده تعود للأربعينيات.

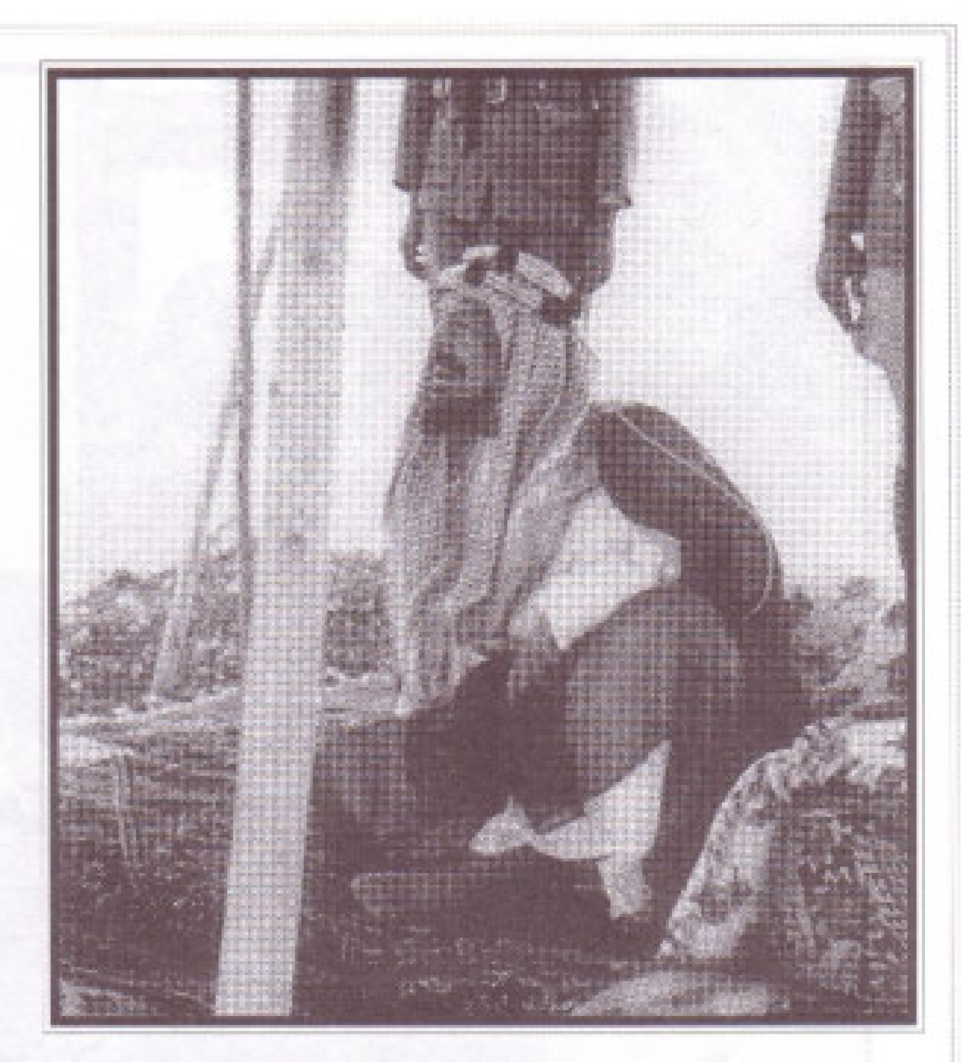
■ الملك عبدالعزيز آل سعود في زيارة للكويت قام بها سنة ١٩٣٦م، و يظهر في استقباله الشيخ أحمد الجابر، و يبدو الأمير سعود واقفاً خلف أبيه.



■ صورة نادرة تعود إلى سنة ١٩٠٢م للشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت السابع جالساً، وخلفه من اليسار ابنه الكبير جابر ثم شخص مجهول ثم ابنه الشيخ سالم، وعلى يمينه وقف صبي يعتقد أنه أحد أبناء مبارك أو أحفاده.



■ الشيخ أحمد الجابر الصباح حاكم الكويت العاشر متوسطاً ولديه الشيخ جابر (الأمير الحالي) والشيخ صباح، وظهر في المقدمة حفيده مبارك بن جابر.



■ الملك عبدالعزيز جالساً على الأرض في إحدى الخيام.

■ صورة تعود إلى ديسمبر ١٩٥٥م التقطت في مدينة العين ، وهي تجمع من اليمين : الشيخ زايد بن سلطان (حاكم البريمي وقتئذ) - السلطان سعيد بن تيمور سلطان عمان - الشيخ شخبوط بن سلطان (حاكم أبو ظبي) - الشيخ خالد .





■ صورة التقطت في مبنى بلدية الكويت بساحة الصفاة سنة ١٩٤٣م يتوسط فيها الشيخ أحمد الجابر الصباح ضيفيه الأميرين سعود وخالد إبني الملك عبدالعزيز، و قد وقف خلفهم الشيخ حمود الجابر (شقيق الحاكم).

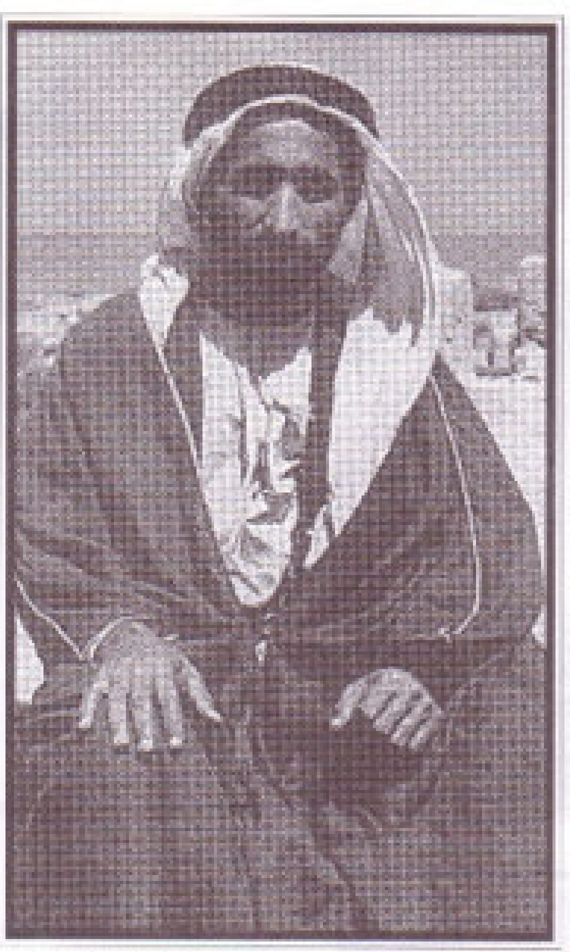
■ صورة التقطت سنة ١٩٣٣م في مخيم يظهر فيها الأمير سعود بن عبدالعزيز (الملك) ممسكاً بكاميرا التصوير.

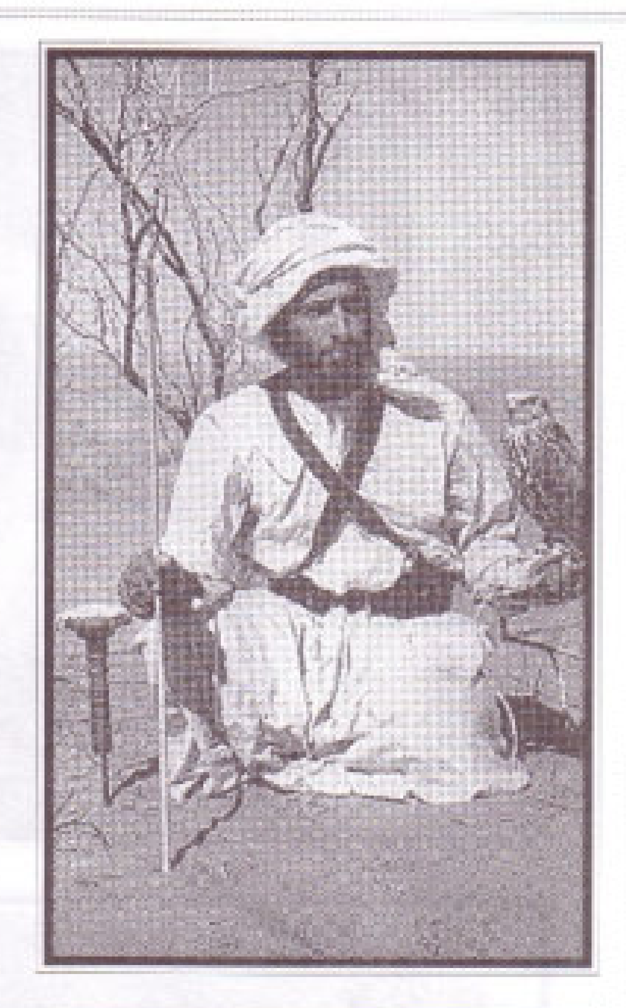


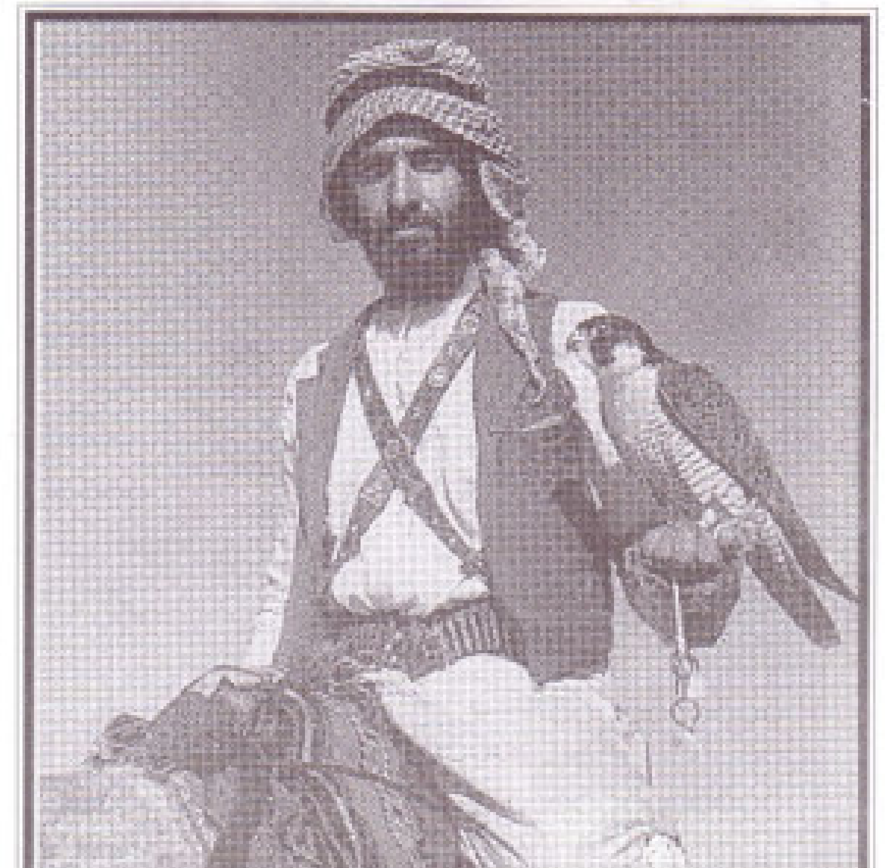


■ صورة تعود إلى بداية الأربعينيات من القرن العشرين، ويتوسطها الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني حاكم قطر وقتئذ، وخلفه من اليمين: المقيم السياسي البريطاني - ولده الشيخ علي بن عبدالله - ولده الشيخ حمد بن عبدالله الجد المباشر للأمير الحالي.

■ السيد فيصل بن تركي البوسعيدي سلطان مسقط بين عامي (١٨٨٨ - ١٩١٣م) وولده تيمور الجد المباشر للسلطان قابوس في صورة عمرها حوالي القرن.





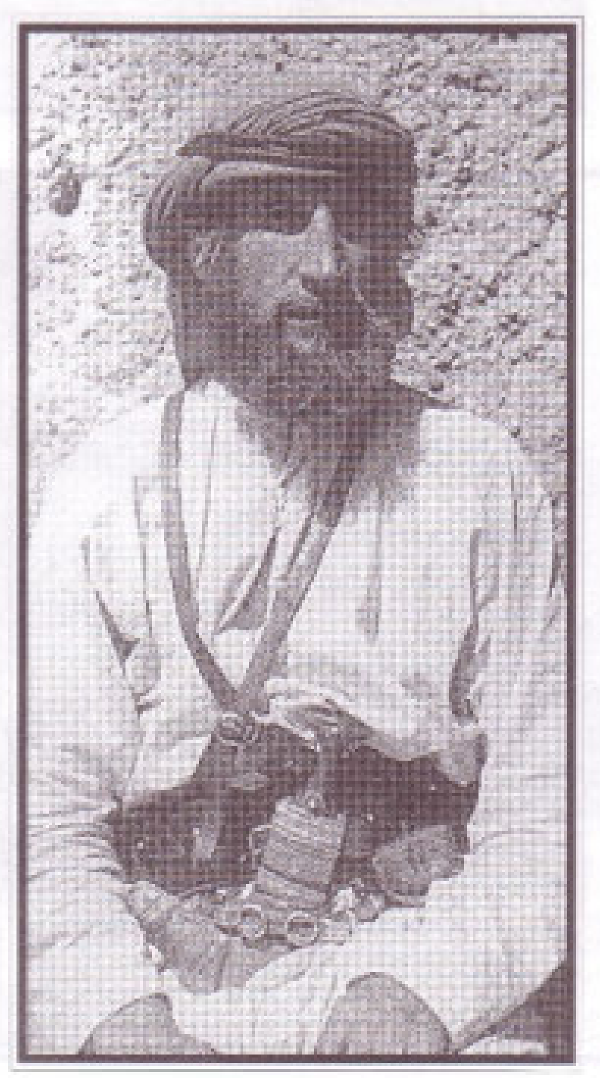


■ الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات الحالي سنة ١٩٥٠م ممسكاً بصقره في رحلة قنص.

■ صورة أخرى للشيخ زايد راكباً على ظهر جمل وهو يمسك بصقره.

■ الشيخ الشاعر صقر بن محمد القاسمي حاكم رأس الخيمة في صورة التقطت له سنة ١٩٥٠م.







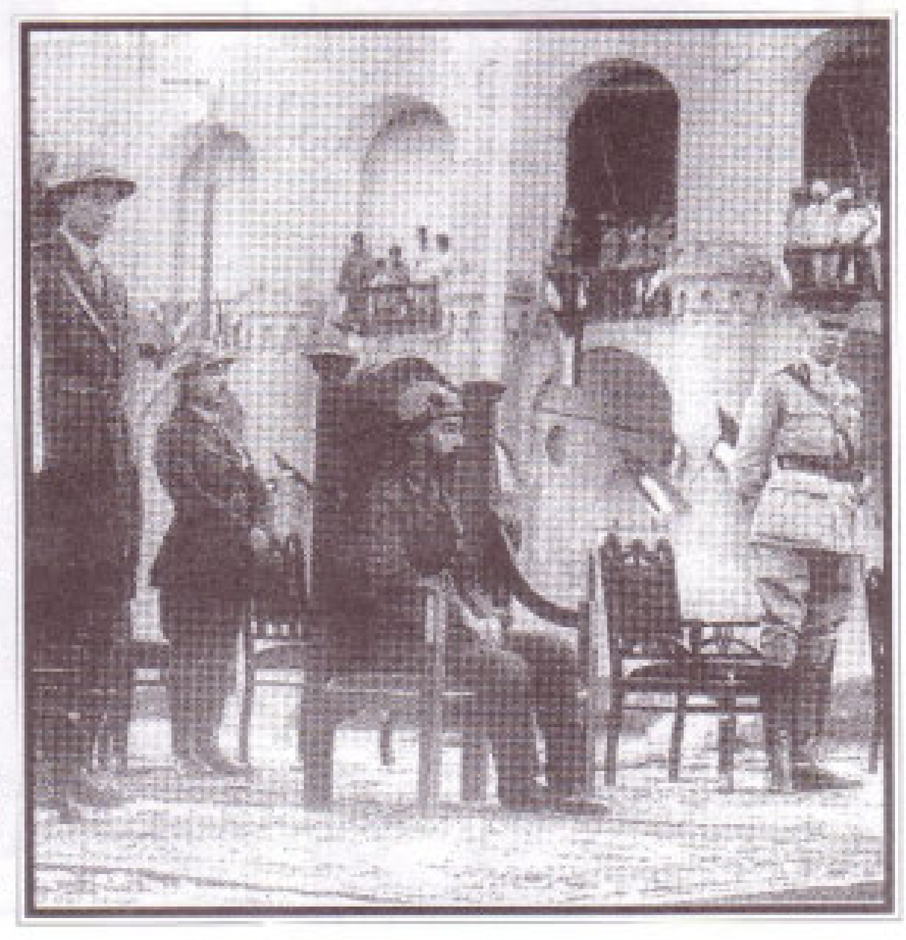


■ صورة للشيخ عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن محمد حاكم البحرين. ولد سنة ١٨٤٨هـ (١٢٦٥هـ) ، وانتقل إلى قطر بعد مقتل أبيه إلى أن اختير للإمارة في البحرين سنة ١٢٨٦هـ ، و استمر في الحكم زمناً طويلاً إلى أن نحاه الإنكليز عن الحكم سنة ١٩٢٣م (١٣٤١هـ) حتى توفي سنة ١٩٣٢م.

■ صورة لتتويج الملك فيصل الأول بن الحسين على عرش العراق سنة ١٩٢١م.

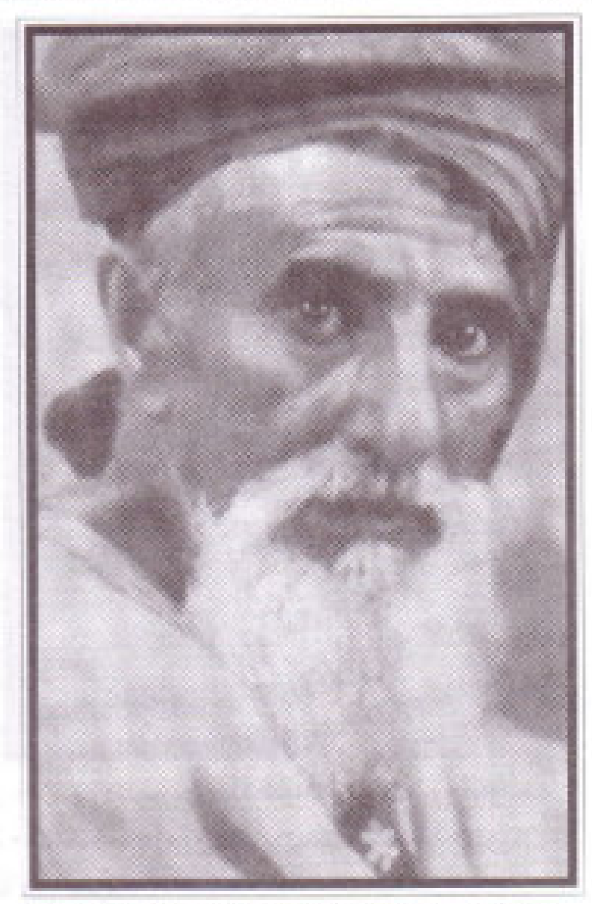
- (الصفحة المقابلة) -

■ صورة جماعية تظهر الأمير عبدالله بن جلوي بن تركي آل سعود وإلى يساره ولده سعود وإلى يمينه محمد أفندي في صورة التقطت سنة ١٩١٧م .و قد ساند ابن جلوي ابن عمه الملك عبدالعزيز في فتح الرياض، وتولي حكم الإحساء فعرف بالحزم فوطد الأمن، و استمر في موقعه حتى توفي سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ) .



■ الرحالة الإنكليزي ولفرد ثيسجر المولود سنة ١٩١٠م بالزي العماني وهو الأوربي الوحيد الذي عبر الربع الخالي مرتين في أوائل الخمسينيات (راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب).

■ الجاسوس الإنكليزي ليتشمان حافياً متنكراً بالملابس البدوية (راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب).



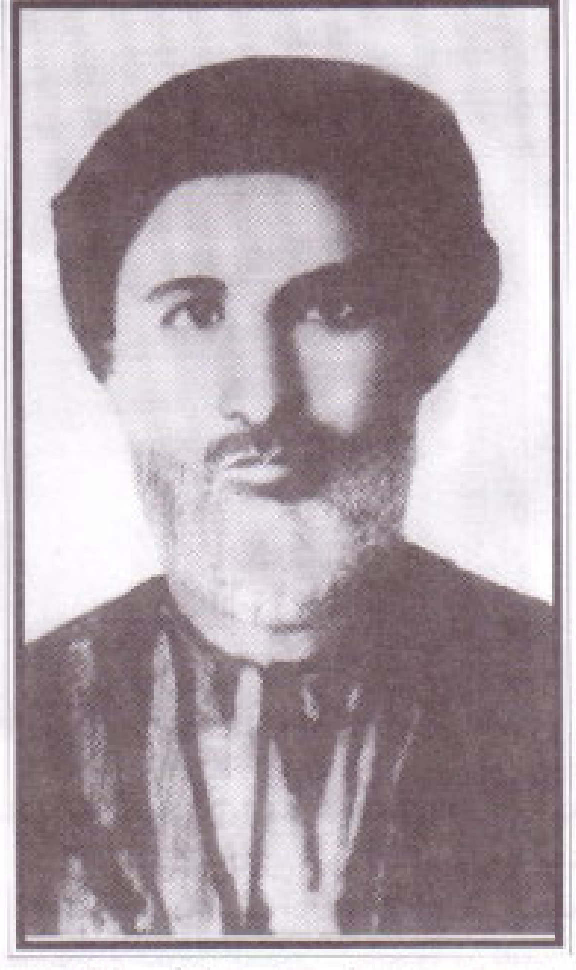
■ (أعلى اليمين) الشيخ ذيب المهان شيخ قبيلة آل قطيح من الوعلة من يام، وكان من المعروفين في حياته بالكرم والشجاعة والسعي في حل المشكلات بين الناس.

■ (أعلى اليسار) الشيخ راكان بن فلاح بن مانع بن سالم آل حثلين شيخ قبيلة العجمان ، و الشاعر المشهور ولد حوالي بين عامي (١٢٢٥-١٢٣٥هـ) وتزعم قبيلته بعد تنازل عمه حزام له سنة ١٢٦٢هـ .

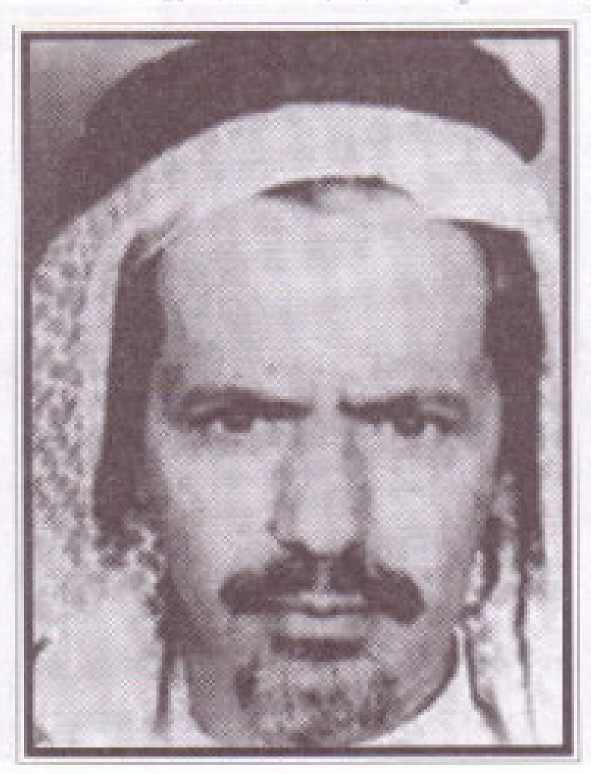
أسره الأتراك غدراً سنة ١٢٨٨هـ بتدبير من والي بغداد مدحت باشا ، و سجن في إستنبول سبع سنوات ثم تطوع للقتال إلى صف الدولة على الجبهة الصربية فأبلى بلاء حسناً و تم إطلاق سراحه بعد وساطة سنة ١٢٩٥هـ ، وتوفي راكان سنة ١٣١٤هـ .

■ (إلى اليسار) الشاعر بندر بن سرور القسامي العتيبي. شاعر نبطي مشهور .

ولد في القرارة بين الرس و عفيف سنة ١٣٦١هـ ، و توفي أبوه صغيراً و نبغ بالشعر حتى



عد من رموزه المميزين، وتوفي سنة ١٤٠٥هـ وحيداً في الصحراء بالسكتة القلبية .







■ (أعلى اليمين) الشيخ سلطان بن سطام الطيار. الزعيم والفارس والثائر العربي المعرو، وتاريخه سلسلة من البطولات وأفعال الشهامة وقد توفي سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) ودفن بالبقيع بالمدينة المنورة.

■ (أعلى اليسار) الشيخ طراد الملحم شيخ الحسنة من عنزة.

■ صورة تجمع أربعة من شيوخ الصحراء وهم من اليمين: صورة تجمع أربعة من الزعماء و الشيوخ، و هم من اليمين: (حمود بن نايف السويط - ضاري بن برغش الطوالة - إبراهيم الإبراهيم (حاكم بلدة الزبير) - محمد بن صالح السبهان.)

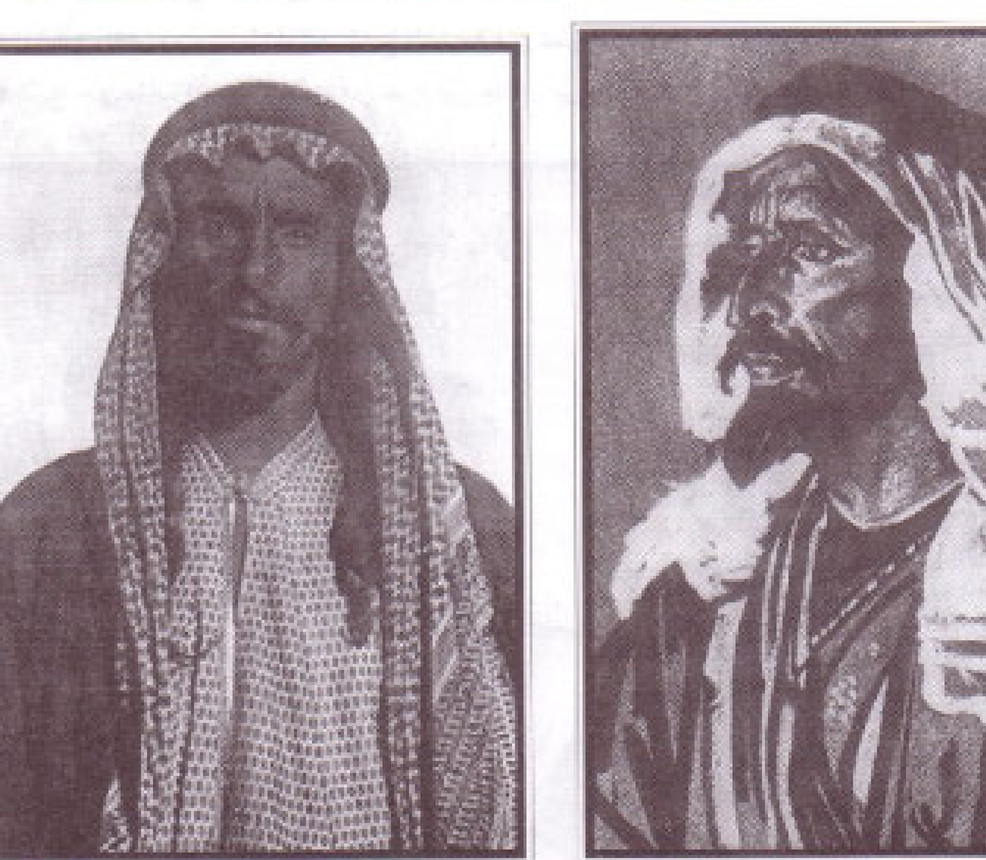




■ (إلى اليسار) صورة للشيخ مثقال باشا الفايز من شيوخ بني صخر واقفاً إلتقطها الكاتب البريطاني سيبروك، وضمنهما كتابه الصادر سنة ١٩٢٨م .

■ (أسفل اليمين) الشيخ عودة بن حرب أبو تايه كما ظهر رسمه في « أعمدة الحكمة السبعة » للورنس، وهو عودة بن حرب أبو تايه الحويطي ، من زعماء التوايهة من الحويطات.

■ (أسفل اليسار) الشيخ خالد الحثلين من شيوخ قبيلة العجمان.







■ الشيخ فهد بك بن عبدالمحسن بن الحميدي بن عبدالله الهذال شيخ عنزة، وقد تزعم قبيلته بعد أبيه ،، و ذكرته المس بل في رسائلها كثيراً ثم انتخب نائباً في المجلس التأسيسي العراقي سنة ١٩٢٤م وتوفي مسناً في الثمانين سنة ١٩٢٧م .

■ الشيخ راكان بن بشير المرشد شيخ السبعة من عنزة في أوائل القرن العشرين.

■ شيخ حويطات الشمال حمد بن عرار بن جازي بن حمد آل جازي وخلفه اثنان من أتباعه.





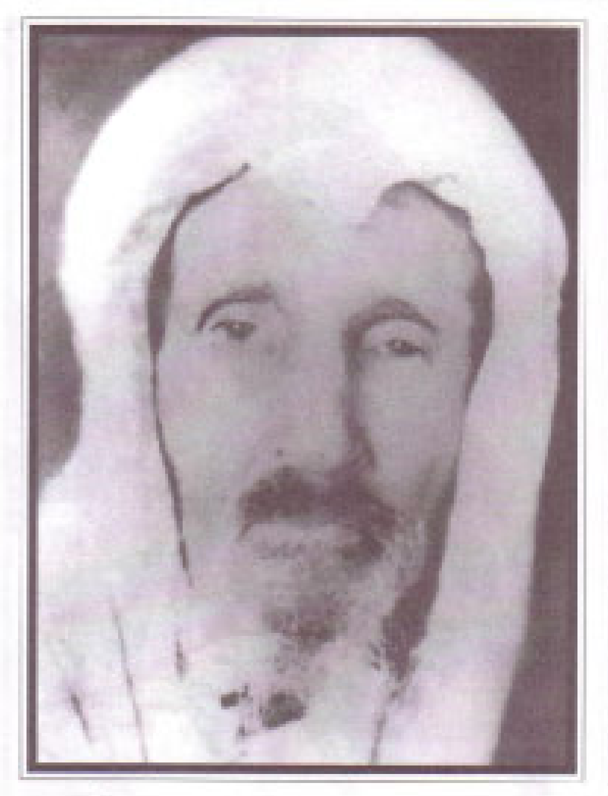
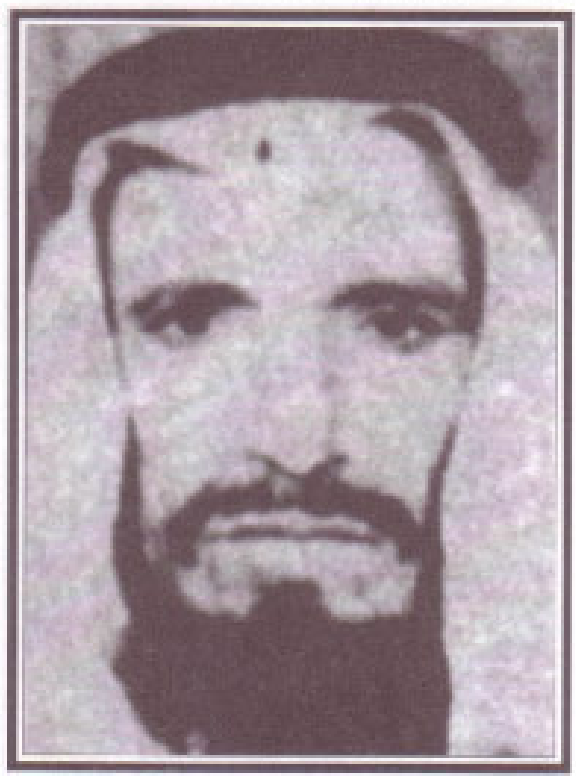




■ (أعلى) الشيخ خالد باشا عبداللطيف بن محمد العون شيخ بلدة الزبير منذ سنة ١٣١٤هـ ، حتى اغتياله في ١٥ شوال ١٣٢٥هـ (١٩٠٩م) في محلة الباشا بالبصرة.

■ (أعلى اليسار) الشيخ ردن السور من شيوخ قبيلة مطير.

■ (اليسار) الشيخ دهام بن الهادي بن العاصي بن فرحان الجربا شيخ عشائر شمر في سورية، وقد توفي في السبعينيات الميلادية.

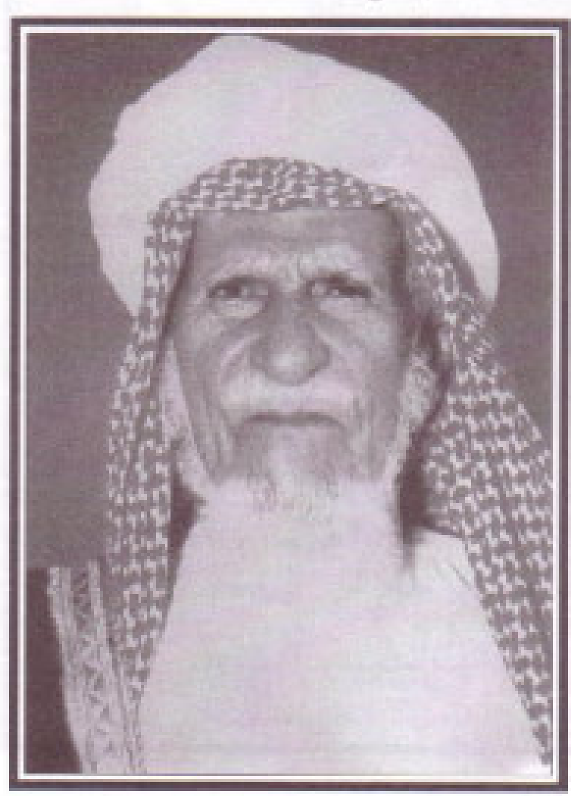
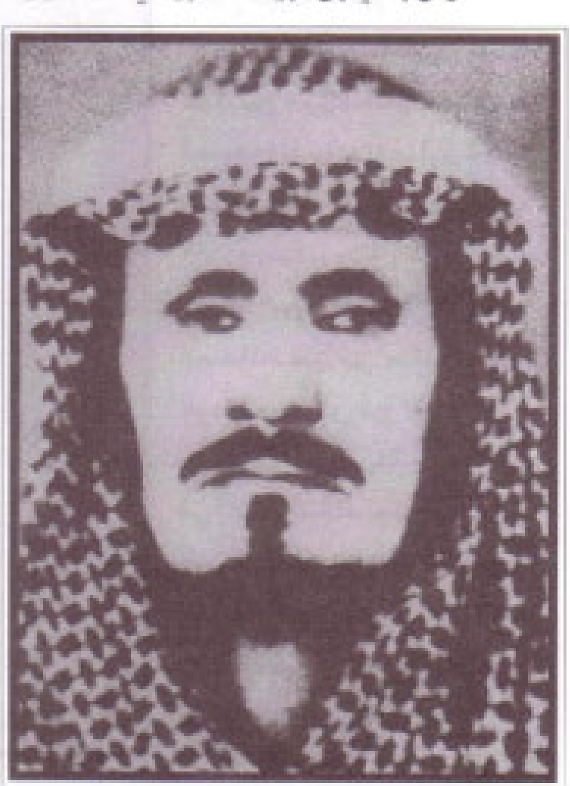



■ (أعلى اليمين) الشيخ محمد بن مطر أبو ثنين شيخ الجمالين من سبيع (راجع الفصل الأول)

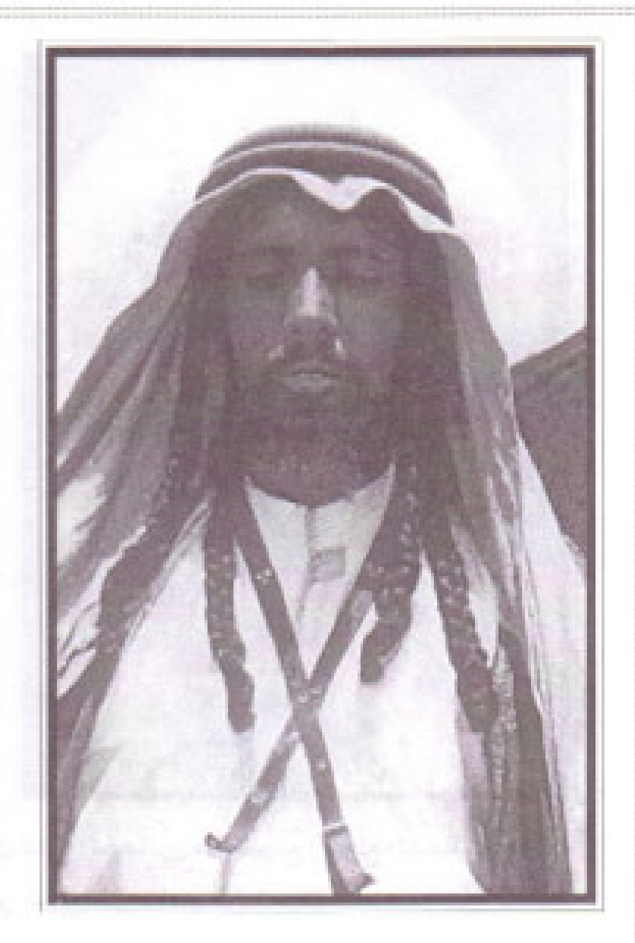
■ (أعلى اليسار) الشيخ فراج بن مذكر العماني شيخ بني عامر من قبيلة سبيع (راجع الفصل الأول من الكتاب).

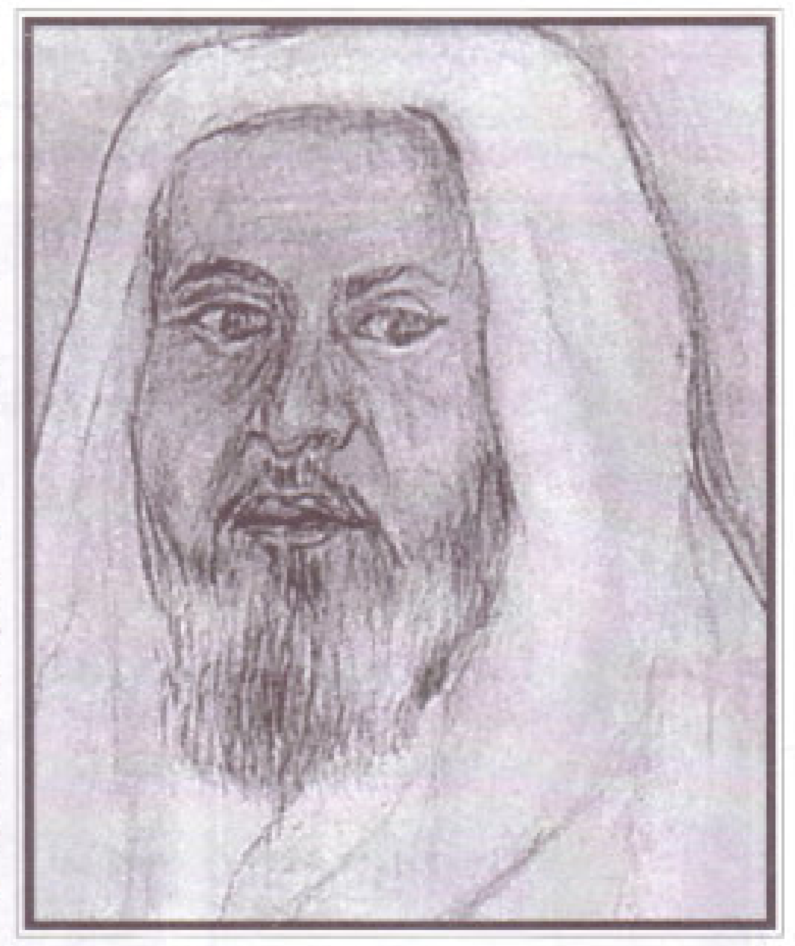
■ الشيخ عجمي بن شهيل بن سلطان آل سويط خلف ابن عمه حموداً في مشيخة الظفير، وأسس هجرة الصفيري، وتوفي سنة ١٩٨٨م (١٤٠٨هـ) عن عمر تجاوز المائة.

■ الفارس بادي بن دبيّان السبيعي الشاعر والفارس المعروف (راجع الفصل الأول من هذا الكتاب)







■ (أعلى اليمين) الشيخ محمد البدر الدويش من شيوخ قبيلة مطير.

■ (أعلى اليسار) الشيخ عيد بن حبيب الجامع. شيخ قبيلة العوازم السابق ووالد شيخها الحالي. ولد سنة ١٩١٠م وتوفي سنة ١٩٧٦م.

■ (إلى اليمين) الشيخ عبدالمحسن بن صنيتان بن عبدالمحسن بن فرز الفرم شيخ بني علي من قبيلة حرب. ولد في أعالي نجد سنة ١٢٩٨هـ و رأس قبيلته شاباً، ونقلهم من أطراف المدينة إلى «قبه» وما حولها شمالي القصيم. وتوفي عبدالمحسن سنة ١٣٨٧هـ.







■ (أعلى اليمين) الشيخ مقحم بن تركي بن جدعان المهيد شيخ الفدعان من قبيلة عنزة. ولد سنة ١٨٨٥م.

■ (أعلى اليسار) الشيخ تركي بن فيحان آل ربيعان العتيبي. ولد سنة ١٣٢١هـ ، وشارك في الكثير من معارك توحيد الجزيرة العربية إلى جانب الملك عبدالعزيز ، وتعين فيما بعد أميراً للفوج التاسع من الحرس الوطني السعودي حتى توفي سنة ١٤٠٥هـ.

■ (إلى اليسار) الشاعر الكويتي عبدالله الفرج. ولد في الكويت سنة ١٢٥٢هـ ، و عاش حيناً من حياته في الهند ، و كان والده ثرياً لكن الشاعر بدد إرثه على اللهو ثم انقطع للشعر والغناء حتى توفي سنة ١٩٠١م (١٣١٩هـ) تاركاً تراثاً شعرياً تم طبع النبطي منه في ديوان سنة ١٣٣٨هـ ، و هو بذلك من أوائل الدواوين النبطية طباعة بينما ظل الفصيح دون تجميع أو طباعة حتى الآن .



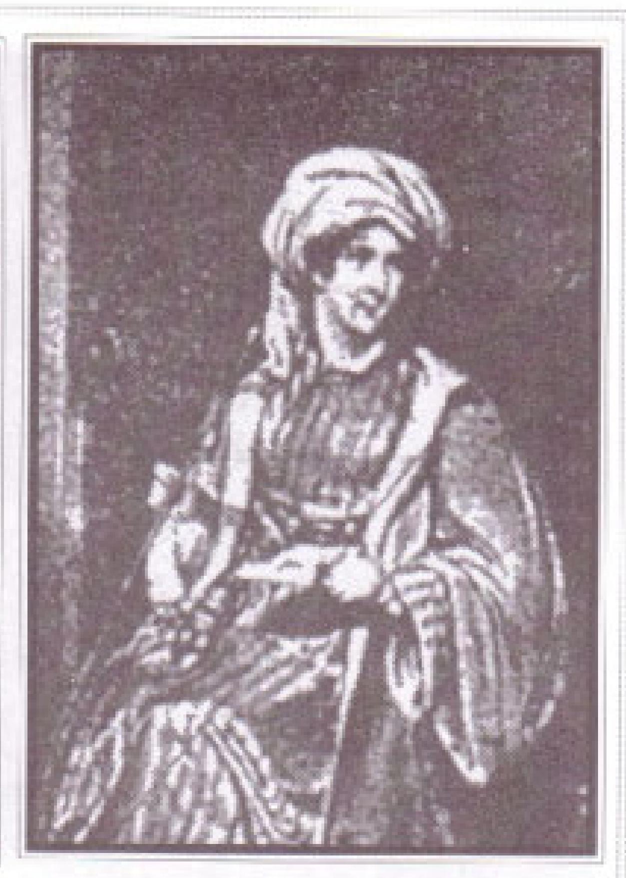




■ (أعلى اليمين)
الشيخ عجيل الياور بن عبدالعزيز الجربا شيخ قبيلة شمر المتوفى سنة ١٩٤٠م.

■ (أعلى اليمين)
الشاعر عمير بن راشد آل عفيشة الهاجري. شاعر قطري مشهور. ولد سنة ١٨٩٠م تقريباً وتوفي سنة ١٩٨٢م، وهو يعد من أهم شعراء قطر وكان أبوه علماً من أعلام الشعر النبطي.

■ (إلى اليمين)
الشاعر سالم الحميد. شاعر الزبير المعروف في صورة أثناء إحدى رحلات الصيد، وقد توفي سنة ١٩٥٦م عن عمر قارب المائة سنة.





■ (أعلى اليمين) الليدي أيستر ستانهوب بملابس الرجال العربية، و هي ابنة السياسي البريطاني المستر بيت (١٧٥٩ - ١٨٠٦م) تركت بلادها و رحلت إلى الشرق حيث انفردت بقصر قديم في قرية جون قرب صيدا ، و يذكر الفرنسي لامارتين عقب زيارته لها : «ان تأثيرها على البدو أفاده أكثر من مرة». (راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب).





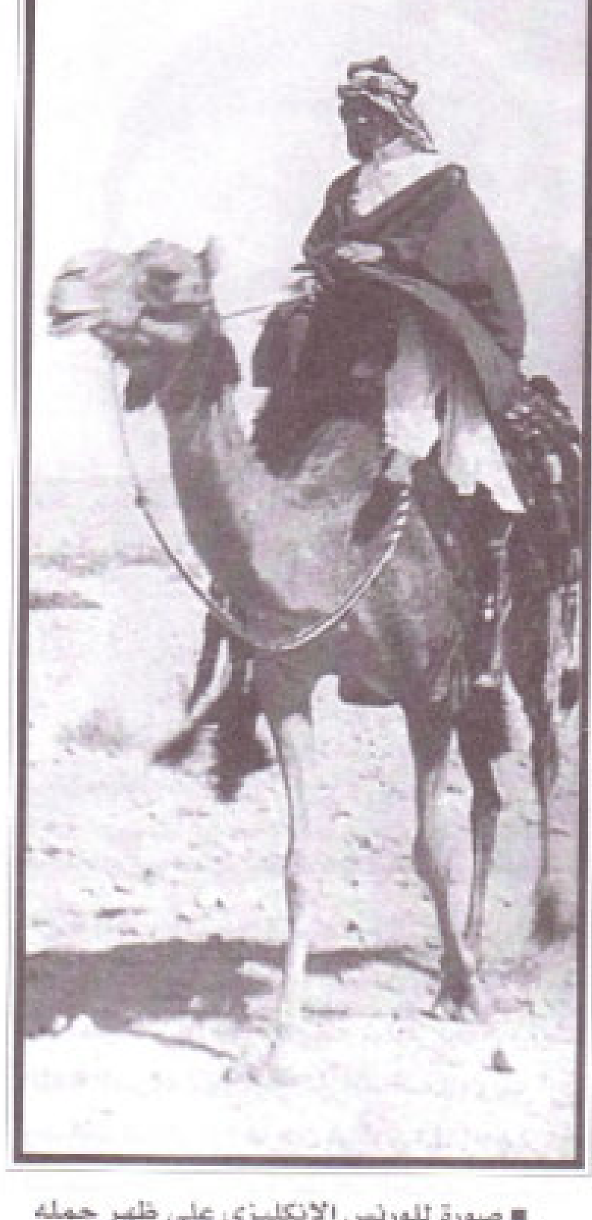
■ (أعلى يسار الصفحة المقابلة) المسز ديكسون بالملابس العربية تداعب غزالاً برياً.

■ (أسفل الصفحة المقابلة) المستر ديكسون يشرب القهوة مع زواره من العرب.

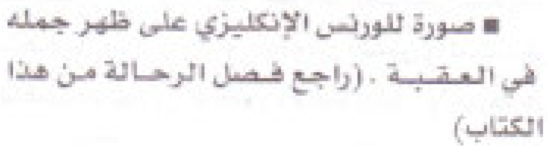
■ (أعلى) المسز ديكسون عند موقد القهوة مع إحدى صديقاتها البدويات.

■ (أسفل) بيت آل ديكسون على ساحل البحر في الكويت.







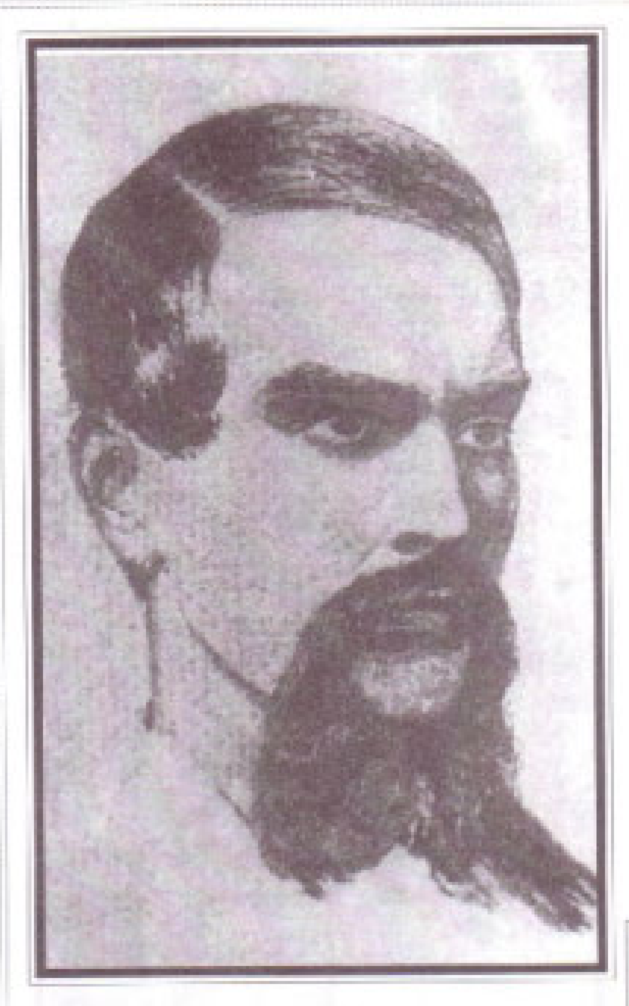


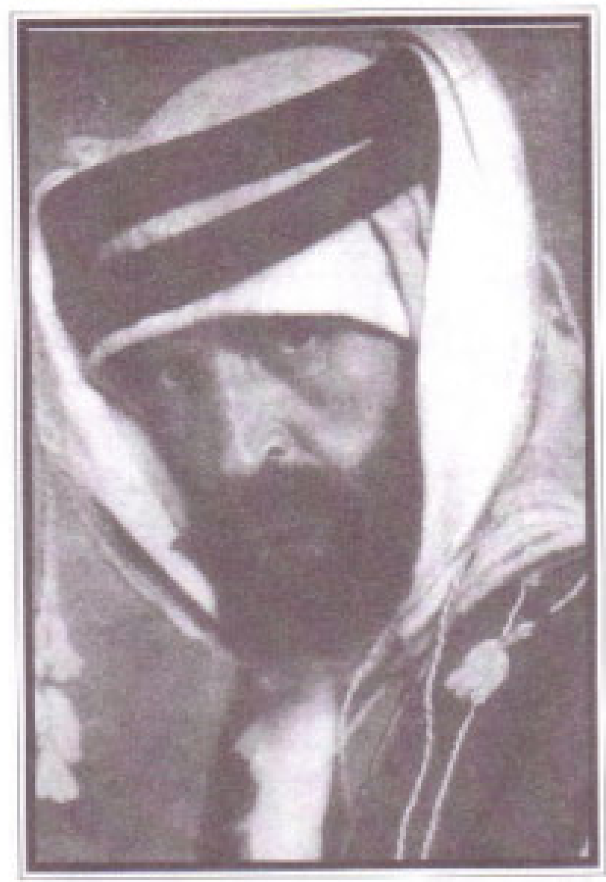
■ صورة للورنس الإنكليزي على ظهر جمله في العقبة . (راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب)

■ صورة أخرى التقطت في الصحراء القريبة إلى العقبة ، وتظهر الضابط الإنكليزي لورنس بملابسه العربية الأنيقة والخنجر المذهب أبان الحرب العالمية الأولى . (راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب).

■ (إلى اليسار) الرحالة المصري إبراهيم رفعت باشا (راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب).







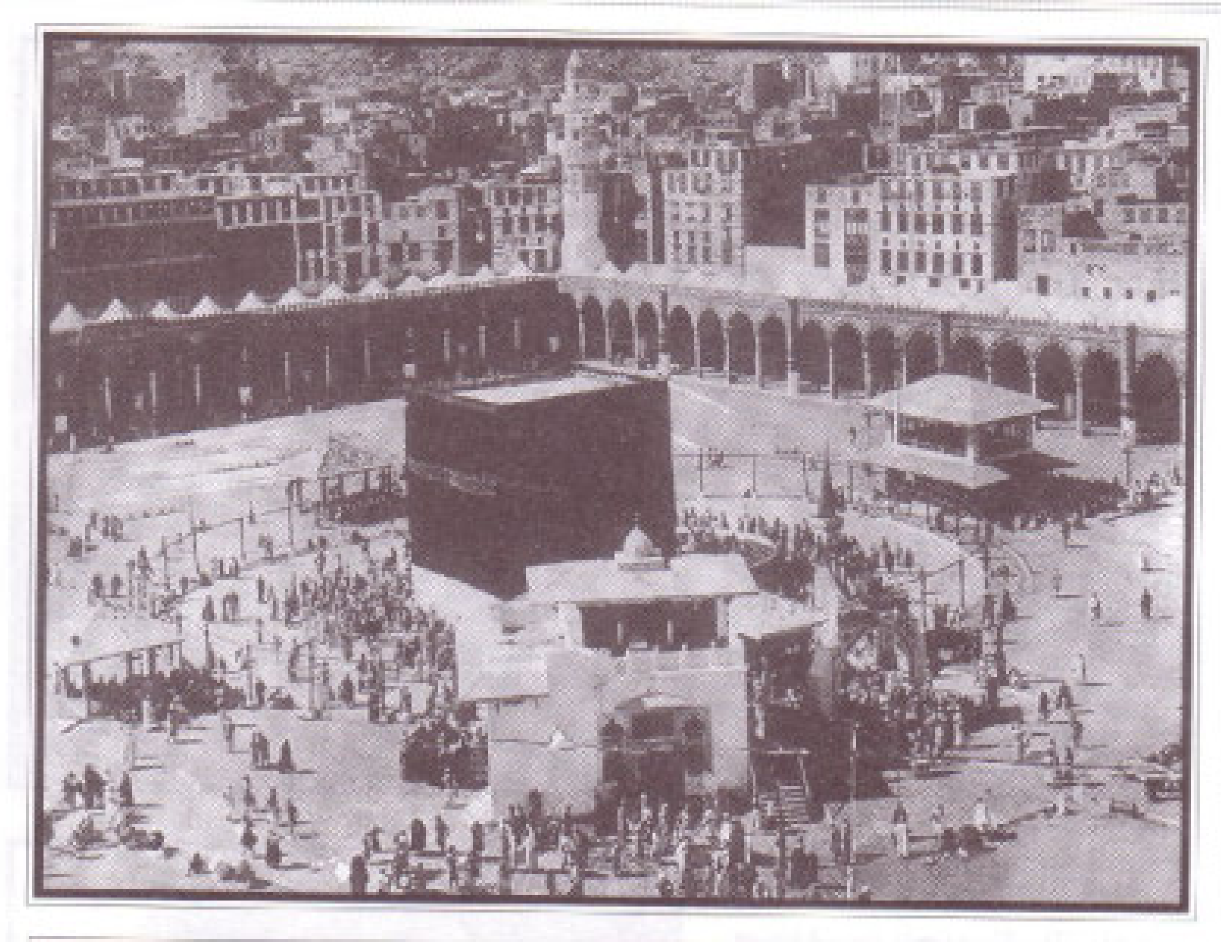


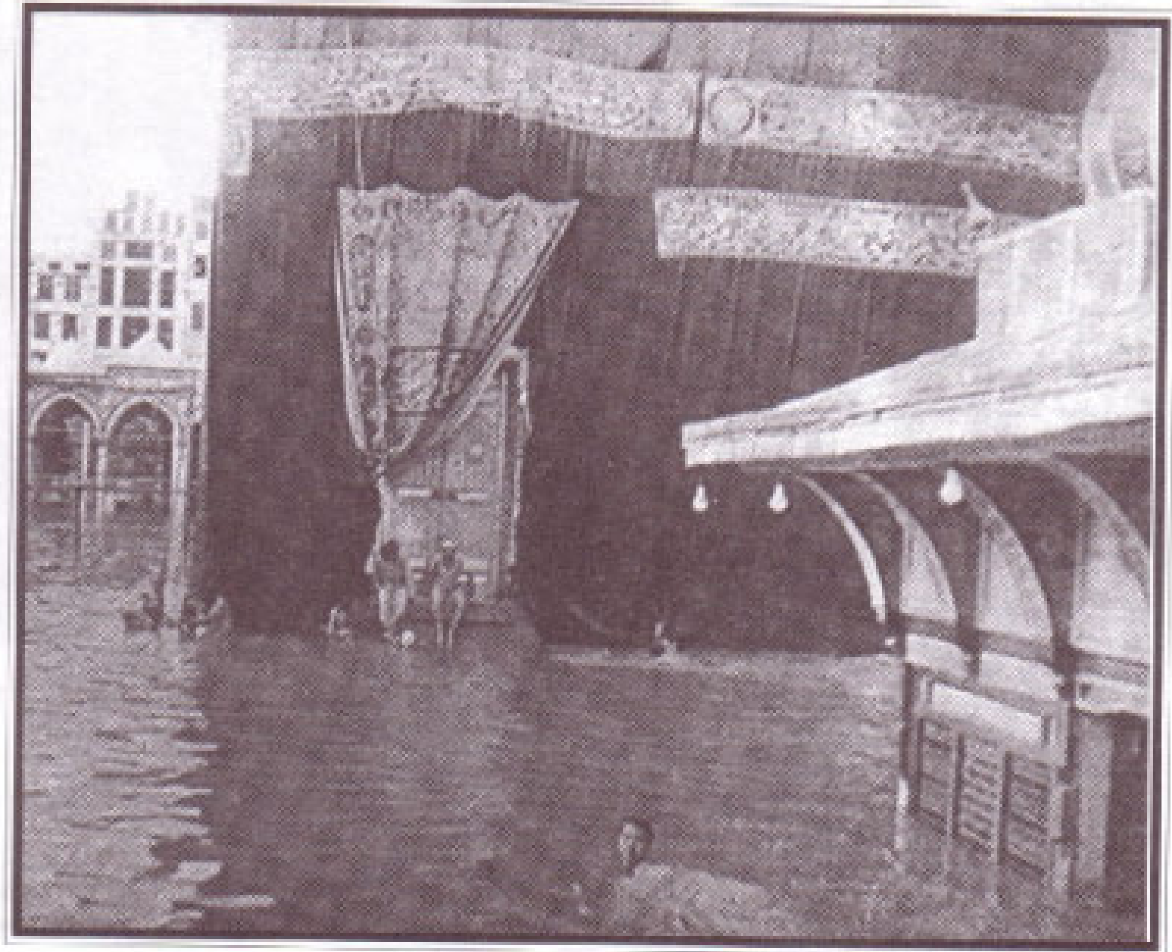
■ (أعلى اليمين) الرحالة التشيكي لويس موزيل بالملابس العربية، وموزيل ولد سنة ١٨٦٨م ، و عمل أستاذاً في جامعة شارلز ببراغ و أجاد اللغة العربية ، وارتحل إلى المنطقة العربية أربع رحلات كانت أولاها بين عامي ١٨٩٦م و ١٩٠٢م للتنقيب في البتراء و أطراف الحجاز الشمالية بتمويل من مجمع العلوم و الفنون التشيكي فاكتشف بعض القصور الإسلامية ، وآخرها في صحراء النفود و الدهناء عام ١٩١٤م .

(راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب).

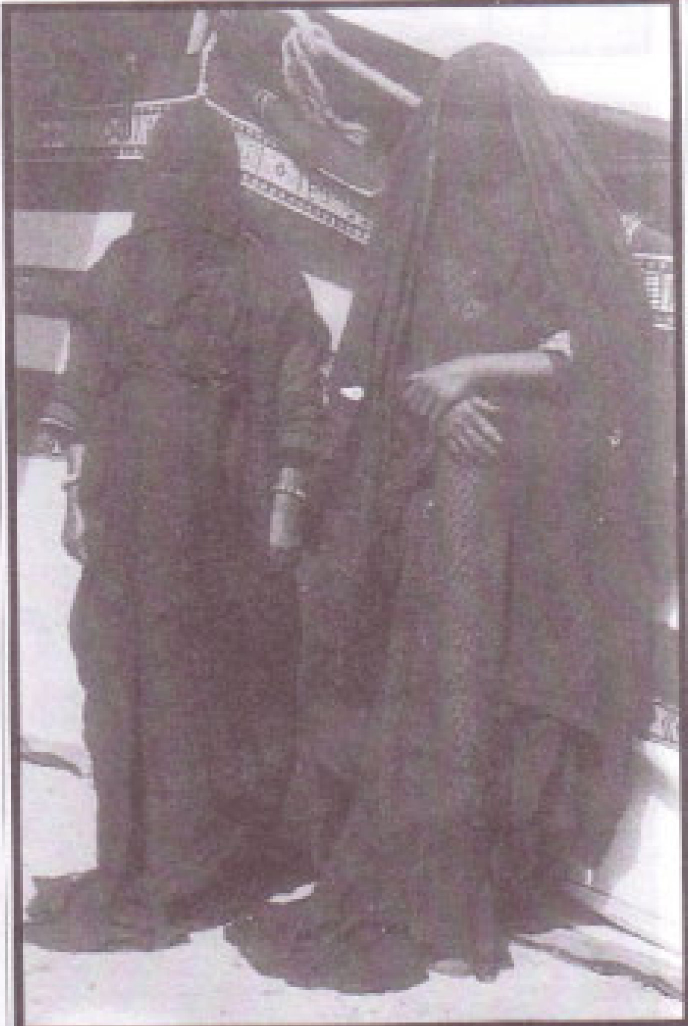
■ (أعلى اليسار) الرحالة الإنكليزي ريتشارد بيرتون (راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب).

■ (إلى اليمين) أحد الرحالة اليابانيين ممسكاً بضب اصطاده في الصحراء (راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب).









■ (أعلى الصفحة المقابلة) صورة قديمة للحرم المكي الشريف، وحاول مقارنة هذا المنظر بالوضع الحالي لتدرك حجم التوسعات التي جرت للحرم خلال قرن من الزمان.

■ (أسفل الصفحة المقابلة) صحن الكعبة المشرفة وقد داهمه السيل في يوليو ١٩٥٠م (١٣٦٩هـ) بعمق تجاوز المترين، وتلاحظ أن بعض الأشخاص يطوف سباحة.

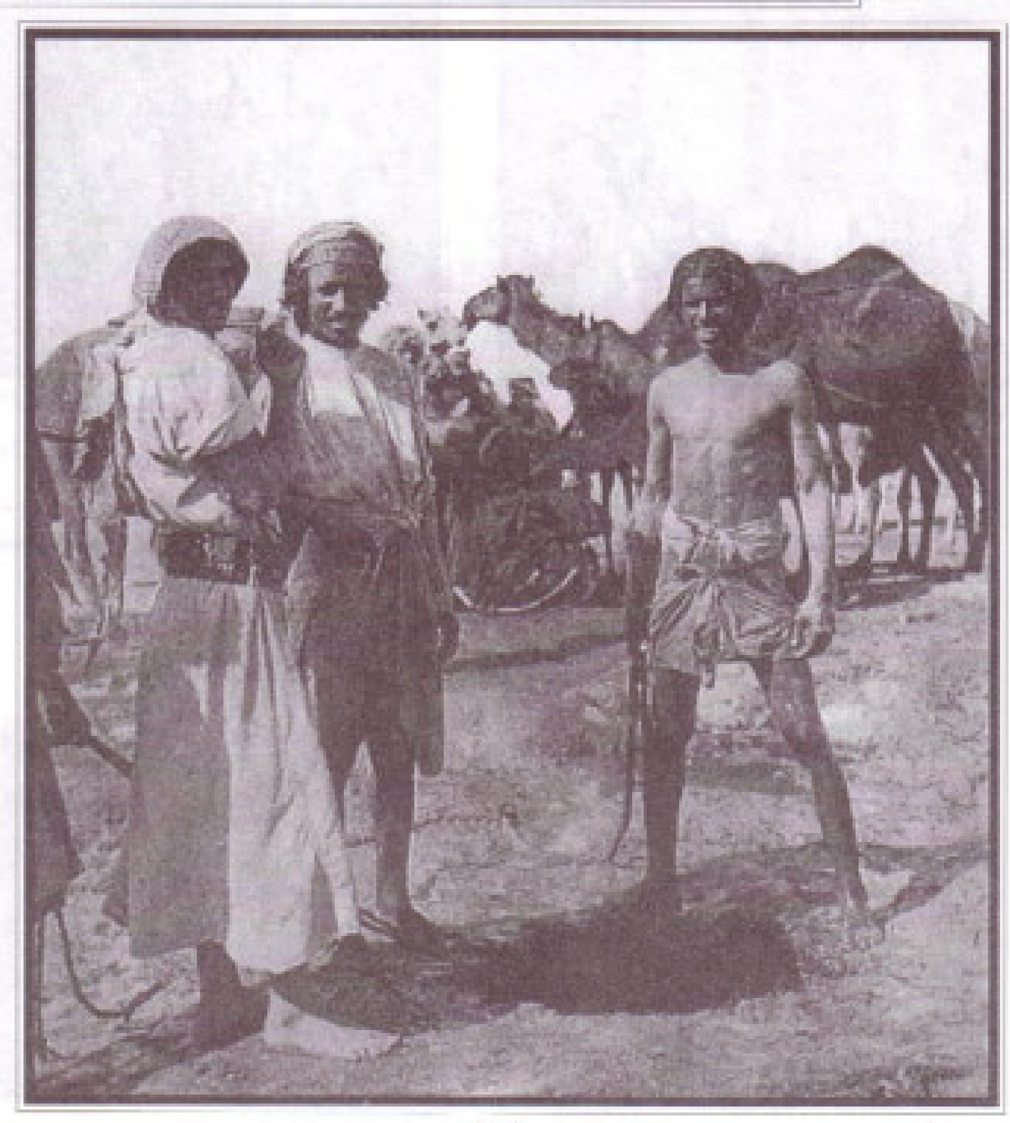
■ (أعلى) القصر المنسوب لحاتم الطائي شمال المملكة العربية السعودية بالقرب من حائل، وللعلم ما يزال القبر المنسوب لحاتم معروفاً حتى يومنا هذا.

■ إمرأتان كويتيتان أمام أحد بيوت الشعر في صورة ترجع إلى الثلاثينيات من أرشيف آل ديكسون.



■ إحدى بوابات السور في الكويت بعد هدمه سنة ١٩٥٨م.

■ أفراد من قبيلة سبيع أمام مورد الصبيحية في الكويت في صورة تعود للثلاثينيات من القرن العشرين.



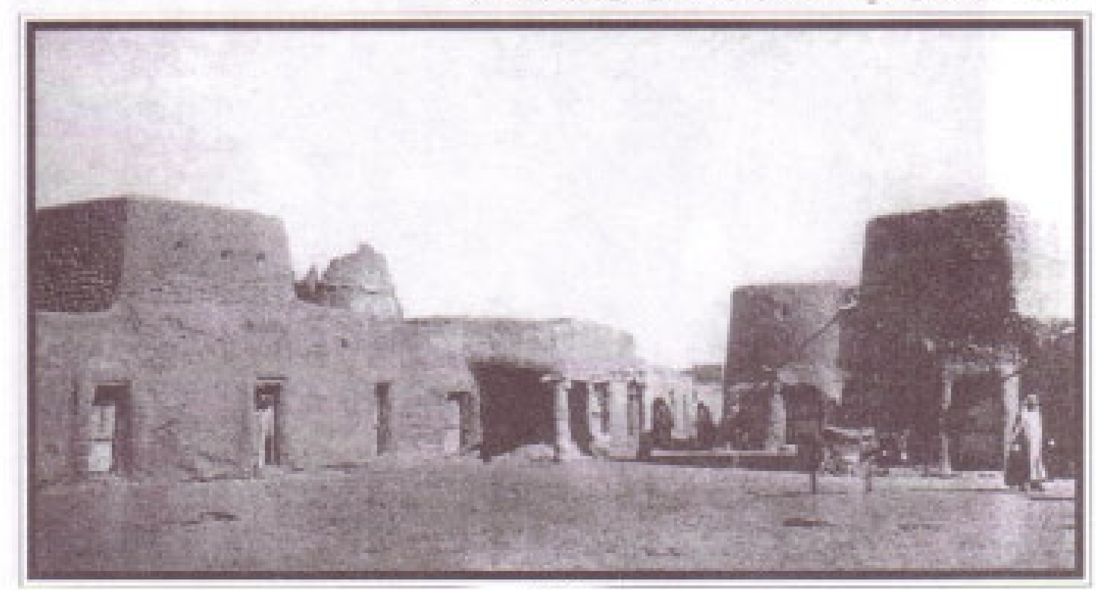




■ (أعلى اليمين) طفلان عربيان (بدوي ومغربي)في مدرسة العشائر في الأستانة قبل أكثر من قرن .

■ (أعلى اليسار) مجاهد من جنود الملك عبدالعزيز بملابسه الرسمية.

■ سوق مدينة الزلفي كما ظهر قبل أكثر من سبعين عاماً.





■ شاب بدوي في الصحراء، ولاحظ الجدائل التي تزينه وهي من محاسن الرجال في الماضي وقد اختفت تماماً في عصرنا الحالي.

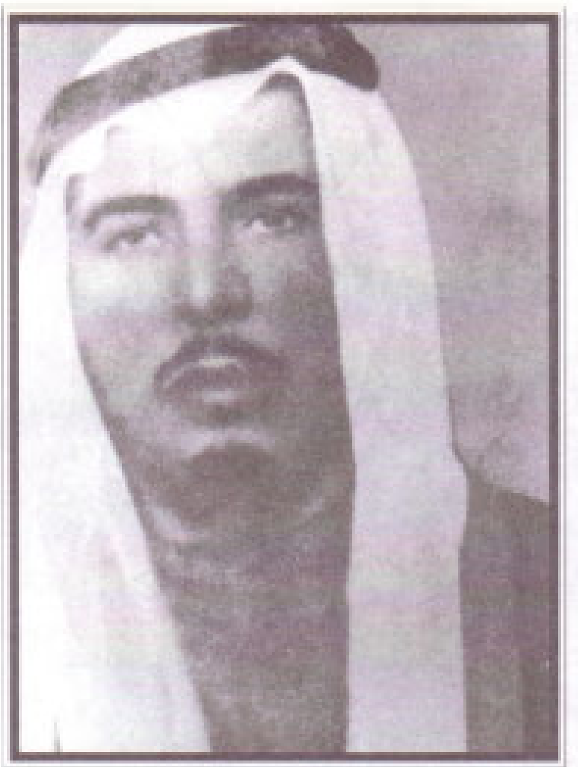
■ أحد الشوارع في مدينة الرياض قبل سبعين عاماً.

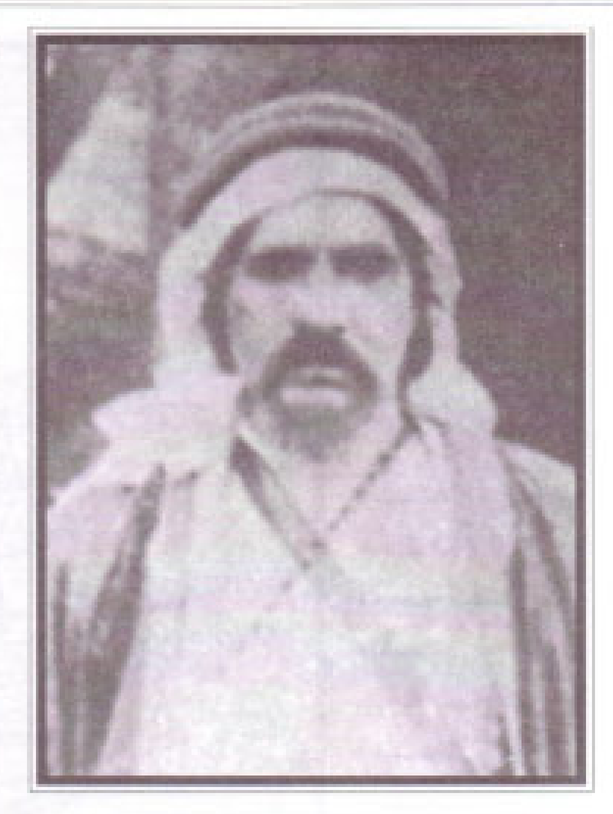


■ وجوه من رجال الملك عبدالعزيز أمام قصره في الرياض سنة ١٩٣٧م.

■ أسرة من قبيلة المرة بالقرب من الربع الخالي.









■ (أعلى اليمين) الشيخ النوري بن هزاع بن نايف بن عبدالله بن الشعلان شيخ الرولة الشهير . ولد سنة ١٨٤٧م و تولى المشيخة بعد فهد بن سطام الشعلان و استمر فيها سنوات طويلة ، وتوفي في يوليو ١٩٤٢م ، و دفن في قرية ، عذرة ».

■ (أعلى اليسار) الشيخ أورنس بن طراد الشعلان الفارس والشخصية المشهورة (راجع الفصل الأول من هذا الكتاب) .

■ (الى اليسار) الشيخ فرحان بن مشهور الشعلان المتوفي سنة ١٩٢٧م في الوسط ومعه اثنان من رفاقه.



■ عائلة بدوية ترتحل عبر الصحراء الإماراتية وهي من أرشيف الرحالة ثيسجر.

■ رجل وغلام يافع مسلحان أمام أحد بيوت الشعر.

■ مجلس أحد شيوخ الكويت في الصحراء الكويتية .

